

النبوغ المغربي

في الأدب العربي

تأليف

عبد الله كنّون

الجزء الثالث

النبوغ المغربي

في ميزان القيمة

بقلم الأستاذ الكبير حنا فاخوري

الكتاب الذي كان له الأثر الضّخم في العالم العربيّ ، والذي كان فتحاً من الفتوح ، هو كتاب « النبوغ المغربي في الأدب العربيّ » للعلاّمة المحقق والبحاثة المدقق عبدالله كنون الحسَني . كانت دراسات الأدب العربيّ في ازدهار ورقيّ ، وكان النقد ينتقل من طور التقليد الى طور التحرّي العلميّ الصحيح ، وحفلت المكتبة العربية بالكتب تلدها المطابع في خصبٍ عجيب . وفي زحمة هذه الثروة الأدبية لبث المغرب العربيّ مطويّ الصفحات ، مجهولَ الآثار وكأنه بعيد كلَّ البعد عن الحركة الفكرية والفنية ، وكأنه لا وجود له في التيار العربيّ الزاخر . فكان لا بد من عبقرية جبارة تتسلح بسلاح الجرأة والإقدام ، وتتصدى للتيار في علمٍ وسلطان ، فتنشر ما طُوي فيه من صفحات ، وتتمّ ما اعتوره من نقص في سلسلة الحلقات ، وتوضح العمل الذي قام به النبوغ المغربيّ في ميدان الأدب ، والمشاركة التي له في رفع بناء الحضارة العربية . وكانت العبقرية التي هيأها الله تعالى لهذا العمل الفريد متجسّمة في ابن المغرب البارّ وعلاّمته الفذّ عبدالله كنون . وله وحده يعود الفضل في إحياء الآثار المغربية التي لا تقل قيمة عن سواها في سائر الأقطار العربية ، وله وحده يعود الفضل في توجيه الدراسة الأدبية توجيهاً يتناول الكلّ دون الجزء ، والبناء الكامل دون الأقسام المقسمة .

والذي يروقك في كتابة عبدالله كنون تلك الرصانة العلمية التي تتحرّى

الحقيقة في غير نزق ، والتي تتّبع أوثق المصادر في غير تحيز ، وتواجه الصعوبات في صبر وهدوء ، وتطلب المستحيل في ثقة العلم الصحيح ، واندفاعة الهمة التي لا تنثني. إنه لا يدلي بالرأي إلا بعد الدرس الطويل ، والمقارنات والتعليلات العميقة ، ولا يقدّم الحكم إلا بعد الجولات الواسعة في عوالم التاريخ والفلسفة والاجتماع والسياسة ، وبعد التنقيب الواسع في زحمة العوامل والبواعث أياً كان نوعها . ومن ثم تراه يفرض أحكامه فرضاً في غير تبجح ولا تطفل ، لا بل ترى آراءه ذات فعالية وسلطان تواجه العقل في قوّة جذّابة وتستولي عليه بما فيها من بلاغة إقناع ونصاعة حقيقة .

ومما لا شكّ فيه ان كتاب « النبوغ المغربيّ » كنز ثمين من كنوز العلم ، ومصدر من أوثق مصادره ، وموسوعة مغربية لا يقدرها حقّ قدرها إلا من لمس النقص في كتب الأدب وعرف هذا الجهل أو التجاهل الذي صدف بالكتّاب عن آثار هذا العالم الغني بعبقريّاته ، العريق في رقيه وحضاراته ، الجليل الأثر في توجيه الفكر العربيّ منذ أقدم عصوره .

حنا الفاخوري

المنتخبات الأدبية
قسم المنظوم

بسم الله الرحمن الرحيم

قسم المنظوم

أَتَيْنَا في قِسْم المَنْثُور وهو الجزء الثاني من هذا الكتاب، بالآثار والمُنتَخَبات النَّثْرِيَّة التي رأينا انها تُعطِي نظرةً صادقةً عن إنتاج أدبائنا في مَيْدان الكِتَابة الفَنِّية والعِلْمِيَّة وما يتَّصِلُ بها من ضُروب القول وأنواع الخطاب.

وبَوَّبْنا تلك الآثارَ والمُنتَخَباتِ بِحسبِ الاغراض الكلامية التي تدخُل في مَفْهُوم الادب على الاصْطِلاح القديم ؛ وهو الذي نُؤَرِخه في هذا الكتاب، على أننا قد تَناوَلْنا بعضَ المَوْضُوعات التي لم تكُن تُعَدُّ في هذا الاصطلاح من مَشْمول الادب، ولا يَزالُ الحَرْفِيُّون يُبْعِدُونها عن حَظيرته جُموداً على المَساطِر، وذلك كموضوع الدعاء الذي أَدْرَجْناه في باب التحميد

والصلاة ، بل إن هذا الباب كلّه مِن ذلك القَبِيل ، وكموضوع البحوث العِلْميـة والفنّيـة الذي عمِلْنا منه باباً مُستقلا هو بابُ المقالات ، ونحن على يَقين أن القارىء المُتَفَتِّح الذِّهن سيَجِد في ذلك مَتاعاً فِكْرياً ورُوحِيًّا وحَلْقَةً لازِمَةً لِضَبْطِ الاتصال بين جَوانِب الحياة العقلية والوِجْدانِية على اختلاف مَنَاحِيها .

ونأتي الآن في قِسْم المَنظُومِ الذي هو الجزء الثالث من الكتاب بالآثار والمُنتَخَبات الشعرية كما وعَدْنا ، مُقَسَّمَةً الى الابواب المعروفة من الحَماسة والغَزَل والوَصْف والمَدْح وغير ذلك ، إلاَّ بابَ الهِجاء فإنَّا عَوَّضْناه بباب المُلَح ، وأدْرَجْنا فيه نماذِجَ من الهِجاء التي أكثرُ ما تُراد لشكلها لا لِمضْمُونها .

وقد خَتَمْنا ببابٍ خصَّصْناه للمُوَشَّحات والأَزْجَـــال جَمْعاً للنظائر وعنايةً بهذا النوع من الادب المنظوم ، إذ كان يُمَثِّلُ حركةَ التجـــديد في الادب العربي عامةً على النِّطاقَيْن الخاصِّ والعامِّي ، فلم نَرَ بُدًّا من ترجيع صَدَى هـــذه الحركة في هذا الرّكْن النَّائي من بلاد العُروبةِ ، وفَاءً بغاية الْبحث الذي قدَّمناه في الموضوع في عَصْرِ المُوَحِّدين . وبِالله التَّوفيق .

الحماسة والفخر

لِلْمَوْلَى إدريس الازهر يُخاطِب بُهْلُول بنَ عبدِ الواحد وقد مال إلى إبْراهِيم ابنِ الأَغْلَب ، عاملِ الرَّشِيد على إفْريقية :

أَبُهْلولُ قد شَمَّمْتَ[1] نفسَك خُطَّةً تبَدَّلْتَ مِنْها عَوْلَةً[2] برَشَاد

أَضَلَّكَ ابراهيمُ عن بُعْدِ داره فأَصْبَحْتَ مُنْقاداً بغَيْرِ قِيَاد

كأَنَّكَ لم تسمَعْ بمَكْرِ ابْنِ أَغْلَبٍ غدَا آخِذاً بالسَّيْف كُلَّ بِلاد

وَمِن دُونِ ما منَّتْك نفسُكَ خالِياً ومَنَّاك إبرَاهيمُ شَوْكُ قَتَاد

ولِوَلَدِه القاسم لمَّا خرج عيسى بنُ إدريس على أَخيه محمد ، وكَتب له محمد يأُمره بحرب عيسى فامتَنع وقال مُعتذِراً عن ذلك :

---

١ – اي اطمعت نفسك بخطة لم تدركها الاشمّاً .

٢ – أي جوراً وميلاً عن الحق .

سأَتْرِكُ للرَّاغِبِ الغَرْبَ نَهْباً وإن كنتُ في الغَرْبِ قَيْلاً[1] ونَدْبا
وأَسمُو الى الشَّرق في هِمَّة يعِزُّ بها رُتَباً مَن أَحبَّا
وأَترُكُ عيسى على رأْيِه يُعالِجُ في الغَرْب همًّا وكَرْبا
ولوْ كان قلْبي على قلْبِه لَكُنتُ له في القَرابة قَلْبا
وإن أحدثَ الدهرُ من رَيْبِه شِقاقاً عليْنا وأحدثَ حَرْبا
فإني أَرَى البُعدَ سِتْراً لَنا يُجدِّدُ شوْقاً لَدَيْنا وحُبَّا
ولم نَجْنِ قطْعاً لأَرحامِنا نُلاقِي به آخِرَ الدهر عَتْبا
وتَبقَى العَداوَةْ في عَقْبِنا وأَكْرِمْ به حين نُعْقِب عَقْبا
وأَوْفَقُ من ذاكَ جَوْبُ الفَلاةِ وقَطْعُ المَخَارِمِ نُقْباً فَنُقْبا[2]

ولإبْراهيم المُؤَبَّل يشكُو الزمان ويفتخر :

لِلْبَيْنِ في تعْذِيبِ نفسي مَذْهَبُ ولِنَائبات الدهر عِنْدي مَطْلَبُ
أَمَّا دُيونُ الحادثات فإنَّها تَأْتي لِوَقْتٍ صادقٍ لا تَكذِبُ
والبَيْنُ مُغْرًى كيدُه بذَوِي النُّهى طَبْعاً تُطبِّعُ والطبيعةُ أَغْلَبُ

---

١ – أي رئيساً .

٢ – المخارم رؤوس الجبال والنقب الطريق في الجبل.

أَيقَنتُ أَنِّي للرَّزايـا مَطْعَمٌ ودَمِي لِوَافِدَة المَكارِه مَشْرَبُ
فأَنا مِنَ الآفاتِ عِرْضٌ سالِمٌ وجَوانِحُ تُكْوَى وعقْل يذْهَبُ

وللشريف الادريسي الُجغْرافي :

إنَّ عيباً على المَشـارِق أن أَرْ جِعَ عنها إلَى ذُيُول المَغَارِبْ
وعجِيبٌ يَضِيـع فيها غريبٌ بعدَ ما جاءَ فِكرُه بالغرائِبْ
ويُقاسِي الظَّما خِلالَ أُناسٍ قسَمُوا بينهم هَدايا السحائِبْ

ولعبد المؤمن بن عليّ يستنفِرُ العرب من بني هِـلال لِلْغَزْوِ بجَزيرة الاندلس :

أَقِيمُوا إلى العلياءِ هُوجَ الرَّواحِلِ[1] وقُودُوا الى الهَيْجاءِ جُرْدَ[2] الصَّواهل
وَقُومُوا لنَصْر الدّين قَوْمَةَ ثائِر وشُدُّوا على الأعداءِ شَدَّةَ صَائِل
فما العِزُّ الا ظَهرُ أَجردَ سابِحٍ يفُوتُ الصَّبا في شَدِّهِ[3] المُتَواصِل
وأَبيضُ مَأْثُورٌ[4] كأَنَّ فِرِنْدَه على الماءِ مَنْسُوجٌ وليس بِسائِل

---

١ – أي الإبل السريعة .
٢ – الصواهل الخيل وجردها سوابقها .
٣ – أي جريه .
٤ – يعني سيفاً مشهوراً .

بَني العَمّ مِن عُلْيا هِلَال بن عامرٍ ... وما جمعَتْ من بَاسِل وابن بَاسِل
تَعالَوْا فقد شُدَّت الى الغَزْوِ نيَّةٌ ... عَواقِبُها مَنْصُورةٌ بالأَوَائل
هِيَ الغَزْوَةُ الغَرَّاءُ والموعِدُ الذي ... تنَجَّزَ مِن بَعْدِ المدَى المُتطاوِل
بها تُفْتَحُ الدنيا بِها تُبلَغُ المُنَى ... بها يُنصَفُ التحقيق من كل بَاطِل
أَهَبْنَا بِكُمْ للخَيْر واللهُ حسْبُنا ... وحَسْبُكُمُ واللهُ اعدَلُ عادِل
فما هَمُّنا الَّا صَلَاحُ جميعِكُمْ ... وتسريحُكم في ظِلّ أَخضَر هاطِل
وتَسْويغُكُم نُعْمَى ترِفُّ ظِلَالُها ... عَلَيْكُمْ بخَيْرٍ عاجِلٍ غَيْرِ آجِل
فلا تَتوَانَوْا فالبِدَارُ غَنيمةٌ ... ولِلْمُدْلِج[1] السَّاري صَفَاءُ المَناهِل

ولِحَفيدِهِ المنصور هذه الابيات كتب بها الى قَبَائِل سُلَيْم من ٱلعرب النَّازِلين بإفْريقية :

يا أَيُّهَا الراكبُ المُزجي مَطِيَّتَه ... على عَذَافِرةٍ[2] تَشْقَى بها الأَكَمُ
بلِّغْ سُلَيْماً على بُعْد الديار بها ... بَيْني وبينَكُم الرَّحْمٰنُ والرَّحِمُ
ياقومَنا لا تشُبُّوا الحربَ إن خمدَتْ ... وٱسْتَمْسِكوا بعُرَى الايمان واعتصِمُوا

---

١ – الذي يبكر ويسري من آخر الليل .
٢ – جمع عذافر وهو الشديد من الابل .

كم جرَّبَ الحربَ مَن قد كان قبلَكُم ... مِن القُرون فبادَتْ دونَها الأُمَمُ
حاشا الأَعاربَ أَن ترضَى بمَنْقَصَة ... يا لَيْتَ شِعْرِيَ هل تَراهُمُ علِمُوا
يَقُودُهم أرمَنِيٌّ لا خَلاقَ له[1] ... كأنه بينَهُم مِن جَهْلِهِم عَلَمُ
اللهُ يعلَمُ أَنِّي ما دَعَوْتُكم ... دُعاءَ ذي قُوَّة يوماً فينتَقِمُ
ولا لَجَأْتُ لأَمْرٍ يُستَعانُ به ... مِن الأُمور وهذَا الخَلْقُ قد علموا
لكِن لأَجزِيَ رَسُولَ الله عن نَسَبٍ ... يُنمَى اليه وتُرْعَى تِلكُمُ الذِّمَمُ
فان أَتيتُم فحَبْلُ الوَصْل مُتَّصل ... وان أَبَيْتُم فعِنْدَ السَّيْف نَحْتَكِمُ

وللسيد عبد الله الموحّد صاحبِ فاس :

أَلَسْتُ ابنَ من تَخشَى الليالي انتقامَهم ... وتَرْجُو نداهم غادِيَاتُ السَّحائب
يَخُطُّون بالخَطِّيِّ[2] في حَومَة الوَغَى ... سُطورَ المَنَايا في نُحور المَقانِب[3]
كتاباً باطرافِ العَوالي ونِقْسُه[4] ... دَمُ القَلْب مَشْكُولاً بنَضْح التَّرائِب

---

١ – يعني بالارمني قرقوش مملوك بني ايوب الذي كان ذهب الى بلاد المغرب الادنى واوقد نار الحرب من طرابلس الى تونس مع ابن غانية، وارجع الى فصل توحيد المغرب العربي من الجزء الاول .
٢ – اي الرمح ، نُسب الى الخط وهو محل تُقوّم فيه الرماح .
٣ – جمع مقنب وهي الجماعة من الخيل تجتمع للغارة .
٤ – النقس المداد .

وما كنتُ أَدري قبلَهم ان مَعْشراً أَقامُوا كِتاباً من نفُوسِ الكَتائِب

ولابي العباس الجراوي في غزوة الأَرك الشهيرة :

هو الفتحُ أَعيا وصفُه النظمَ والنثرا وعمَّت جميعَ المسلمين به البُشْرى
وأَنجدَ في الدُّنيا وغَار حديثُه فراقت به حُسْناً وطابت به نَشْرا
تميَّز بالأَحجال والغُرَر التي أَقلُّ سناها يبْهَرُ الشَّمسَ والبدرا
لقد أورد الإدْفُونشُ شيعتَه الردى وساقَهمُ جهلاً الى البطشة الكبرى
حكى فعل إبليس بأَصحابه الأُلى تَبرَّأ منهم حين أَوردهم بَدْرا
أَطارَته شَدَّاتٌ تولَّى أَمامَها شَريداً وأَنسَته التعاظُمَ والكُفرا
رأَى الموت للأَبطال حَوْلَيْه ينتقي فطار الى أَقْصَى مصارعه ذُعرا
وقد اوردته الموتَ طعنَةُ ثائر وان لم يُفارق من شقاوته العُمْرا
ولم يَبْقَ مَن أَفنى الزمانُ حُماتَه وجرَّعه مِن فَقد أَنصارِه صِبْرا
ودارَت رَحى الهيْجا عليهم فأَصبحُوا هَشيماً طحيناً في مَهبِّ الصَّبا مُذْرى
يطير بأَشلاءٍ لهم كُلُّ قشْعَم فما شئتَ من نَسْر غدا بطنه قَفْرا
فكيف رأَى المُغترُّ عقبى اغترارِهِ وكيف رأَى الغَدَّار في غيِّه الغَدرا
وكان يرى أَقطارَ أَندلس له متى يَرْمِ لمْ يُخطِىء بأَسهُمه قطرا
فسلاَّه يومُ الأَربعاء عن المُنى فما يرْتَجي مما تملَّكه شِبْرا

إذا عزَلتْهُ الـرُّومُ كانت نجَـاتُه | وقدأَحرَقَتْجمرُ المنايا بِه عُذرا
فتَعْساً له مـا دام حيـا ولا مُنًى | وكسْراً له ما دام حيا ولا جَبْرا

وله في غزوَةِ طُلَيطلة :

قد أُصلِيتْ نارَها العُداة | وأُنجِزَت فيهم العِدَات
وعمَّهم بالدَّمـــار يومٌ | تقصُر عن وصفه الرواة
مُشهَّـــر لا تزال تُتلَى | آياتُــه وهي بيِّنــات
فتحٌ مَفاتِيحُــه المواضي | والعزَمــات المُؤَيدات
ردَّت حِمَى الفُونش مُستباحا | بيضٌ من الهند مُرهفَات
ذَلُّوا لأَمْــرِ الاله قَسْرا | وهُم أولُوا نَجْــدة أُبَاة
وغرَّقت جمعَهم بِحـــارٌ | أمواجُها الخَيْلُ والكُماة
رأوا لحِزْب الاله صبْراً | والموتُ حُفَّت به الجِهات
فحاولُوا منهم انفِـــلاتاً | وليس للخائن انفِــلات
فلا تسَلْ عن بَنـــات ماءٍ | إن صرْصَرتْ حولَهم بُزَاةُ

ولابْن حَبُّوس الفاسي :

ردِ الطَّرْقَ [1] حتّى تُوافي النَّميرا | فرُبَّ عَسيرٍ أَتاحَ اليَســيرا

١ ـ الماء الكدر .

وأَرسلْ قَلُوصَك طوراً شمــالاً وطوراً جَنوباً وطوراً دَبُورا
وشُنَّ على غازِيات البــلاد من النَّقْع والرَّمل جيشا مُغِيرا
وفِر مــاءَ وجْهك حتى تجِمّ وأَطفِ السَّمومَ به والهَجِــيرا
وطِرْ حيثُ أنتَ قويُّ الجَنـا ح لا عذرَ عندك ان لا تطيرا
ولا تقعنَّ وأنتَ السليــم حيث تُضاهِي المَهِيضَ الكَسيرا
فأُمُّ الترحُّـــل تدعى وَلُوداً وأُمُّ الإقــامة تُدعى نَزُورا
وذُو ٱلعجز يرضَع ثَدْياً حَدُوراً[1] وذو العزم يرضَع ثَدْيا دَرُورا
يَعزُّ على النُّبل أني غــدوتُ أُكنَّى أديبــا وأُسمَى فقيرا
وأني ثبتُّ لِكَفِّ الزمان يُعرِّقُ عظمي عَرْقاً مُبِــيرا
ومــا ذاك أني هيَّابَــةٌ أخافُ الرحيـل وأشْنا المَسيرا
ولكنْ بِحُكْم زمــانٍ غدا يحطُّ الجِيــادَ ويُسْمِي الحَميرا

وللقاضي ابي حفص بنِ عُمَر :

نهــانِيَ حِلْمِي فــلا أَظْلِمُ وعزَّ مكاني فــلا أُظْلَمُ
ولا بدَّ من حاسد قلبُــه بنُــورِ مآثِرنا مُظلِــمُ

---

١ ــ أي شحيحا .

رحِمْتُ حسودي على أنـه يُقاسِي العذابَ وما يَرْحَمُ
هَجانا افْتِراءً ولسْنا كَما يقولُ ولكِنْ كَما يَعْلَمُ

وللأمير أَبي مالك عبد الواحد المريني :

فَرَّقْتُ في المَيْدَان كُلَّ مَلِيك وجمَعْتُ بين جَراءَةٍ ونُسُوك
وجعَلْتُ للإِسْلَامِ حدًّا مالِكًا كي لَا يُعَيِّرَه العِدَا بِسُلُوك

وللسلطان ابي الحسن المَريني :

أُرْضِي اللهَ في سِرّ وجَهْرٍ وأَحْمِي العِرْضَ عن دَنَسِ ارْتِياب
وأُعْطِي الوَفْرَ مِن مَالي اختِياراً وأَضرِبُ بالسُّيوف طُلَى الرِّقَاب

ولمالك ابنِ المُرَحَّل يستنفِرُ المجاهدين لقتال العدو بالأَندلس :

إِسْتَنْصَر الدينُ بكم فاستَقدِمُوا فإِنَّكُم إِنْ تُسلِمُوه يُسْلَم
لا تُسْلِمُوا الإِسلامَ يا إِخوانَنا وأَسْرِجُوا لِنَصْرِه وأَلْجِمُوا
لاذَتْ بكُم اندلُسٌ ناشِدةً بِرَحِم الدِّين ونِعْمَ الرحِمُ
فاسْتَرْحَمَتْكُم فارْحَمُوها إِنَّه لا يَرْحَمُ الرحمنُ مَن لا يَرحَمُ
ما هِيَ إِلا قِطْعةٌ من أَرْضِكم وأَهلُها مِنكُم وانتُم مِنهُمُ
لَكِنَّها حُدَّتْ بِكُلِّ كافِر فالبَحْرُ[1] مِن حُدُودِها والعَجَمُ

١ - يقال للبحر كافر من الكَفْر بمعنى الستر لانه يستر ما فيه .

لَهْفاً على أندلُسٍ من جَنَّـة دارَت بهـا مِنَ العِـدا جَهَنَّمُ

استخلَص ٱلْكُفَّارُ منهـا مُـدُناً لِكُل ذي دِينٍ عليهـا نَدَمُ

قُرطُبةٌ هِيَ التي تَبْكِي لهـا مَكَّةُ حُزْناً والصَّفا وزَمْزَمُ

وحِمْصُ وهْيَ أُخْتُ بَغْدادَ وما أَيَّامُها إِلَّا الصِّبَـا والحُلُمُ

اسْتَخْلَصوهـا مَوْضِعاً فَمَوْضِعاً واقتَدرُوا واحتَكَموا وانتَقموا

وقتَـلُوا ومَثَّلُوا وأَسَرُوا واحْتَمَلُوا وأَيْتَمُوا وأَيَّمُوا

أَيَّامَ كانَ الخوفُ من أَعوانهم والجُوعُ والفِتْنَةُ وهْيَ أَعْظَمُ

حتَّى إذَا لم يَبْقَ من حياتهـا إلا ذَماءٌ تَدَّعِيـه الذِّمَمُ

دَعُّوا[1] العُهودَ وٱعْتدَوْا وما دَرَوْا بِأَنَّهـا بِحَبْلِكُم تَعْتَصِمُ

ظَنُّوا وكان الظنُّ منهم كاذِباً أَن لَيْسَ لِلّهِ جُنـودٌ تُقْدِمُ

ما صدَّقوا ان وَراءَ ٱلْبَحْرِ مَن يغضَبُ للاسلام حِـينَ يُظْلَمُ

ولا دَرَوا أَن لَدَيْكُم حُرْمَـةً يحفَظُهـا شَبابُكُم والهَرِمُ

لوْ عَرفُوا قَبـائِلَ العُدْوَة ما عدَوْا على جِيرَانِهم واجْتَرَمُوا

اليَومَ يَدْري كلُّ شَيْطانٍ بِها أَنْ قد رَمتْهُم بالشُّعاع الأَنجُمُ

تقـدَّمتْ نحوَهُمُ طَلِيعَـةٌ مِن نحوِكُم أَحظَاهُمُ التقَدُّمُ

---

١ ـ أي دفعوها ونقضوها .

فانتصَفُوا لِلدِّينِ من أَعْـدائِه وافتَرَعُوا عَلَيهِمُ واقتَسَمُوا [1]
وامْتَلأَتْ أَيدِيهِمُ من السِّبا وأَحسبَتْهُم نِعَمٌ ونَعَــمُ
يا أَهلَ هذي الارضِ ما أَخَّرَكم عنهُم وانتُم في الامور أَحْزَمُ
تسابَقَ الناسُ إلى مَواطِنٍ الأَجرُ فيها وافِرٌ والمَغْنَمُ
تعزَّزَ الكُفَّـارُ في دِيارِهم وعَزمُوا أَن يَهْزِمُوا فهُزِمُوا
فمِن سُيُوفٍ في رُؤُوسٍ تَنْحَنِي ومِن رِماحٍ في ذُرًى تحطَّمُ
وقامَتِ الحربُ على سَاقٍ فمَا زَلّتْ لأَهْلِ الصِّدْقِ منهم قَدَمُ
باعُوا مِن اللهِ ٱلْكريمِ أَنفُساً كَرِيمةً فَفاضَ منها الحِكَمُ
دَعــاهُم اللهُ إلى رَحْمَتِه وَحَيُّهم بين يَدَيْه يُخدَمُ
يَضْرِبُ بالسَّيْفِ فيُرضِي ربَّه وفي رِضَى الربِّ النعيمُ الأَدْوَمُ
مَيِّتُهم قد قَرَّ في رحمتـــه اجتَمعوا بِبَابِه وازدحموا
أَخرَجَه من بَيْتِــه إيمَانُه وحُبُّه في فِعْلِ مَا يُقَدِّمُ
ما هَمُّهُ إلَّا قِتالُ أُمَّةٍ يُكْبِرُ عِيسَى قولَهم ومَرْيَمُ
تُشْرِكُ باللهِ وتَدْعُو مَعهُ خَلْقاً يَصِحُّ جِسْمُه ويَسْقَمُ
وتدَّعِي أَنَّ له صاحِبَةً وابْناً ولا صاحِبَةٌ ولا ابْنُمُ

---

١ ـ أي أسروهم فصاروا يقترعون على اقتسامهم .

لَمْ يَثْنِـهِ عَن عَزْمِه اهلٌ ولا مالٌ ولا خَوْفُ نَعيمٍ يُعدَمُ

كيفَ وعَدْنٌ تحتَ ظِلِّ سَيْفِهِ والحُورُ عن يَمِينِـه تُسَلِّمُ

وَاللهُ راضٍ عنه والخَلْقُ له يَدْعُونَ مَهْما كبَّروا وأَحْرَمُوا

إخوانَنا ماذَا القُعودُ بَعْدهُم أَفي ضَمانِ الله مَا يُتَّهَمُ ؟

هلْ هِيَ إلَّا جنَّةٌ مَضْمونَةٌ او عَوْدَةٌ صاحِبُها مُكَرَّمُ

خُذُوا السِّلاحَ وانفِرُوا وسَارِعُوا إلى الذي مِن رَبِّكُم وُعِدْتُمْ

إن أَمامَ البَحْرِ مِن إخْوانِكُم خَلْقاً لَهُم تلَفُّتٌ إلَيْكُمْ

ونَحْوَكُم عيونُهم ناظِرَةٌ لَا تَطْعَمُ النومَ وكيفَ تَطْعَمُ

والرُّومُ قد هَمَّتْ بِهِم ومَالَهُم سِوَاكُمُ ردْءٌ فأَيْنَ الهِمَمُ

كلُّهُم ينظُرُ في أَطْفَالِه ودَمْعُه من الحِذَارِ يَسْجُمُ

أَينَ المَفَرُّ لا مَفَرَّ إنما هُوَ الغِيَاثُ أو إِسَارٌ أَوْ دَمُ

يا رَبِّ وَفِّقْنا وأَلْهِمْنَا لِمَا فِيه لَنا الخَيْرُ فأَنتَ المُلْهِمُ

يا رَبِّ أَصْلِحْ حالَنا وبالَنا أَنتَ بِما فِيه الصَّلَاحُ اعْلَمُ

يا رَبِّ وانصُرْنا على أعدائِنا يا رَبِّ واعْصِمْنا فأَنت تَعْصِمُ

يا رَبَّنا ما دَاوُنا شَيْءٌ سِوى ذُنُوبِنا فارْحَم فأَنتَ تَرْحَمُ

ولعبد العزيز المَلْزُوزي هذه المَلْحَمَة البارعة في ذكر غَزَوات يعقوب المنصور المَرِيني بالاندلس وغَزوات بنيه وقبائِل بني مَرين والعَرب .

بِحَمْد ٱلله أَفتَتِحُ الخِطابا ... وأَبدأُ في النِّظام به الكِتَابا
لعَلَّ الله يُبلِغُني الأَماني ... ويَفْتَحُ بالسرور عليَّ بابا
ويُرشِدُني إلى نقْلٍ صحيحٍ ... ويرزُقني من القَول الصَّوابا
هو المِلكُ الذي خلَق البَرايا ... وصوَّرَهُم وقد كَانُوا تُرابا
إِلاهٌ واحِدٌ حيٌّ مُريدٌ ... عليم قادرٌ بِالجُود حابَى
تقدَّسَ عن صِفَات الخلق طُرّا ... وأَن يُعْزَى له الوَصفُ اكتسابا
يُحيط بعِلْم ما تَحْوي عليه ... طِباقُ السَّبع إِن دُعِيَ استجابا
ويَعلَم في الاراضي السَّبع عِلْما ... يُحيط بِعَدِّ حصْبَاها حِسَابا
ولِمْ لَا وهْوَ أنشأنا امتِنانا ... وواعَدنا على الُحسنَى المثَابا
وأَنشأَ في السماء لنا بُروجاً ... وأَلْبَسَها بزِينَتِها ثِيابا
وأجرَى الشمسَ ثُمَّ البدر فيها ... وسخَّر بالرِّياح لنا سَحابا
لِتَسْقِيَ بَلْدَةً مَيْتاً بغَيْثٍ ... هَمُول بالحياة هَمَى وصَابا
واجرَى في بَسِيطتها عُيوناً ... مُدَفَّقةً وأَوْدِيَةً عِذابا
وارسَل في الورى منهم رَسُولا ... شفِيعاً مُصطفى يتلو كِتابا

مُحَمَّداً النبيَّ المُجْتَبَى من سُلالَةِ هاشِمٍ فالأَصلُ طابا
وقد أَسْرَى به مولاه ليلاً وجِبْرِيلٌ له اخذَ الرِّكابا
دَنا من حَضْرة العَلْيا تَدلَّى وحَازَ القُرْبَ منه فكَان قَابا
عليه صلاةُ ربِّ العَرْش تَتْرَى مدَى الايام تُورِثُنا الثَّوابـا
وما سحَّت بِماءِ المُزْن سُحْبٌ فَحَلَّى الزَّهْرُ بالزُّهْرِ الهِضابا
هو المبعوث بَشَّرَنَا بِبُشْرَى من المَوْلى وانذَرنا ألْعِقابا
وحرَّضَنَا على قتْلِ الاعادي نُضِيقُ بهم تِلالًا أَو شِعابا
ونبذُل في جهاد الكُفْر نَفْساً ومالًا قد جَمَعْنَاه اكْتِساباً
فصدَّقه أَبو بكر عَتِيقٌ وثَانيه ابُو حَفْص اجابا
وثالِثُهم ابو عَمْرو وَوَفَّى ابو حسَن طِعاناً او ضِرابا
همُ الخلفاء اربعةٌ تَواصَوْا على الاسلام صَوْناً واحتجابا
وباقي العَشْرَة المرضِيّ عنهم سَمَوْا وَعَلا ابنُ عوْفِهِم الشهابا
سعِيدٌ وابنُ جَرَّاح وسَعْدٌ زُبَيْرُ طَلْحَةُ كَرُمُوا صِحابا
همُ قد بايَعُوا المختارَ حقاً على أَن لا يُضَام ولا يُصابا
وانْ تفنَى نفوسُهُم احتِساءً لدين الله بُعداً وٱقْتِرَابا
وهُمْ قد جاهَدُوا في الله حقّا وسلُّوا في عُداتهم الذُّبابا

عليهمْ رحمةُ الرحمان تَمْلَا بِنُورٍ من قُبورِهم الرِّحابا
فقد بانُوا وبَانَ مَنِ ٱقْتفاهم خَفَا نورٌ بَدَا منهم وغابا
وعاد الدِّينُ بعدَهم حَقِيراً ومُنْسَحِقا ومُمْتَهَنا مُصابا
وصار بغَرْبِنا ٱلْأَقصَى غريباً فَيَا لِلدِّينِ يَغْتَرِبُ ٱغترابا
ولَمْ يُعْلَمْ جهادٌ للأَعادي بهاذِي ٱلْأَرْضِ يُحْتَسَبُ احتسابا
إلى أَن فتَّح الرَّحمانُ فيه ليعقوب بن عبد ٱلحق بَابا
لمولانا أميرِ ٱلْعدل مُلْك به ٱنسَلَبَتْ يدُ ٱلْكفر ٱنسِلابا
ولم نَرَ قَبْلَه في ٱلْعصر مَلْكاً أَرَانا في ٱلْعِدا العَجَب العُجابا
فَهَنَّأَه ٱلإلَاهُ السَّعْدَ فيه ونيَّةَ صِدقِهِ برّا أَثابا
دعا لله دَعوةَ مُطمئِنّ لِمَوْلاه دُعَاءً مستجابا
فَلَبَّى ٱللهُ دعوتَهُ وَسَنَّى له ٱلْحُسْنَى وَجَنَّبَه ٱلْصعابا
فجَازَ ٱلْبَحْرَ مُجتَهِداً مِراراً يقود إلى العِدا ٱلْخَيْل ٱلْعِرابا
فأَلْبَس مُلْكَهمْ ذلاً وصارتْ به ٱلاملاكُ تَرتَهِبْ ارْتِهابا
أَبعدَ جوازِ أَرْضِ ٱلْبِرْت[1] فَخْرٌ تَزِيدُ به مَنَالًا وَاعتِجابا

---

١ - أي جبال البريني وكان المنصور قد أوغل في أرض العدو حتى وصل الى تلك الناحية .

هو القُطبُ ٱلّذي دارتْ عليه | نجومُ ٱلسَّعدِ لا تخشَى اضطِرابا
بنُوه نُجُومُه وٱلبدرُ فيهم | وَليُّ ٱلعَهد مَن بالفضْلِ حابَى
أبو يعقوب مولانا ٱلمُرَجَّى | لِدَفعِ ٱلخطبِ أن أرْسَى ونابا
هو ٱلملِكُ ٱلذي أعطَى وأقْنَى | وصَيَّرَ طَعْمَ عَيْشٍ مُسْتَطابا
وأبناءُ ٱلإمارة ترْتَجيهم | وأحفَادُ العُلا اعتَصُبوا اعْتِصَابا
أُوَفِّي حقهم فردا فَفَرْدا | كما جعلُوا الجِهادَ لهم نِصابا
وأذكُرُ غَزْوَ هذا العامِ حتَّى | أُذَكِّرُ كلَّ شَخْصٍ ما أصَابا
وأنشُرُ من فَخار مَرِينَ بُرْداً | كما احتَزَبُوا لدينِهم احتزابا
وأرْوِي مدْحهُم في الدهر شِعْرا | أُدَوِّنُه وأُودِعُه الكِتَابا
لِيَبقَى ذكرُهم في الارض يُتْلَى | يَراهُ الرَّكبُ زاداً واحتِقابا
فعِزُّهم مَكينٌ في المعالي | وعِزُّ سِواهُمُ أضحَى سَرابا
سأُودِعُ غَزْوَهم في الرُّوم نصًّا | نِظاماً لا أخافُ به اضطِرابا
وأذكُر من وَقَائِعِهِم امُوراً | يَصِيرُ بِهنَّ طَعْمُ الشِّرْكِ صَابا
فهلْ مِن سَامعٍ خبَراً لُباباً | يُرِدُّ عليَّ بالصِّدْقِ الجَوابا
فيُصْغِي سَمْعَهُ نحْوِي امتِنَانا | يقُولُ إذا اصبْتُ: لقد أصَابا

وذلك ان مولانا أناخت   عَزائِمُه بطَنْجَةٍ الرِّكابا
فجازَ البَحْرَ في صَفَرٍ خَمِيساً   بخَامِس شَهْرِه رَكِبَ الغُرابا[١]
وحلَّ طَرِيفاً[٢] المولى بجَمْع   كَسَا شُمَّ المَعاقِل والهِضَابا
وفي غَدِ يَوْمِهِ ضُرِبَت لَدَيْه   هنالك قُبَّةٌ تُنْسِي القِبابا
زَهَتْ حسناً وجمَّلها سَناها   لها اخْتَارُوا من الحِبَرِ[٣] الثِّيابا
ولم يُرَ مثلُها في الحُسْن لكن   قدِ انتُخِبتْ بسَبتَةٍ انتخابا
فحلَّ بها كأنَّ الشَّمْسَ لاحتْ   بطَلْعَته ازْدهاءً واعتجابا
فيا لَكِ قُبَّةً يحكي سَناها   سنا الفَلَكِ المُحيطِ بها انتِسابا
وخلَّف عامِراً وأتى قَرِيباً   من ارْكُشَ[٤] ثمَّ رَامَ به اجْتِلابا
ورامَ نِكَايةَ الأعداء فِيه   فأوْسَعَه احتِراقاً وانتِهابا
ومِنه أَتى شَرِيشاً[٥] في جُموع   ووافَتْه محَلَّتُه[٦] إيَابا

---

١ – الغراب نوع من السفن .

٢ – جزيرة طريف التي في اول المجاز .

٣ – جمع حبرة بالكسر وهي بُرْد يَمان .

٤ – بلدة من عمل شريش تقع على نهر وادي لكه .

٥ – مدينة شهيرة من مدن الاندلس يقال لها بالاسبانية Jerez

٦ – المحلة في الاصطلاح المغربي الجيش والمعسكر .

فأوسعت الزُّروعَ بها احتصادا واوسعت الغُروسُ بها احتطابا
أذاقتْ من شَلُوقَة[١] كلَّ رَبْع ورَوْضٍ من قَناطِرها عَذابا
مَدينَتُها وقَلْعَتُها بُحَيْرٌ أشَاعُوا في نَواحيها الخَرابا
وجهَّزَ للعِدا منصُورَ جَيْش لِيَتْرُكَ دَارَهم قَفْراً يَبابا
علَى اشْبِيلِيَّةٍ أجرَى خُيولا فأوْسَع مَن بِسَاحتها انتهابا
سَبَى منهم وغادَر ألْفَ عِلْج تُطارِدُ عنهم الطَّيرُ الذِّئابا
وآبَ مُظَفَّراً وابُو عَليّ أخُوهُ أتَى وقدْ حَمدُوا الايابا
وجهَّزَ جَيْشَه عُمَرٌ ووافَى ذُرَى قَرْمُونةٍ[٢] يحْكِي العُقابا
ولم يتْرُكْ بها احداً سِوَى مَن بها ينكَبُّ في الأرْضِ انكِبابا
أتَى بغَنائمٍ ملأتْ عديداً بَسيطَ الارض بل غَطَّت شِعَابا
وجيْشُ أبي مُعَرِّفٍ المُعَلَّى علَى اشْبِيلِيَّةٍ حطَّ القِبَابا
أتَى بِغَنيمَةٍ فيها سَبايَا وأوْصَل مِن مَراكِبِهم لُبابا
بِذَاكَ اليوم سَار أبو عَليّ إلى بُرْجٍ فصَيَّرَه خَرابا
وغَزْوَةَ مَشْقَرِيطٍ[٣] ليس تَخْفَى فضَائِلُها لقد حَسُنَت مَئابا

١ — مدينة تقع في مقاطعة قادس ويقال لها بالاسبانية (Sanlucar) .
٢ — بلدة حصينة تقع شرق اشبيلية .
٣ — حصن بناحية قادس يسمى بالاسبانية (Majaceite) .

ولا أنسَى البُروزَ على شَرِيشٍ فأهلُ البُرْج قد ذَاقُوا العَذابا
فذاكَ اليومُ أعظَمُ يوْم حربٍ رَأيناه إذا ذكرُوا الضِّرابا
ويَوْمُ وُصولِ مولانا المُرجَّى ابي يعقوب أشْرَف واسْتَطابا
هناكَ بُروزُ أهلِ الدِّين رَدَّتْ مَحاسِنُـــه على الدهر الشَّبابا
ولا أنْسَى القَناطِرَ حين دارَتْ بها الإِسْلاَمُ [1] تُوسِعُها انتِهابا
وأهلُ شَرِيشَ لَمَّا ان تَراءَى وَلِيُّ العَهدِ قد فَرِقُوا ارْتِعابا
هنالك خصَّص المولى بجَيْش أَبَا يعقوبَ مولانا وَحابى
بأربعةٍ من الآلاف خيْلاً مُسَوَّمَـةً مظفَّرةً عِرابا
وأجْرَى الخيل من كل النواحي على اشْبِيلِيَّةٍ شَرْفاً وغابا [2]
فلم يتْرُكْ بتِلْك الارض خَلْقا أسارَى او سَبـايا اوسِلابا
فتِلْك غَنِيمَةٌ ما إن سمِعْنا بهذَا العامِ أكْثَرها انجِلابا
وبعدُ أتى ابو زيَّان وَافَى شَرِيشاً بالبُروز وما اسْتَرابا
بهـــذا اليوم جهَّزه بألْفٍ إلَى قَرْمُونةٍ وافَى الصَّوابا
وجاء بزَرْعِها وانحازَ عنها إلى اشْبِيلِيَّةٍ ولهـــا اسْتَنابا

---

١ ـ هو على حذف مضاف اي اهل الاسلام .
٢ ـ الشرف المكان العالي والغاب جمع غاب ويريد بهما جبل اشبيلية وغابتها.

وقتّل أهلَهـــا وسَبَى ووَلّى حَميداً في سُرورِ مَن اْستطابا

ومولانا ابو يعقوبَ وافَى شَلُوقةَ ثُمَّ حرّقَهـــا ضِرابا

إلى كَبْتورَ[1] أَعمَلَ حدَّ عَزْمٍ لو أنَّ الهِنْدَ مُسَّ بِه لَذابا

أحاطَ برَبْعِهـــا بَرًّا وبحراً فدمَّرها وصيَّرهـــا يَبابا

وخلّف أرْضَها غَبْرَا واضحَت حَمامةُ حُسْنِ مَغْناها غُرابا

* * *

ولمَّا دوَّخ اْلمولى النصارَى وأَلبَسهُم من الذُّل الثّيـــابا

ولم يتْرُكْ بارِضِهم طَعـــاماً ولا عَيْشاً هَنيًّا مُسْتَطـابا

وأعْوزَه بها عَلَفٌ وطالَتْ بها حرَكاتُه قَصَدَ الإيابا

وقدظَهَرَتْ لِأُسطولِ الأعادي علامَاتٌ تَزيدُ بِه اْرْتِيـابا

فلمَّا حلَّ رَبْعَ طَرِيفَ والَى إلى أَجفَانِه[2] اْلغُرِّ اْلكِتَابا

فيـامُر أن تُجَهَّزَ للاعادي أَساطِلُه فأَسْرَعَت اْلجَوابا

فجَهَّزَها ووافَتْ باحتِفَال وبأْس منه رأسُ الكُفْرِ شابا

---

١ ـ قرية من قرى مدينـــة اشبيلية تقع على الوادي الكبير ويقال لها ايضاً قبتور بالقاف .

٢ ـ جمع جفن بمعنى السفينة .

هُنالِك شَنْجَةٌ [١] وافَى شَرِيشاً بلَيْـــل ثمَّ عايَن مَا أَرابا

فوجَّه منه أَرْسالَ ٱلنَّصارى إلى ٱلمَوْلَى لِيُسْعِفَه ٱلطِّلابا

يُطَالِبُه بعَقْدِ ٱلصُّلْح يُعطِي له ماذا أَرادَ وَما ٱستَجابا

ولم يقْبَل لهُم قَوْلاً وآبَتْ له الأَرْسالُ حائِرةً خِيَابا

ولم يرْدُدْهم المولى سِوى مِن حديثِ ٱلْبَحْرِ لا يَرْبُو ٱرْتِيابا

فغَرَّبَ جيشُه المنصورُ بَحْراً الى أفْرُوطَةِ [٢] ٱلْكُفْرِ ٱنسِيابا

فلمَّا برَّزَ الاسطولُ فرَّتْ جيُوشُ الكفرِ في البَحْرِ ٱنسِرابا

وما أَلْوَتْ على مُتَعَذِّريها ولو سُئلتْ لمَّا رَدَّت جَوابا

فجاز إلى ٱلْجَزِيرة في سُرور يُجَدِّد غَزْوةً تُبدي العُجابا

فوافَتْه بها ٱلأَرْسالُ تَبْغي بعَطْفَتِـه من الصُّلح ٱقْترابـا

فأَسعفَهُم به جازَاه ربي على آرائهِ ٱلْحُسْنى الصوابا

ويَجْعَلُ فيه للإِسْلام طُرّاً مَصَالِحهَا التي تَرِد الطِّلابا

وذلك مِنْ أُمور قد حَكَاها لنا ٱلمَوْلى وَأَحصَاها حِسابا

فبادَر شَنْجَةٌ في ٱلصُّلْح حتى تقَرَّب مِن مَدِينَته ٱقْترابا

---

١ ـ يريد شانتو ابن الفونش العاشر ملك قشتالة .

٢ ـ الأفروطة الأسطول .

وجاء لِغيلِه ٱلْأَعْلَى وأَعطَى هَـدِيّاتٍ لِمَوْلانا رِغَـابا
فكانَ هُناكَ بينَهُما أمورٌ يُنَسِّيني السرورُ بها ٱلْخِطابا
وأسرَعَ شَنْجَةُ للعَقْدِ حِرْصاً وأَظْهَر فيه للمَوْلى ٱرْتِغَابا
فتمَّ الصُّلْح بينَهُمَـا لِعُذْرٍ مُبينٍ واضِح والسرُّ غَابـا
فَهذي جُمْلَةٌ والشرْحُ عِنْدي سأُودِعُـه بإيضاحٍ كِتابا

* * *

هنيئاً يا مَرِينُ لقد علَوْتم بني ٱلأَملاكِ بأْساً وٱنتِجابا
وفاخَرتم بمولانا ٱلْبَرايا فأعطَوْكُم قِيَاداً وٱنْغِلابا
أبعدَ الفُنْشِ[1] وٱبنِ ٱلْفُنْشِ يَبْغِي رِضاكُم لا يَخافُ به ٱلْعِتابـا
فحِزْبُ مَرِينَ حزبُ ٱللهِ يحمي حِمَى ٱلإسلام لا يَخْشَى عِقابا
إذا سلُّوا السُّيوفَ ترَى ٱلاعادي وقد حلُّوا ٱلرُّبى مَدَّت رِقَابا
همُ أشفَارُ عيْنِ الملكِ تَذْرِي عن ٱلْمُلْكِ ٱلْقتامَ او ٱلتُّرابا
وهم مِثْلُ الانامل حيثُ مدت يدُ ٱلامر التي تُعْطِي ٱلرِّغابا

* * *

مَرِينُ لقد مَدَحْتكُم فوَفُّوا لِمَادِحِكم بِبُغْيَتِه ٱلثَّوابا

---

١ ـ يريد الفونش العاشر الملقب بالحكيم وابنه شانتو .

وقد ورَّختُ دولتَكُم وصارتْ   حِلًى يحدُو بها ٱلحادي ألرِّكابا
وكلُّ مُنَظِّم شعراً سيفْنَى   ويبقَى فيكُمُ مَدْحِي كتابا

ولابي العباس أحمد بن علي ٱلمَلْيَاني ٱلمَراكشي الكاتب صاحب علامة السلطان أبي يعقوب المريني :

العِزُّ مَا ضُربتْ عليه قِبابي   والفضلُ ما ٱشتملتْ عليه ثِيابي
وٱلزَّهْرُ ما أَهداه غُصْن يَراعتي   والمِسْك ما أَبداه نِقْس كِتابي
فالمجد يمنَع ان يُزاحَم مَوْرِدي   وٱلْعَزْم يأْبى أن يضَام جَنَابي
فاذا بلوتُ صَنيعةً جازَيْتُهـــا   بجَميلِ شكْري او جَزيل ثَوابي
واذا عقَدتُ مَودَّةً أَجرَيْتُهـــا   مَجْرى طَعامي مِن دَمي وشَرابي
واذا طلبتُ من ٱلْفَراقِد وٱلسُّها   ثَأْراً فأَوْشِكْ أَن أَنال طِلابي

وللرئيس عبدِ المُهَيْمِن الحَضْرمي :

أَبتْ هِمَّتي ان يَراني امرُؤٌ   على الدهر يرماً له ذا خُضوع
ومَا ذاك إِلَّا لِأَنِّي ٱتَّقَيْتُ   بعِزِّ ٱلْقَنـــاعة ذُلَّ الخُشوع

ولابي زَيْد المكُوديّ :

نحنُ بنُـــو مَكُّودِ   أهلُ ٱلتُّقى والجُودِ

نَكُرُّ في ٱلأَعادي كَكَرَّةِ ٱلأُسُودِ

ولِدَاوُد بن عبد المنعم الدُّغوغِي يَصِفُ مَعْرَكَة وَادِي المَخَازِن ،

جَنَى ٱلنصرِ ما بين ٱلظُّبَا وٱلكَنائِن[1] على سَابقَات المذكيات الصَّوافِن[2]

فبين المعالي وٱلْمَآثِرِ[3] في ٱلْوَغَى يجُولُ الذي يَبْغي اقْتِحامَ ٱلْمَدائِن

هي ٱلسُّورُ مَن يجتزه حلَّ بِسَاحِها فحلَّ له منها ٱمتلاكُ ٱلمَخَازِن

ومَن لم يخُضْ بحرَ الحرُوبِ فلا يُرَى لِحَوْزَتِهِ دون العدا خَيْرَ صائِن

ومن لم يخُضْها بالثَّبَات فرأْيُهُ يَفِيلُ[4] ويُمسي حظُّه جِدَّ خَائِن

وماذا يُفِيدُ الجيشُ إن كان رَبُّه كَسِيبَسْطِيَانٍ[5] عندَ وادي المَخازِن

يقودُ لها ما يحجُب الشمسَ نَقْعُه مَيَاسِرُهُ لا تلتقي بمَيَــامِن

أتى سَادِراً يخْتال في غُلَوائه وفي صدْره للدين غَلْيُ ٱلضَّغائن

يُسَرِّبُ نحوَ ٱلْمَغْرِبَيْنَ جُنودَه كمِثْلِ الدَّبَا[6] عن مَاخِراتِ ٱلسَّفائن

---

١ – الظبا السيوف والكنائن جمع كنانة وهي الجعبة التي تجعل فيها السهام.

٢ – جمع صافن وهو الفرس الذي يقوم على ثلاث قوائم من نشاطه .

٣ – جمع مأثور وهو السيف .

٤ – يخطىء .

٥ – Sebastian هو ملك البرتغال الذي قاد حملة وادي المخازن فكانت الكرة عليه وراجع الفصل الاول من عصر السعديين الجزء الاول .

٦ – صغار الجراد .

وما قصدُه إلا انتهاكُ حَرِيمِه ... ودَكُّ صَياصِيه[1] وبعْثُ الدَّفائِن

وقَوْدُ أُسارى المُسلمين لأَرْضه ... يُقَدِّمُهم للصَّلْبِ مِثْل ٱلْقَرائِن

ولهْوٌ بأَبكار ٱلْخُدور بنَاتِنـــا ... فيُصْبِحْن من خُدَّامه وٱلسَوادِن[2]

فذا مَكْرُه واللهُ يمكُر مكْرَه ... به، إذْ حَداهُ نحوَ تلك الأَماكِن

فخَيَّم في تلك ٱلْجِهات وَعيْنُه ... لِمَرّا كُشَ الحمراءِ لا لِتِطَاوُن

ولكِنَّه مع حَفْـــلِه بمَدافِع ... وبيضٍ وسُمْرٍ وٱمتلاءِ ٱلْكَنائن

تخلَّف رَبْطُ الجأْشِ عنه فردَّهُ ... على خِزْيه صِفْرًا ولَوْمن فَراسِن[3]

تجمَّع جندُ الله من كل وِجْهةٍ ... وقد غَصَّ من مَدينه كلُّ دائن

من ٱلْمَلِك ٱلْمِقْدام فالعُلَماءِ فا ... لشُيوخِ أُولي التقوى وأهلِ ٱلْبَواطن

وتِلْوُهم الأَجنادُ وٱلناسُ كُلُّهمْ ... تضِلُّ بهم أَبصارُ كل مُعايِن

فشَبَّتْ لَظى الهيجاءِ ليس وَقُودُها ... سوى أَنْفُسِ الشجعانِ وَسْطَ الميَادِن

إذا أَرْعَدَتْ تلك المَدافِعُ أَبْرقَت ... صَقيلاتُ بِيضِ الهند[4] فوقَ اليَمائِن[5]

---

١ — حصونه .
٢ — جمع سادنة وهي الخادمة .
٣ — جمع فرسن وهو خف الشاة والبعير .
٤ — اي السيوف الهندية الصقيلة .
٥ — جمع يمين مزادا بها اليد .

فلَوْلا البُروق الخاطِفَاتُ من الظُّبا لَما أَبصرَتْ عينٌ خِلالَ المَداخِن
قد انقضَّت الفُرسانُ منَّا عليهم م انقِضَاضَ صُقُورالجوِّ فوْقَ الوراشِن[1]
وصابَر كلٌّ قِرْنَه فمُجَنْدَلُ الثَّرى وجَرِيحٌ ساحِبٌ لِلمَصَارن
وهامُهمْ مثلُ الكُرِينَ[2] وقد غدَت سنَابِكُ خَيْلِ الله مثلَ المحاجن[3]
وسِيبَسْطِيانٌ كفَّنَتهُ مِيَاهُه هَزِيماً ، وماءُ النهر أفظَعُ كافِن
فحين قضَى البَتَّارُ في الكُفر ما قَضى وأشلاؤُه نتْنٌ بغَيْر مدَافِن
رأَيْتَ أُلوفاً من رُؤُوسٍ تجمَّعت ويا لَيْتَها أَيْضًا جِدَارُ المَآذن
هنالك نصرُ المُؤمنين مُؤَزَّرٌ على كلِّ ذي كفر ، تَهجَّم ، ضاغِن
فذلك يومٌ مثلُ بدْر وصِنْوِه حُنَيْنٍ بأيْدي المؤْمنين المَيامِن
لقد ذاق فيه البُرْدُقِيزُ من الرَّدى جزاءُ مناحِيسٍ خزَايَا ملاعِن
بغَوْا فجنَوْا جَنْيَ البُغاة فأصبحوا سِمادَ الفَيافِي لا سِمَادَ الفَدادن
فَلِلثُّكْلِ ما كانَ الهَزِيمُ لأَرْضِه
وللصَّقْر مَن ذاقُوا الرَّدى ، والشواهِن

١ – جمع ورشان وهو نوع من الحمام البري .
٢ – جمع كرة .
٣ – جمع محجن وهو العصا المنعطفة الرأس والمراد المضرب الذي ترمي به الكرة .
٤ – جمع شاهين وهو طائر من الجوارح

فنحمدُ ربَّ ٱلْعَرشِ إذْ كان دِينُنا لأَهلِ ٱلوَغى وٱلْبَأْس خيْرَ المعادنِ

ولأَبي حامد الفاسي :

ومُنْكـرٍ فَضْلِيَ ما سَاءَنِي بَلْ سَرَّنِي مَا نفسَهُ أَلْزَما
مَن أَنكرَ ٱلشمسَ بصَحْوٍ ضُحىً أَمْضَى على عَيْنَيْه حُكمَ ٱلْعَمى

ولابي عليّ ٱليُوسِي يُفاخِرُ أَهلَ فاس وكانت بينه وبينهم مُنافَسة :

على رِسْلكُم يا أَهلَ فاسٍ فإِنني فتىً لست بالفَدْم ٱلْغَبِيِّ ولاٱلْغُمْر
أَنا ٱلصَّارِمُ الماضِي ويَارُبَّ نافِثٍ يَخْلقُ[١] في ٱلْبَحْثِ الأَديمَ ولا يَفْري

وله ايضاً :

إني امرُؤٌ لا أَنثَني غَبَنـاً يومَ المِصَاعِ بصَفْقة الوَكْسِ[٢]
وإذا ٱسْتَطَالَ ٱلْبُورُ من فَرِقٍ[٣] لا يَنْزَوي خَلَدي على رِجْس
وإذا ٱلزَّمانُ أَحالَ نائِبُـه حَالي عففْتُ فلَمْ يُحِلْ نَفْسِي

---

١ – من خلق الأديم اذا قدره قبل القطع وهو ينظر الى قول الشاعر :
ولأنت تفري ما خلقت وبعـض القوم يخلق ثم لا يفري
٢ – المصاع بالكسر المجالدة .
٣ – البور الفاسد من كل شيء .

وإذا ٱسْتَطابَ ٱلْهُونَ مُحْتَسِبا نَذْلٌ فَلسْتَ تَراه في كَأْسي
أَرْعى ٱلْهَبِيدَ[١] على ٱلقِنَان إذا كان ٱلْفُراتُ يُشابُ بالكِرْس[٢]
وإذا ٱسْتُسِمْتُ ٱلْخَسْفَ في بَلد يوْما زَمَمْتُ لِغَيْره عَنْسي[٣]
كلُّ ٱلْبِلادِ لذي الحِجا وَطَنٌ وٱلنَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو جِنْس

وللأَدِيب محمد بن احمد بن ٱلشَّاذلي ٱلدِّلائي المتوفى سنة ١١٣٧

ما إن يَعِيبُك فَقْدُ الحَلْيِ والحُلَلِ إن أنتَ بالهِمَم ٱلشمَّاء كُنْتَ مَلِي
قد ضَلَّ من ظنَّ ان المال يَرْفَعُما أَوْهى ٱلسؤالُ بِعرْضٍ فيه مُبتَذَل
لابارَكَ ٱللهُ بعدَ ٱلْعِرْضِ في عَرضِ م الدُّنيا ولا نِلْتُ ما بالعزِّ لم أَنَل
ورُبَّ جاهــلةٍ هبَّت تُعاتِبُني أَن كنتُ عن غَمْرِ عيشٍ مُوثِرَ ٱلْوَشَلِ
قالتْ رأَيتُك ذَا قوْل تُحَـبِّرُهُ أَزْهى من ٱلروضِ غِبَّ ٱلواكِفِ الهَطِلِ
وفي المُـلُوك له كُفْؤٌ فأَمَّهمُ حتى يُعِيدُوكَ ذا خَيْل وذا خَوَل
ولستُ أُصْغِي وان لَجَّت لِتَعْذِلبي عن مَنْهَجِ ٱلصَّوْن بالتَّعتاب وٱلْعَذَل
وإنَّ مِنْ كَرَمِي بُخْلِي بشِعْرِيَ عن تَقْرِيظِ ذِي كَرمٍ أَوْ ذمِّ ذي بَخَل

---

١ ـ الهبيد الحنظل .
٢ ـ الكرس بالكسر ما تبدد من البول والبعر .
٣ ـ ناقتي .

فلَنْ تَرَيْني مُذيلاً ما حَييتُ له ... في غَيْرِ ذِكْرِ ٱلْوَغى وٱلأَعْيُنِ النُّجُلِ
يأْبى إِبَائي وآبَائي ويَأْنَفُ لي ... مجدُ أَنافَ ـ ولم يقْنَعْ ـ على زُحَل
نفْسُ الكَريمِ تَعافُ الوِرْدَ يصحَبُه ... ذُلٌّ على ظَمَإٍ في الجَوْفِ مُشتَعِلِ

* * *

لو كُنتُ سائِلَ غَيْرِ ٱللهِ لم أَسلِ ... غَيْرَ المَذاكِي[1] وغَيْرَ البِيضِ وٱلأَسل
ما شِمْتُ[2] بارِقَ عضْبٍ كنتُ شائِمَه ... إلا ٱنتَجعْتُ[3] به أَحْيَا من السَّيَل
لا تَرْضَ بالعَيْشِ في ظِلِّ الهَوانِ وخُضْ ... لِنَيْلِ عزٍ غِمَارَ الموْتِ والثَّكَل
فليسَ يُدْرِكُ بالجُبْنِ البَقاءَ ولا م ... الاقدامُ يَقْضِي بما لم يُقضَ في الازل
حلَبْتُ شطْرَيْ صُروفِ الدَّهرِ[4] من عَدمٍ ... ومن يَسارٍ ومن صَابٍ ومن عَسل
فما بطِرْتُ لإِثْراءٍ ولا حَسَبي ... بدتْ به خَلَّة تنْتابُ من خَلَل
وكنتُ إمَّا بدَالي من حِليً عَطَلٌ ... أُلفِيتُ من حَلْيِ فَضْلي غيرَ ذي عَطل
وَشْيُ [illegible] [illegible] فَوْقَ صَفْحَتِه ... يُغْنِيه عن شِيَةِ ٱلأَغْمادِ والحُلَل

---

١ – جمع مذك وهو من الخيل ما تم سنه وكملت قوته .
٢ – شام البرق نظر الى سحابته اين تمطر .
٣ – الانتجاع طلب الكلأ .
٤ – هو من قولهم حلب أشطر الدهر اي جربه وعرفه .

ولأبي حفص الفاسي :

قُلْ لمن يعْلو على ٱلنَّا ـ س بآبـــاءِ سَراة :
ليْسَ مِن شأْني فَخارٌ بعِظَـامٍ ناخِرَاتِ
ما فَخارُ المرْء إلَّا بعُـلومٍ زاخِرَاتِ
وسَجـــايا ومَزايَا وهِبَـاتٍ وَافِراتِ
ونِضَـــالٍ بنِصَالٍ في مَجالِ ٱلْغَمَراتِ
وجِفـانٍ كالجوابِي[1] وقُدورٍ رَاسِيَـاتِ

وللأديب مُحمد بن ٱلطيِّب سُكَيْرِج المتوفى عام ١١٩٤ :

أَلَا قُلْ لِغُمْرٍ جـاهِلٍ وحَسُود غَبِيٍّ بَليدِ ٱلطَّبْـعِ حِلْفِ جُمُود
يُنَافِسُ في ٱلْعَلْياء حَبْراً مُهَذَّبا لهُ في مَقام المجْد خَيْرُ شُهود
لَعَمْري لَقد أرْقَيْت نفسَك لِلْعُلا بِلَا سُلَّم إذْ لَمْ تَبُؤْ بِفَرِيد
وحاوَلْتَ أمرًا لستَ تعلَم أنه تَمَنَّع عن ذي مَنْعَـةٍ وعَـديد
فكَم ظَلْتُ أسعَى في رَشادك عَلَّني أَراك حَذُورًا مِن شَديد وَعيدي
فها أَنا ذَا مُسْتَجْمِـعَ ٱلْفِكْرِ راكِباً مَطِيَّةَ فَخْرٍ في مَقـــام شُهود

١ – جمع جابية وهي الحوض الذي يجمع فيه الماء لشرب الابل .

تيَقَّظْ لِقَوْلي واْسْتَمِعْ كلَّ حُجَّة — فإنَّك يا ابْنِ ٱلْقِنِّ بَيْتُ قَصِيدي
وخُذْ مِن قِرَى ٱلأَبطال ما أنتَ طالب — فلستَ على رَاجي ٱلنَّدى بِشَديد
ولا تَأْسَ إن أبصَرْتَ زِلْزالَ بارِقٍ — تَقَدَّمه نَكْباء ذاتُ خُلود
وإنَّك ما نبَّهْتَ مِـــنِّي نَائِماً — فلِلطَّعْن فاصْبِرْ واعْتَجِرْ بضُمُود
فأَمَّا اكْتِسابُ المجْدِ من عَهْدِ يَعْرُبٍ — فَما هُو عن أَسلافِنا بِبَعِيـــد
وأما ٱلعُلا فاسْأَل تَرَى فَضْلَ أَهلِنا — فكَمْ حمَلُوا للمُصْطَفَى من بُنُود
وأما رِعَايَاتُ ٱلذِّمام فإنَّهـــا — بأَذْيالِنا نِيطَتْ بِغَيْرِ جُحود
وأما ٱلنَّدى فانْظُر بعَيْنك حيِّنا — فَإنَّ عُيونَ المرْءِ خيْرُ شَهيد
تُخَبِّرُكَ ٱلآنَامُ عنِّي حَقيقَةً — بأَنِّيَ في لَخْمٍ أعزُّ وَلِيـــد
ذَوِي الحسَبِ الموفورِ والحِلْمِ والتُّقى — وكلِّ فَخَـــارٍ دَاثِرٍ وجديد
إذا بَرزَت يَوْماً طَلائِعُ حِزْبِهم — ترى ٱلعِزَّ يُومِي نحْوَها بسُجود
تراهُم لدَى ٱلهَيْجاء أُسْدًا فَواتِكاً — وفي ٱلسِّلْم سُبَّاقا لكل مَشيد
أَكُفُّهم تجْري على كل حالةٍ — بحَرْب وسِلْم من نَدًى وَجسِيد[1]

ولِحُرْمَة بن عبد الجليل ٱلعلوي ٱلشِّنْقِيطي يَفْتخر بقومه :

دَمٌ أَهْــدَرَتْه ســادَةٌ علَوِيَّة — وما كان فيهم مثلُ ذلك منكَرا

---

[1] الجسيد الدم .

ومااْستنصروا غيرَ الصَّوارمِ ناصِرًا ... وأَغْنتْهمُ عمَّن أَتى مُتَنَصِّرا[1]

يخُوضُونَ يومَ الرَّوْعِ في لُججِ الرَّدى ... لأَنَّ مَنالَ الْعز فيهنَّ ، أَبْحُرا

يُسابق عَزْرَائيلَ وقْعُ سيوفهم ... اذا ما مُحَيَّا الحرب أصبح مُسفِرا

فكَمْ مَشْهَدٍ في الحرب يُثني عليهمُ ... وكم مَعشر من بأسهم كان أَزْورا

تَراهُمْ وليس الدهر الا نَوائباً ... إذا كبُرتْ تلك النوائبُ ، أَكْبَرا

سَما للمعالي مَن تقدَّم منهمُ ... ويسمُو على آثاره من تأَخَّرا

مَآثِرُهم حَلْيُ الزمان لَو انَّه ... على صُورة الانسان كان مُصوَّرا

فكَم من فتى منهم يرُوقُك علمُه ... ويَهْزِمُ من أَنجاد وَادَان عسْكَرا[2]

ويجْعَل في إحدى يديه مُهنَّدا ... طريراً وفي الأخرى كتاباً مُطرَّرا

يُحِبُّ الردَى يوم الوغى فكأنه ... اذا مات فيه لا يَزَالُ مُعمَّرَا

بطرْفِك فانظُر كي تَرَى بعضَ مَجْدِهم ... اذا أَنتَ عن ادراكه كنتَ مُقْصِرا

وللوزير ابن ادريس العَمْراوي :

شِعْبي وشِعْبُ الغَواني غيرُ ملْتَئِم ... ووَصْلُهُنَّ أَرَى ضَرْباً من الحُلُم

---

١ – أي ناصراً .

٢ – وادان قبيلة كانت في حرب مع قوم الشاعر .

كَمْ لي أُسائل عن سَلْمى وجارتها وعن رُسوم عفَتْ وأَيْنُقٍ رُسُم
وكم أُكَفْكِفُ دمْعاً في مَرابعها ضَلاًّ وأسأل عوْناً واكِفَ الدِّيَم
والشَّيبُ قد لاح في فَوْدِي وَقنَّعني والسيفُ أَحسَنُ فِعْلاً منه في اللِّمَم
أَسْرَى بليـل شبابي فاستنَار به كغَاسِقٍ لاحَ في دَاجٍ من الظُّلَم
وبصَّر العَيْنَ سُبْلَ الرُّشد فانبعثت أَخلاقُه لِطِلاب المَجْد والكَرم
نفْسِي عن الكُبَراءِ القَدْرِ قد كَبُرت وفَوْق هام الثُّرَيا قد عَلَت هِمَمِي
ماذا يقول ذوُوا البَغْضاء في رجلٍ خَالٍ عن الكِبْرِ مُكْسًى حُلَّةَ الحِكَم
والعُرْبُ بالبَاب والاخبار سائرةٌ وأَلسُنُ الخلق تُبْدي كُلَّ مُكْتَتَم
أَصُونُ مـاءَ المُحيَّا عن إراقته ليس الدَّناءَةُ والإلحاحُ من شِيَمي
ولا أَمُدَّنَّ عيني نحو عارفَـة من كَفِّ نذْلٍ ولو أَرْبَى على هَرِمٍ[1]
وكم فتى لِجَنَابِ المُلك مُنتَسِبٍ أَعدَى على المال من ذِئْب على غَنَم
يظَلُّ يُسْدِي ويَهْذِي في زَخارفه وليْس يصْدُقُ في ضَرْب من الكَلِم

وله أيضاً :

سَلِ الرُّواةَ عن نفَثَاتِ شعري فكم أَبْرَأْنَ مَن قَلْب سقيم

---

١ — هرم بن سنان الجواد المشهور ممدوح زهير بن أبي سلمى .

وكم أظهرن جوداً من بخيل وكم أولدن من فكرٍ عقيم

فان الشعر في التحقيق سحرٌ كما قد جاء في الأثر الكريم

ولي في نظمه القِدحُ المعلَّى وأسرارٌ تغيبُ عن العليم

فأنظِمُ حين أنظِمُ رائعاتٍ تفوقُ الدرَّ في العِقد النظيم

وارفعْ بالمديح مقامَ قومٍ وان كانوا ذوي أصل لئيم

واحمِلْ بالهجاء منارَ قوم وان كانوا ذوي قدر عظيم

ولي قلمٌ له بأسٌ شديد يُثَلِّم حدُّه حدَّ الصريم[1]

ويترك ضربُه الأقرانَ صرعى لدى الميدانِ بالضَّرْب القويم

ولمحمد بن الشيخ سيِّدي الشنقيطي :

أزف الرحيلُ فقرِّبا أجمالنا ثُمَّ انمِيَا[2] فوقَ الجمال رِحالَنا

إنّا إذا بلدٌ نبا يوما بنا حملتْ لآخرَ نُجُبُنَا أثقالَنا

تأبى أنوفُنا أن لا نُنيطَ حبالَنا الا بأحبل من يُحبّ وصالنا

نطوي على الشَّعَث المواصِلَ ما طوى صدراً على أن لا يشُدَّ حِبالنا

---

١ - الصريم كالصارم : السيف

٢ - ارفعا .

ستراً عليه وفي هواه ووصْلِه نعْصِي ولو آبَاءنا عُذَّالَنـــا
واذا رمـاه الدهرُ كنّـا دُونَه تُرسْاً ونمنَحُ مَن رماه نِصالَنا
مـا إن تَقِي أَموالُنا مُهجاتِنـا كلَّا ولا مُهجاتُنا أَموالَنـــا
واذا دعا كنّا الجوابَ وان سعى كنَّا حَوالَيْـه وكان خِلَالنـــا
ويُصيبُ مَن صافَى العدُوَّ عداوُنا وَينـالُ من وَالى الولِيَّ نوَالَنـا
خُلُقاً لَنـا لا صالحـين لِغَيْره خُلُقا وليس بِصَالح الَّا لنـــا

الغزل والشوق والنسيب

قال المولى إدريسُ الثاني :

لوْ مُدَّ صَبْري بِصَبْرِ الناس كلِّهم لَكَلَّ في رَوْعتِي أوْ ضَلَّ في جزَعي

بانَ الأحِبَّةُ فاستبدلتُ بعدهم همّاً مُقيماً وشَمْلًا غيرَ مُجتَمِع

كأنّني حين يُجْرِي الفكرُ ذِكْرَهم على ضَميريَ مَجْبُولٌ على الفزع

وكيف يصْبِرُ مَطْويٌّ هَضائِمُه[1] على وَسَاوِسِ هَمّ غيرِ مُنْقَطِع

اذا الهموم توافَتْ بعد هَجْعَتِه كرَّتْ عليه بكأس مُرَّةِ الْجرع

وقال ابنُ القَابِلَة السبتي :

وَوَجْه غَزَال راقَ حسناً أديمُه يَرى الصبُّ فيه وجْهَه حين يُبْصر

تعرَّض لي عندَ اللّقاء به رَشا[2] تكادُ الحُمَيَّا من مُحَيَّاه تقْطُر

---

١ – يعني جوانحه .

٢ – الرشأ ولد الظبية .

وَلَمْ يَتَعَرَّض كي أراهُ وإنما أَرَادَ يُرِينِي أَنَّ وَجْهِيَ أَصْفرُ

وقال الكاتبُ أبو بَكْر بن عطاء السَّبْتِي مُقاطعاً :

سأَمْنَعُ قلْبي أَن يكون لكم مَثْوَى وأَستَدْفِعُ البَلْوى وأَسْتَصْرِفُ اللَّهْوا

وما سرَّني بَعْدَ الرِّضا إذْ غَدرتُم وغادَرْتُم بين الحشا هَضْبَتَي رَضْوَى

وصيَّرتُم العُتْبَى عِتَاباً فكلَّما أَبُثُّكم شَجْوِي تزيدُونني شَجْوَا

قضَى اللهُ أَنْ أُقصَى وأُصفيكم الهوى وغيري يُستَدْنَى وإن كان لا يَهْوى

وما كان ظَنِّي قبلَ ذا أَنَّ حاسِدي بِمَنْهَلِكُمْ يَرْوَى وأَنِّي لا أَرْوَى

وما جَلَّتِ البلوى عليَّ وإنَّما شماتَةُ أَعدائي أَجلُّ مَن البلوى

وقالت السيدة أمَة العَزيز الحُسَيْنِيَّة :

لِحاظُكم تَجْرَحُنا في الحشا ولَحظُنا يَجْرَحُكم في الخُدود

جُرْح بجُرْحٍ فاجعَلُوا ذَا بِذَا فما الذي أَوْجَبَ جُرْحَ الصُّدود

وقال ابو الحسن بن زِنْباع :

نِزَاعٌ ما أَرى بك أَم نُزُوع لقد شقِيَتْ به منك الضُّلوع

يرُوعُك أَو يَريعُك كلُّ دَاعٍ أَكلُّ مُثَوِّبٍ داعٍ سميع

جهلتَ وقد علاك الشيب أمراً يقوم بعلمه الطفل الرضيع

ولولا ذاك ما قدَّرتَ أَني أَنوءُ بحمل ما لا أستطيع

فحسبُكَ أَوْ فحسْبِي منك دهر يَشِتُّ بصَرْفِه الشملُ الجميع
وشوق تقتضيه نوىً شَطُونٌ فتقضي عنه واجبَها الدموع
حملتَ الحبَّ مُؤْتَمَنـــاً عليه فكيفَ يضِيعُ ذلك أو يَذِيع
لقد جشَّمتَ نفسَك مُتْلِفـــاتٍ بكل ثَنِيَّةٍ منهـــا صريع
وحـــالُ الصب تَخضِبُه دموع كحـــال القِرْن يَخضِبُه نَجِيع[1]
وقد تحمِي الدُّروعُ من العَوَالِي ولا تحمي من الحَدَق الدروع
ورُبَّ فتى تُراعُ الاسْد منه تَقَنَّص قلبَه الرَّشأُ المَرُوع

وقال أيضاً : ويحتوي على معان فلسفية رائعة :

لَهَواكَ في قلْبِي كريقِكَ في فمي غيْري يقُولُ الحُبُّ مُرُّ المَطْعَم
فأَدِرْ علَيَّ بمقلَتَيْكَ كؤوسَهُ حَتَّى يدِبَّ خُمارُه في أعظُمِي
إن التلدُّدَ[2] في هـــواكَ تلذُّذ لو كانَ أَقتَل من زُعاف الأَرْقَم
فأَجِبْ بحب لا يُثِيرُ مَلامةً مُلِئَت بمُوْلِيـــه عيُون ٱلنُّوَّم
شغَلَ النَّواظِرَ والقلوبَ ولم يَدَعْ مَنْ لم يَسِمْـه من الأَنام بمِيسَم
ومن العجائب شغلُ شيءٍ واحدٍ في الحال أَمْكِنَةً ولم يَتَقَسَّم[3]

١ – النجيع الدم .
٢ – التلدد : التحير والزعاف السم القاتل والأرقم أخبث الحيات .
٣ – يعني والشيء الواحد لا يحل مكانين في زمن واحد .

وأقامَ أزمِنةً وليس بجَوْهر [1] وجرَى وليْسَ بمَائِع مَجْرى الدَّم
يا أيها القمرُ الذي إنسانُه يرمي أناساً للعيون بأسْهُم
لم أبْدِ حبَّك غيرَ أن جوانحي فاضت به فيْضَ الإناءِ المُفْعَم
لا ذنْبَ لي علِمَ الذي أسرَرْتُه نظَراً ولم أرمُزْ ولم اتكَلَّم
وأمرتَ بالشكوى اليك وانما يُنمَى الى الانسان ما لم يَعْلَم
ولَرُبمَّا لم تُشكِني فأماتَني يأسِي فذَرْني تحتَ أمرٍ مُبهَم
وتلافَني قبل التَّلافِ فإنني من حِمْيرٍ وسيأْخذونَك في دَمِي
الطَّاعِنين بكُل أسمَر مِدْعَسٍ [2] والضَّاربين بكل أبيض مِخْذَم [3]
والوارِدين الصادِرين اذا الوغى لَقِحَتْ بجَمْرتها وجُوهُ الحُوَّم
ولعلَّهم تسمُو بهم هِمَّاتُهم أن يُدرِكُوا في الظَّبي ثأْرَ الضَّيْغَم

وقال محمد بن عبد الكريم الفَنْدِلَاوِي الفاسي عُرِفَ بابن الكَتَّاني :

وما أبقَى الهوى والشوقُ منِّي سوى نَفَسٍ تردَّدَ في خَيال

١ – أي بل عرضا والشأن أن العرض لا يبقى زمانين .
٢ – المدعس الرمح .
٣ – المخذم السيف القاطع .

خَفيتُ عن المَنيَّةِ أَن تَراني كــأَنَّ الروحَ منّي في مُحال

وقال علي بنُ يَقْظَانَ السَّبْتي :

أَإِخْوَانَنا ما حُلْتُ عن كَرَم العَهْد
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هل تغَيَّرْتُمُ بَعدي
وكم مِن كُؤُوسٍ قد أَدرتُ بودِّكم
فهل لِيَ كأسٌ بينكم دَارَ في وُدّي

وقال القاضي عياض :

رَأَتْ قَمَر السَّماءِ فأَذْكَرَتْني لَيالِيَ وَصْلِها بالرَّقْمَتَيْن[1]
كلانَا ناظِرٌ قَمَراً ولكن رَأَيْتُ بعَيْنِها ورَأَتْ بِعَيْني[2]

وقال أَيضاً :

أَقولُ وقد جَدَّ ارْتِحَالي وغرَّدت حُداتي وزُمَّتْ للفِرَاق رَكائبي
وقد غَمِصَتْ من كثرة الدمع مُقْلَتي وصارَتْ هواءً من فؤادي تَرائبي
ولم تَبْقَ إلّا وَقْفَةٌ يَسْتَحِثُّها وَداعِيَ للأَحْباب لا للحَبائِب

---

١ – الرقمتين اسم موضع .

٢ – يريد رأيت القمر الحقيقي الذي هو المحبوبة ورأت القمر المجازي الذي هو قمر السماء وهذا على سبيل المبالغة .

رَعى اللهُ جيراناً بقُرْطُبةَ العُلا وسقَّى رُباها بالعِهَادِ السَّوَاكِب
وحيًّا زماناً بينهم قد أَلِفْتُه طَلِيقَ المُحَيا مُسْتَلانَ الجَوَانِب
أَإِخْوَانَنا باللهِ فيها تَذَكَّرُوا مَعَاهِدَ جارٍ أَوْ مَوَدَّةَ صَاحِب
غدوتُ بهم من بِرِّهم واحتِفَائِهم كأَنِّيَ في أهلي وبين أقارِبي

وقال الامير ابو الربيع سليمان الموحّد :

أَقولُ لِرَكْبٍ أَدْلَجوا بِسُحَيْرَةٍ قِفُوا ساعةً حتى أَزُورَ رِكابَها
وأَملأَ عيني من مَحَاسِنِ وجْهِها واشكُو إِلَيْها أَن أَطالت عِتَابَها
فإنهي جادتْ بالوصال وأَنعمتْ وإِلَّا فحَسْبِي أَن رأَيتُ قِبابَها
وقَفْتُ بها أَشكُو وأَسكُبُ عَبْرَةً على غير بينٍ ما عرفتُ انسِكابها
فأَوْمَتْ برَخْصٍ من بَنان مُخَضَّب وحُطَّت على البَدْرِ المُنير نِقَابها
وقالت أَيَبكي البَيْنَ من قد أَرَادَه ويشكُو النوى من قد أَثار غُرابها
ولما تناءَتْ دارُها وتباعدت وعاقت على بُعد المَزار خِطابها
كتبتُ اليها أَشْتكي أَلَمَ النَّوى لعلِّي أَرَي يوماً إِليَّ كِتَابها
وكنتُ أَرى أَن الْجواب تعلَّلٌ وقد زاد ما بي إِذْ رأَيت جَوابها

وقال أَبو حَفْص ابنُ عُمَر :

همُ نظَرُوا لواحِظَها فَهَامُوا وتَشْرَبُ عقلَ شاربها المُدَام

يخاف الناسُ مقلتَهَا سواها　　أَيَذْعَرُ قلبَ حامله الحسام
سما طرْفي اليها وَهْوَ بَاكٍ　　وتحتَ الشمس ينسكب الغَمام
وأذكر قدَّها فأَنوح شوقاً　　على الاغصان تَنْتَدِب الحَمام
وأَعْقَبَ بيْنهَا في الصدر غَمّا　　اذا اغترَبتْ ذكاءُ أتى الظَّلامُ[1]

وقال :

أَغارَ على الصَّبِّ من أَنَّبَهْ　　هو الحُبُّ من يُطفِه أَلْهبه
نأَى القلبُ عني وشوقي معي　　فلِلّه أمري مَا أعجَبه
يحِنُّ فؤادي الى قاتِلي　　كذاكَ الهوَى عِند من جرَّبه
ترِقُّ شمائلُ من ذاقَه　　وتلطُف شَمْأَلُ[2] مَنْ هذَّبه
يجود لمسْخِطِهِ بالرِّضا　　ويطلبُ راحةَ مَنْ أتعبه
اذا شفَّ قلبي غرامُ الهوى　　دعا بالنَعِيم لمن عذَّبه

وقال :

مشَتْ كالغُصْنِ يَثْنِيه النَّسِيمُ　　ويعدْوه النسيمُ فيستقيم
لها رِدْفٌ تعَلَّقَ في ضعيف　　وذاكَ الرِّدْفُ لي ولَها ظَلوم

---

١ – ذكاء الشمس .
٢ – الشمْأَلُ الريح التي تهب من الشمال والمراد خفة روحه .

يُعذِّبني اذا فكرتُ فيـــه ويُتْعِبُهـــا اذا رامت تقوم
وما حُبِّي لهـا الا عـذاب عليه من نَضارَتِهـا نَعيم

وقال يُشَبِّبُ بجمال الأعرابيات :

مها القَفْرُ لا دُمْيَـــة المَرْمَر[1] وفي العُرْب لا في بَني الأَصْفَرُ[2]
بنفسِي يَعافِيرُ تلك الخِيام[3] ومَسْرَحُها في النَّقَا الأَعفرْ[4]
ملاعِبُ يصبُو اليها الحكيم ويُسْلَبُ فيهـا فؤاد الجري
وفيهـا الظِّباء بَنـاتُ الأُسود غَيـارَى متى بَغَمتْ تزْأرْ[5]
فخِيسُ الهِزَبْر كِنَاسُ الغَزال به الشِّبْل نَاشٍ مع الجُوْذَر
تُخَالِسُهـا نَظَراً تحتـه غـرَامٌ بـه الحَيُّ لم يَشْعُر
وباللَّحظ يُقْدَحُ زَنْـدُ الهوى فطَرفٌ غَرٍ وفُـؤادٌ بَرِي[6]

١ – أي هُنَّ شبيهات ببقر الوحش لا بتماثيل الرخام التي تشبّه بها الحضريات .
٢ – بنو الاصفر الروم ويعني انهن سمر لا بيض كالروميات .
٣ – اليعافير الغزلان .
٤ – النقا الرمل والأعفر الذي له لون العفر وهو التراب .
٥ – البُغام صوت الغزال والزئير صوت الأسد يعني انهن محروسات بالشجعان من قومهن .
٦ – يعني أنهن يغرين العشاق بنظراتهن وقلوبهن خاليات من الغرام .

وقـــال :

هذا فُؤادِي أَقْصَدَتْهُ الأَسهُم مَن ذا يَرَى تلك ٱلْجُفونَ وَيسْلَمُ
يا غُرَّةً حكَمَ الجمالُ لها على شَمْسِ الضحى وأَصابَ فيما يَحْكُم
يحكي الجئاذِرَ جِيدُها ولِحاظُها هيهَاتَ دُون ٱلْعـالم ٱلْمُتَعَلِّمُ
وكأَنَّ قامتَها وَنَغْمَة لفظهـا غُصْنٌ عليـه بُلْبُـلٌ يترنَّمُ
يُضْحِي ٱلْخَلِيُّ إذا رآها عاشقاً والعقل تُوقِظُهُ اللحاظُ النُّوَّم

وقال أبو عبدالله ابنُ المَحْلَى السبتي ، وهو من شعر الإشارة :

أَبُوحُ بما أَلْقَـاهُ فهو مُباح فَقَبْلِيَ أرْبابُ المحبة باحوا
اذا بَاحَ مَن قَبْلِي ولم يلقَ بعضَ ما لَقِيتُ فانِّي مـا عليَّ جُناح
أَأَحبابَنا لا تَحْسِبُوا الصبرَ بعْدَكم سَخِيًا ولَا ان الدموع شِحَاح
وان فَنِيتْ أَجسادُنا وقلوبُنـا فتلك العهود السَّالِفاتُ صِحاح
سمَحتُ لكم بالنفس كي أَربَح الرِّضا على ثِقـة أَنَّ السماحَ ربَاح
فُؤادي مُنقَادٌ اليكم مُذَلَّلٌ فَمالي إذَا لَجَّ العَذُول جِمـاح
وهلْ مِن سَبيلٍ ان أطِيرَ إليكم وقد حُصَّلي رِيشٌ وقُصَّ جَناح
تغيَّر وَقْتِي بَعْدَكُمْ فَكأَنَّما صَباحِي مساءٌ والمساءُ صَباح
وما تفضُلُ الأَيامُ أخرَى بِذَاتِها ولكِنَّ ايام المِلاح مِلاح

خَرِسْتُ عن الشكوى اليكم مَهابةً وألسُنُ حالي بالغَرام فِصاح
تَمتُّع لحظي سِنَّة في جمـالكم فانْ لاحظَ الأَغيار فهو سِفاح
ويا عجباً أَنّي أَسِيرُ وأنني أُناشِدُكم أن لا يُتاح سَراح
اذا هزَّ أَربابَ السَّماع تَواجُدٌ فحَظِّيَ منه زَفْرةٌ وَصِيَاح
فها انا عند البابِ مُنُّوا أَوِ اطْرُدُوا فَما ليَ عنه كَيف كان بَراح

وقال ايضاً :

غَرامي دَعاني والعَذُولُ نَهاني فوَجْدٌ وعَذْلٌ كيف يَجْتَمِعان
اَمَا عَلِمَا اني على الشَّحْطِ والنَّوَى مُقِيمٌ واني والهوَى أَخَوَان
يقولُون لي مَن ذَا دعاك لِما نَرَى فقلتُ دعـاني حبُّه فدَعاني
ضَمانٌ على قَلْبي الأَسى بَعْدَ بُعْدهم اذا لم يكُن يومُ اللِّقَا بِضَمان
أُعَلِّلُ نفسي بالسُّلُوِّ تَعَلُّـلاً وتلك امـانٍ ما بهن امَـان
اذا خَفقَ البَرْقُ اليَماني بأُفْقِكم أُقَابِلُ ذاكَ الخَفْق بالخَفَقَانِ
وان هَمَلَتْ مُزْنُ السَّحاب بأَرضكم يُغالِبُهـا دَمْعِي على الهَمَلان

عى اللهُ جيرانَ العُذَيْبِ وَاهْلَه — وان أترَعُوني مِن هَوىً وهَوان
ُمْ وعَدُوا بالغَوْر[1] ثمّ تراوغُوا — وهُمْ عَنَّفُوا بالنَّعْف[1] من بَدلان
صدُّوا على صَدًّا وبالخَيْف خَوَّفُوا — وبَانُوا بِذاتِ البَيْن صَوبَ أَبَان
ئِن حُجِبُوا عن نَاظري فَكَأنَّهُم — بِقَلْبي يَرَاهُم فِيــه رأي عِيَانْ
ان عَمِيت انبَاؤُهُم حَيْثُ يَمَّمُوا — فَسِرّي يَرْعَاهُم بكل مَكان

وقال الخليفة عُمَر المرتَضَى المُوحِّدي :

ليلُ دمعُ مُقْلَتِه دَلِيــلُ — على ان الحَشا فِيها غَليل
لَمَّ بِبَــابِكُمْ يَبْغِي شِفاءً — لِدَاء البُعْد فَهْوَ لَهُ قَتيـل
نيلوني رضاً منكم وقُرْبــاً — وحاشَا فضْلَكُم ان لا تُنيلوا
لئِن قطَعَتْ سبيلَ الوصل عنّي — خُطُوبٌ شَرْحُها عندي يَطُول
شافِعُ ما اقترفتُ هَوَانُ ذلي — وأَعظَمُ شافع اني ذَلِيــل
فحسبي انَّني عبــدٌ قَطُوع — وحسبُك انَّك المولَى الوَصُول

وقال عبد العزيز المَلْزُوزي:

أَعْلِمتَ بعدَكَ زفْرتي وأَنِيني — وَصَبابتي يومَ النَّوَى وشُجوني

---

١ — هذه أسماء مواضع معروفة وقد راعى فيها المناسبة اللفظية للجناس .

أَوْدَعْتَ اذ وَدَّعْتَ وَجْداً في الحشا ... ما إنْ تَزَالُ سهامه تُصْمِيني
وَرَقِيبُ شَوْقِكَ حاضِرٌ مترقِّب ... إنْ رمتُ صبراً بالأَسَى يُغْرِيني
مِن بَعْد بُعْدِكَ ما رَكَنْتُ لراحة ... يوماً ولا غاضت عليك شُؤُوني
قد كنْتُ أَبكي الدمعَ أَبيضَ ناصعاً ... فاليوم تبكي بالدمـاء جُفوني
قل للذين قد ادَّعوا فَرْطَ الهوى ... ان شِئْتُموا عِلْمَ الهوَى فسَلوني
إني أَخذتُ كثيرَه عن عُرْوَة ... ورَوَيْت سائرَه عن المَجْنونِ

وقال ٱبْنُ عَبْدون لمكناسي:

يا جِيرَتي وَمَنِ ٱسْتَجرتُ بهم ... من جَـوْر عِزِّهم على ذُلِّي
عوَّضتُموني بالوِداد قِـلى ... وأَبْدلْتُمُ الإِنصافَ بالمَطْـل
وشغَلتُمُ بالِي بهَجْـرِكُمُ ... وَوَبالُه عـن كلِّها شُغْـل
ما هكَذا فعلُ الكِرام بِمَن ... منْهم تعوَّدَ اجمَـلَ الفِعْل
علَّقتُ حبْـلَ محبتي بِكـمُ ... بِحياتكم لا تَقْطَعُوا حَبْلي
ما كانَ أَندَى ظِـلَّ عِيشَتِنا ... إِذْ كانَ مُنتَظِماً بِكم شمْلي
إِذْ نَجْتَني ثمَـرَ المُنى ذُلُلاً ... في رَوْض أُنس وافِـر الظل
عُودُوا إلى عَادات وَصْلِكُمُ ... لا تَحْرِمُوني لَذَّةَ الوصل
حاشَاكُمُ والفَضْلُ شِيمَتكُمْ ... أَن تُعقِبُوا الإِخْصاب بالمَحْل

وإذا أَبيْتُم غيرَ جَوْرِكُم فالَجوْرُ منكم غايَةُ العَذْلِ
إنْ شِئْتُمُ قتْلي فها أَنا ذا لا تحذَرُوا مِن طالِبٍ ذَحْلي[1]

وقال مالك بنُ المُرَحَّل :

تملَّكتُم عقْلي وطَرْفي وَمَسْمَعِي وروحي وأَحشائي وَكُلِّي بِأَجْمَعِي
وتَيَّهتُموني في بديعِ جمالِكم فلم أَدْرِ في بَحْرِ الهوَى أَيْنَ مَوْضعي
وأَوْصَيْتُموني لا أَبوحُ بِسِرِّكم فباحَ بما أُخفي تفيَّضُ أَدمعي
فلما فنى صبْري وقلَّ تَجَلُّدي وفارَقَني نوْمي وحَرَّمتُ مضجعي
شكَيْتُ لقاضي الحُبِ قلتُ أَحِبتّي جَفَوْني وقالُوا انتَ في الحُبِّ مُدَّعِ
وعِنْدي شُهُودٌ بالصَّبابَة والأَسى يُزكُّونَ دَعْوايَ إذا جِئْتُ أَدَّعِي
سُهادي وشَوْقي واكْتِئابي ولَوْعَتي وَوَجْدي وسُقْمي واصْفِراري وأَدْمعي
(ومِن عَجَبٍ أَنِّي أَحِنُّ اليْهِمُ وأَسْأَلُ شوقاً عنهمُ وهُمُ معي)
(وتبكي دماً عيني وهم في سوادها ويَشْكُو النَّوى قلبي وهم بين اضلعي)

وقال في عَرُوض الدُّوبَيْت المَجْزوءِ وهو من اختراعه :

الصبُّ إلى الجمال مائِل والحبّ لصِدقه دلائل

---

١ – الذحل : الثأر.

والدمع لِسائلي جوَاب إن روجِعَ سائل بسائل
والحسن على القلوب وَالٍ والقلب إلى الحبيب وَائِل
لو ساعَد مَن أَحبَّ سعْدٌ ما حال عن الحبيب حائِل
يا عاذلي إليكَ عنِّي لا تَقْرَبْ ساحتي العواذل
ذا نازل كمثْل ظَبْي يشْقى بلحْظه المُنازل
ما بين جُفونِهِ حُسام مَخارِقُه له حَمائِل
والسيف يبُتّ ثم ينبُو واللَّحْظ يُطَبّقُ المَفاصل
والسهم يُصيب ثم يخْطي واللَّحظ يمرُّ في المَقاتل
مهلاً فدَمي لـه حلالٌ ما أقْبَلُ فيه قول قائل
إن أقصَدَني فذاكَ قَصْدي أَوْ جدَّلني فلا أُجادِل
يا حسن طُلوعه علينا والسُّكْر بِمَعْطَفَيْه مائل
ظَمْآنُ مُخَفَّفُ الأَعالي ريَّان مثَقَّل الأَسافل
قد نمَّ به شذا الغوالي إذ هَبَّ ونَمَّت الغلائل
والطيبُ مُنبِّه عليه مَن كان عن العيان غافل
والفتح مُحرِّك إليه مَنْ كان مُسكّن البَلابل
والسحرَ رَسُولُ مقلَتَيْه ما أَقرَب عَهْده ببابِل
والروض يُعيرُ وجْنَتَيه ورْداً كهَوايَ غيرُ حائل

واللّين يهزّ معطِفَيْــه كالغُصن تهزُّه الشمائــل
والكأْسُ تلوح في يدَيْه كالنجم بأسْعَد المنَــازل
يسقيك بريقه مُدامــاً ما أَملح ساقياً مُواصل
يَسْبيك برقّـة الحواشي عِشْقاً ولَطافَةِ الشّمائــل
ما أَحسَن ما وَجدْت خدا اذ نجمُ صِباي غيرُ آفـل

وقال محمد بن احمد الشّبُوكي الفاسي :

أَلا مُبلِغٌ عني مَغَاني شَبُوكَةٍ سلاماً كعَرْف المَنْدَل الرَّطبِ والنَّد
دِيَارٍ بها قلْبي مُقيمٌ وان نأَتْ بجِسْمِيَ عن أطلالِها أَيْنُق البُعْد
عهِـدْتُ بِهَا عهْـدَ الهوى لا يشُوبُه
مِنَ الصَّفْو تكْديرٌ مِنَ القَمَر السَّعْدِ

وقال الامير أَبو علي ابنُ السلطانِ أَبي سَعِيد المريني

أُغالِبُ فيـك الشَّوْقَ والشوقُ أَغْلَبُ
وأَطْلُبُ منكَ الوصلَ والنجمُ أَقرَب
وَيُطمِعُني قلبي بوَصْل وإِنَّني سأَعْلَمُ حقاً أَنّ قلبي يكذِب
حياتِي وموْتِي في يَدَيْك وإِنّني أَموتُ وأَحْيا حينَ ترضى وتغْضَب

فلا الوَصْلُ يُحيِيني ولا الْهَجْرُ قاتِلي ولا مِنْكَ بُدٌّ ، لا ولا عَنْك مَهْرَب

وقال ايضاً :

مِلْ يا نَسِيمُ على غُصونِ المَنْدَل وانْعَمْ بتلك المَائِسَاتِ المُيَّل
وإذا مرَرْتَ على الدِّيار فَسَلْ بِهَا عن راحِلٍ عنْها ومَن لَمْ يَرْحَل
زَمُّوا المَطِيَّ وخلَّفُوني بَعْدَهُم تَجْرِي دُموعِي في رُسوم المَنْزِل

وقال السلطان ابو عِنَان المَريني :

يَا رَامِياً بالنِّبَال مِن غَنَج وصائِلاً بالنِّصَال من دَعَج
وبَادِياً كالْهِلال في سُحُب وطافِحاً مِن سُلافَةِ الفَلَج
وباسِماً عن لَئَالِىءٍ نُسِقَتْ وناسِماً كلَّ عَاطِــرٍ أرج
رِفْقاً بِقَلْبِي فانَّ فيه هوًى ولا تُطِلْ في المَلال والحَرَج

وقال ايضاً :

جِسْمِي أَضَرَّ بِه السَّقام والجَفْنُ قد عَدِمَ المَنَام
يا هاجِــري مِنِّي على أنْــوارِ غُرَّتِكَ السَّلام

وقال الوزير عبدُ المُهَيْمن الحضْرمي:

نفسي الفِداءُ لِعَهْدٍ كنْتُ اعْهَدُه وطيب عيش تقضَّى كلُّه كرَمُ

وجيرةٍ كان لي أُنسٌ بوصْلهمُ … والأُنسُ أفضلُ ما في الوصلِ يُغتنَم
كانوا نعيمَ فؤادي والحياةَ له … فالآنَ كلُّ وُجودٍ بعدَهم عدَم
بانوا فعادَ نهــاري كلُّه ظُلَماً … وكان قربُهم تُمحَى به الظُّلَم
والعينُ منّيَ لا ترْقــا مدامعُها … كأنَّها سُحبٌ تهمي وتنسَجِمُ
تبكي عهودَ وِصالٍ منهم سلَفتْ … كأنما هُنَّ في إنسانِهـــا حُلُم
لئِن ضحِكتُ سروراً بالوِصال لقد … بكَيتُ حزناً عليهم والدُّموعُ دَمُ
هُمْ علَّموني البُكا ما كنتُ أعرِفُه … يا ليتَهم علَّموني كيفَ أبتَسِمُ

وقال ابو عبد الله المكُّودي

رُحماكَ بي فلقد خلَّدتَ في خلَدي … هوى أكابِدُ منه حُرقة الكبِد
حللتَ عقدَ سُلوِّي عن فؤادي إذ … حلَلْتَ منه محَلَّ الروح من جسدي
مرآكَ بدري وذِكراكَ الْتِذاذُ فمي
ودينُ حبِّك إضماري ومعتقَدي
ومن جَمالِك نورٌ لاحَ في بصَري … ومن وِدادِكَ روحٌ حلَّ في خلَدي
لا تحسبَنَّ فؤادي عنك مُصطبِراً … فقبْلَ حبك كانَ الصبرُ طوْعَ يدي
وهاكَ جسْمِيَ قد أوْدى النُّحولُ به … فلَوْ طلَبْتَ وُجوداً منــه لم تجِد
بما بطرْفِك من غنْجٍ ومن حوَرٍ … ومـا بثغرِكَ من دُرٍّ ومن برَد
كُنْ بين طرْفي وقلْبي مُنصِفاً فلقد … حابَيْتَ بعضَهما فاعْدِل ولا تَحِد

فقال لي قد جعلتُ القلبَ لي وطناً … وقد قضيتُ على الأجفان بالسَّهَد
وكيف تطلب عدلاً والهوى حَكَمٌ … وحكمُه قطُّ لم يَعْدِل على أحد
مَن لي بأغيدَ لا يَرْثي لذي شَجَن … وليس يَعرف ما يلقاه ذو كَمَد
ما كنتُ من قبلِ إذعاني لِسَطْوته … أخالُ أنَّ الرَّشا يسطو على الأسد
إن جاء بالوَعد لم تَصْدُق مواعِدُه … فإن قنِعتُ بزُور الوعد لم يَعِد
شكوتُه عِلَّتي منه فقال : ألا … سِرْ للطَّبيب فما بُرْءُ الضَّنا بيَدي
فقلتُ إن شئتَ بُرْئي او شِفا ألمي … فبارْتِشاف لَمَاك الكوثريّ جد

وقال :

غرامي فيكَ جلَّ عن القياس … وقد أسقيتَنيه بكلِّ كاس
ولا أنسى هواك ولو جفاني … عليك أقاربي طرّاً وناسي
ولا أدري لنفسيَ من كمال … سوى أنّي لِعَهدِك غيرُ ناس

وقال ابو العباس الجزنائي :

أعلمتَ ما صنعَ الفراق … غداة جدَّ به الرِّفاق
ووقفتَ منهم حيث للنَّـ … ـظرات والدَّمع اتِّساق
سبقتْ مطاياهم فما … أبطا بنفسك في السِّباق
أأطقتَ حملَ صُدودهم … ألبَيْن خطبٌ لا يطاق

عن ذَاتِ عِرْقٍ[١] اصْعَدوا اتقُولُ دَارُهم العـراق
ما ضَرَّهُم وهُم المُنَى لوْ وَافقُوا بَعضَ الوِفَاق
وَتَيَامَنُوا عُسْفَان[٢] ان يَقِفُوا بِمُجْتَمَع الرِّفَاق
قالُوا تَفَرُّقُنَـا غَـداً فَشُغِلْتُ عن وَعْد التَّلاق
عَمْداً رَأوا قَتْلَ العَميد فَكانَ عَيْشُكَ في نَفَاق
اوْلَى بِجِسْمِك ان يَرِقَّ وَدَمعِ عَيْنِكَ ان يُرَاق
امَّا الفُؤَادُ فَعندَهم دَعْـهُ وَدَعْوى الاشْتيَاق
اعْتَادَ حُبَّ مَحَلِّهم فَرَحِيبُ صَدْرِك عَنه ضَاق
واهاً لِسَالِفَةِ الشَّباب مَضَتْ بِأَيَّامي الرِّقَاق
أبقَتْ حرارَةَ لَوْعَةٍ بَيْنَ التَّرَائِب والتَّرَاق
لا تَنْطَفِي ووُرُودها من ادمُعي كَأْسٌ دِهَاق

وقال :

يا مُوحشِي والْبُعْدُ دُونَ لِقائِـه أَدْعوكَ عن شَحْطٍ وان لم تَسْمَع
يُدْنِيك مني الشوقُ حتى إنَّني لأَرَاكَ رَأيَ العين لولا أدْمُعِي

١ – ذات عرق مكان وهو مهل أهل العراق .
٢ – عسفان قرية على مرحلتين من مكة .

وَأَحِنُّ شَوْقاً للنَّسيم اذا سرَى بحَديثِكُمْ وأُصيخُ كالمُسْتَطْلِعِ
كانَ اللّقاءُ فكان حَظِّي ناظِري وسطا الفِرَاق فصار حظّي مَسْمَعي
فابْعَثْ خيالك تَهْدِه نارُ الحَشا إن كان يَجْهَلُ مِنْ مَقامِي مَوْضِعِي

وقـال :

أَيُجْمَعُ هذا الشَّمْلُ بعد شَتاتِه ويُوصَلُ هذا الحَبلُ بعد انْبِتَاتِه
أَمَا لِلَّيـالي آيـةٌ عِيْسَوِيَّةٌ[1] فَتَنْشُرَ مَيْتَ الأُنْسِ بعد مَمَاتِه
ويُورِدَ عَيْنِي بعدَ مِلْحِ مَدامِعي بِرُؤْيَتِهِ في عَـذْبِهِ وفُرَاتِـه

وقال الرئيس ابو العباس العزَفي :

لكُم حِمًى في فُؤَادِي غَيْرُ مَقْرُوب فضَائِعٌ في هَوَاكُمْ كُلُّ تَأْنِيب
إن كان ما سَاءَني ممَّا يَسُرُّكُم فعذِّبوا فقد استَعْذَبْتُ تعذِيبي
عُودُوا الى الوَصْلِ او عُودُوا عَليْلَكُم وبادِرُوا فَرِضَاكُمْ طِبُّ مطْبُوبِ[2]
كم أُرسِلَتْ أَدْمُعي تَتْرَى بصِدْقِيَ في دَعْوَى هَوَاكُم فقابَلْتُم بتكْذِيب
وَلَاذَ بالصَّبْرِ قلبي حين غالَبني شوْقي كما لاذَ غالِبٌ بمَغْلوب
لَوْلا الحبيبُ الذي ينْأَى بنَأْيِكُم ما كان قُرْبُكُم عندي بمَحْبوب

---

١ – منسوبة الى عيسى عليه السلام وكان من آياته احياء الموتى .
٢ – المطبوب المسحور .

تشكَّتْ جيَادي ما أَضرَّ بها ... من طُولِ ركْضٍ وإِسْئَادٍ وتَأْوِيب

مِنْكُم رَشأٌ لَوْلَا لَوَاحِظُهُ ... ما كانَ قَلْبِي من صدْرِي بِمَسلوب

بَدا خرَّت الالحاظُ ساجِدةً ... لِنُورِ وَجْهٍ بتاجِ الحُسْنِ مَعْصُوب

لُ حَبَّةَ قلبي خالَه ابداً ... يصْلَى بجَمْرٍ على خدَّيْه مَشْبوب

لتْ عقَارِبُ صُدْغَيْه وَحفَّ بها ... حيَّاتُ وَحْفٍ[1] معَ الأَذْيال مَسْحُوب

نِي القلوبُ فتَجْنِي وَرْدَ وَجْنَتِه ... فتَنْثَني بين مَلْسُوعٍ وملْهُوب

رِيَاضُ حُسْنٍ رِمَاحُ الهُدْبِ مُشْرَعةٌ ... للذّبِ عنهَا بطَعْنٍ غيْر تَذْبيب[2]

ها مَصَارِعُ للعشاق دَامِيةٌ ... فكلُّهم بين مطْعُون ومَضْروب

وقال :

لَّكْتَ رِقِّي بالجمَال فأَجْمِل ... وحكَمْتَ قلبي باعتِدَالِكَ فاعْدِل

نتَ المَلِيكُ على المِلاحِ ومن يجُرْ ... في حُكْمه الَّا جُفُونَك يُعْزَل

نقيلَ أَنتَ البدرُ فالفضلُ الذي ... لكَ بالكَمال، ونَقْصه لم يُجهَل

ولا الحظُوظ لكُنت انتَ مكانَه ... ولكانَ دُونَك في الحَضيض الأَسْفل

---

١ – الوحف الشعر الكثير شبه ضفائره بالحيات .

٢ – التذبيب : الدفع .

عيْنَاكَ نازَلَتِ القُلوبَ فكلُّها إمَّـا جريحٌ او مُصَابُ المَقْتـل
هزَّت ظُباها بعد كَسْرِ جُفُونِها فَأُصِيبَ قَلْبي في الرَّعِيل الأَول
ما زِلتُ أُعْذَلُ في هواكَ ولم يَزلْ سمعي عن العُذَّال فيك بِمَعْزِل
أصبحتُ في شُغْل بحبك شاغِلٍ عن أن أُصِيخَ الى كَلام العُذل
لم أُهمِلِ الكِتْمان لكِنْ أدمُعي هَمَلَتْ ولو لم تَعْصِني لم تَهْمُل
ما في الدَّبور[1] ولا الجَنُوب جوابُ ما أُهْدي اليك مع الصَّبا والشَّمْأَل
حَمِّلْهُا من طِيبِ عَرْفك نَفْحَةً تُحْيِي ذَمـاءَ عليلِكَ المتعَلِّل
إن كنتَ بعدي حُلتَ عَمَّا لم أَحُل عنه وقد أَهْمَلْتَ ما لم أُهْمِل
او حالَتِ الاحوالُ فاسْتَبْدَلْتَ بي فأَنا بِحُبِّي فيـك لم أَسْتَبـدِل

وقـال :

لِيَ في سَبْتَةٍ سكَنْ حبُّه في الحَشَا سَكَنْ
فهْوَ يَزْدادُ جِـدَّةً مَـعَ إِبْلائِـهِ الزَّمَنْ
أَصْبَحَ القلبُ عِنْدَهُ وبغَرْنـاطـةَ البـدَنْ
إِنَّ هَارُوتَ[2] لَوْ رَآى سِحْرَ أَلحاظِه افْتَتَنْ

---

١ — الدبور الريح الغربية وباقي أسماء الرياح المذكورة معروفة .

٢ — هاروت هو أحد ملكين كانا ببـابل يعلمان الناس السحر واسم الثا[ني] مـاروت .

رَشأٌ سِحْرُ بابِلٍ بيْنَ عَيْنَيْه قد كَمَن
زَارنِي والرَّقيبُ قد غابَ والليلُ حِينَ جَنّ
بَعْدَ بُعْدٍ حنَى الضُّلوعَ عَلَى الشَّجْوِ والشَّجَن
فشَهِدْنَا على نِكَاح ـ ابْنِ مُزْنٍ بِبِنْت دَنّ[١]
وَنَعِمْنَا إلى الصَّباح كرُوحَيْن في بَدَن
وَسَكِرْنَا فظُنَّ خَيْراً بِنَا واتْرُكِ الظِّنَنْ

وقال :

وَعدْتَني ان تَزُور يا أَملي فَلَمْ أَزَلْ للطَّريق مُرتَقِبا
حتى اذا الشمسُ للغُروب دَنتْ وَصيِّرَتْ من لُجَيْنِها ذَهبا
أنِسْتُ بالبَدْر منه حِينَ بَدا لأَنّه لَوْ ظَهَرْتَ لاحْتَجبا

وقال :

هَجْرُكم ما لي عليه جَلَدُ فأَعيدوا لِيَ الرِّضا او فَعِدُوا
ما قَسا قَلْبيَ مِن هَجْرِكُمْ ولقد طالَ عليه الأَمَدُ

وقال ابنُ هانِيءٍ السبتي مُوَرِّيا :

ما لِلنَّوى مُدَّتْ لِغَيْر ضَرورَةٍ ولَطالَما عَهْدي بِها مَقْصُورَهْ

---

١ ـــ ابن المزن الماء وبنت الدن الخمر ويعني بنكاحها مزجها .

إنَّ الخليل وإن دَعَتْهُ ضَرُورَةٌ لم يَرْضَ ذاكَ فكيفَ دُونَ ضرورهْ

وقال ابو القاسم الشَّريف :

زارَتْ بأَكْرمِ لَيْلة وَفَّى بها حَقَّ الزيارة زائِرٌ ومَزْورْ
نَتَطارَحُ الشَّكْوى وقد شَرَدَ الكَرى عنَّا فَنُنْجِدُ في الهوى ونَغُورْ
ثم انْجَلَى الاصباح فالتَفَتَتْ كما يَرْنو غَزالُ الرَّبْرَبِ[1] المَذْعُور
حتَّى اذا قامَتْ تمُدُّ بنورها مُتَبَلِّجَ الاصباحِ حين يَنُور
طارَ الفؤادُ فصِرْتُ أَعجَبُ وهْوَ في شَرَكِ الهوى قد صِيد ، كيف يَطير

وقال :

ظَفِرْتُ بلَثْمِها فَبَدا احمِرار بوَجْنَتِها يزيدُ القَلْبَ وَجْدا
فأَغْراها بِيَ الوَاشِي فَظَلَّتْ تَلُومُ ولم أَكُن مِمَّنْ تَعَدَّى
فما كانَتْ سِوى قُبَــلٍ بِفِيها جَنَيْنَ أَقاحِياً وغَرَسْنَ وَرْدا

وقال:

غَزالُ أُنسٍ كَمِ اسْتَدْنَيْتُهُ فَنَأَى عنّي وأَعْرَضَ مُزوَرّاً بجانِبِه
طالَتْ عَلَيَّ لَيالٍ في هواه كما طالَتْ عليه ليالٍ مِن ذَوائِبِه

---

١ ـ الربرب : القطيع من بقر الوحش .

وقال أبو بكر بن شبرين :

أخذتِ بكَظْمِ الرُّوحِ يا ساعةَ النَّوى
وأضرمتِ في طَيِّ الحَشَا لاعِجَ الجَوَى
فَمَن مُخْبِري يا ليتَ شِعْرِي متى اللِّقا
وهل تَحْسُن الدنيا وهل يَرْجِعَ الهوى ؟

سلا كلُّ مشتاق وأَقْصَرَ وَجْدُه ... وعند اللِّوى وَجْدي وفي ساكِني اللوى
ولي نِيَّةٌ ما عِشْتُ في حفظ عهدهم ... إلى يومَ أَلقاهُم ولِلْمَرْءِ ما نوى

وقال أيضاً :

متى تَسْمَحُ الدنيا بِقُربكم متى ... لقد عاثَ هذا البَيْنُ ظُلْماً وعنَّتا
أَلا قبَّح الله الفِراقَ فانه ... لأَصعَبُ ما يَلْقَاهُ من دَهْرِه الفَتى
أَفي كل يَوْم رِحلةٌ بعد رِحْلةٍ ... لقد أَتْعَبَتْنا رِحْلَةُ الصيفِ والشِّتا
وكُنْتُ أُرَى ذا قُوَّة وشَبِيبَة ... ولكن تَوَلَّتْنِي اللَّيالي فوَلَّتا
وكيفَ احتِمالي ذاكَ والرُّكْنُ قد هوى
وهــذا مَشيبي بالحِمام مُبَكِّتا

وقال أيضاً :

يا من أَعاد صباحي فَقْدُه حلَكَا ... قَتَلْت عبدَكَ لكِن لم تَخَفْ درَكَا

مُصيبتي منكَ ليْسَت كالمَصائِب لا ولا بُكائي عليها مثل كُلِّ بكا
فمَن أطالِب في شرْعِ الهوى بِدَمي لَحْظي ولَحْظُكَ في دَمِي قد اشْتَرَكا

وقال السلطان ابو العباس بنُ ابي سالم المَريني :

أمّا الهَوى يا صاحبي فألِفْتُه وعَهِدْتُهُ من عهد ايام الصِّبا
ورأيتُه قوتَ النفوس وحَلْيَها فتَخِذتُه دينــاً إليَّ ومَذْهبا
ولَبِستُ دون الناس منه حُلَّةً كان الوَفاءُ لها طِرازاً مُذْهبا
لكِنْ رأيتُ له الفراقَ مُنَغِّصاً لا مَرْحباً بِفِراقِنا لا مَرْحبا

وقال الكاتب محمد بنُ أبي مَدْيَن :

عزَّ صَبْري ولم أكُن بالجَهُول عندَ ما آذَني مَسيرُ الحُمُول
ها أنا في الطُّلول أُرْسِلُ دمعاً ليس الاَّ به شِفاءُ العَليل
لَم تكُن أدْمُعي بأوّل دمع طلّه العاشِقُون بين الطُّلُول
فدُموعي الغِزارُ طُوفانُ نوح وضُلوعي الحِرارُ نارُ الخليل
لِهُبوبِ الشَّمال مِلْتُ ارْتِياحاً فكأنّي شَرِبْتُ كأْسَ شَمُول
والتِزَامُ الرُّبوع صيَّرَ جِسْمي مُشْبِهاً مِنْهُمْ لِكُلِّ نَحيل
آهِ مِمّا أضرَّ بي من غـــرامٍ واشتِياقٍ ولَوْعَــةٍ وغَليل
سادَتي هل الى الوِصَال سَبيلٌ إنّني لم أجِدْ له من سبيل

إن أُمتْ في الهوى فغيْرُ نكير كَمْ لها في ذوي الهوى مِن قتيل
فارحَموا مَن شكا لغير رَحِيم بعدكُم واستنالَ غيْرَ مُنيل
نالَ عِزّاً بكم وذَلَّ لَدَيْكُم فاعجَبُوا منه للعزيز الذليل
وبشَوْقي بعَثْتُ قلبي رسولاً فارفُقوا لا يحِلُّ قتْلُ الرسول
أنا عَبْدٌ لكم على كل حال كنتُمْ ليس لي بِكُمْ من بَديل

وقال يحيى ابن مَليل من أهل فاس تُوفي سنة ٧٥٠ .

عسَى الايامُ ان تُدني نَزُوحا وتَشْفي بالكَرى جَفْناً جَريحا
وتُبْدِلَنا التَّنـائِيَ بالتَّداني وتُبرِئَ باللِّقـا قَلْباً قَريحا
عساه أَن يُلِمَّ به خيـالٌ يُزيلُ السُّقْمَ والمرَضَ الصحيحا
فَـداءُ الهجْر ليس له دواءٌ سوى وَصْلِ الأَحِبَّة إن أُتِيحا
لقد بلَغ المنَى مَن واصَلُوه ونالَ الفوزَ والتَّجْرَ الرَّبيحـا
فهل مِن مُنْصِفٍ مِن حُكمْ دهر غدا جَوْراً بوَصْلِكُمْ شَحِيحا
أَعِدْ يا صاحِ ذِكْرَهُم وَصِفْ لي حَديثاً عنْهُمْ كَيْ أَسْتريحا
وقلْ هل حافظوا عهْدي وَراعَوْا وداداً أم نَسَوا وُدّاً صحيحـا
فذِكْرُهُمُ مُنَى قلبي وإني إذا بَصَري رَأَى برْقاً لَموحاً
أَحِنُّ لأَرضهم ويزيدُ شوقي إذا ما شِمْتُ من نَعْمانَ رِيحا
ولو أَنِّي شكَوْتُ إلى جَمـادٍ لَحُقَّ له لحـالي أَن يَنُوحا

أَلا سَقْياً لأَيَّـــام تقضَّت عَذُولي كان لي فيها نَصيحا
وكنَّا لا نَرى في الحب هَجْراً ولم نَدْرِ البِعـــاد ولا النُّزُوحا
ولم نَشْكُ النَّوَى حتى رَمَتْنا بأَسْهُمِها على قدرٍ أُتيحـــا
فَنَثَّرَتِ انْتِظـــامَ الشَّمْل منا واصبح رَبْعُهم رَبْعاً طَرُوحا[1]
أيا مَن قد أَذَابَ الجسْم هَجْراً تَرَفَّقْ قد أَتَيْتُكَ مُسْتَمِيحا
وقد أقرَرْتُ مَوْلائي فَكُنْ لي بِمـــا عَوَّدْتَني مولًى صَفُوحا
وداوِ بِرَغْم حسَّادي جُفـــوناً بَكَتْ بعدَ الدموع دماً سَفُوحا
ولازَمَتِ البُكا والسُّهْـــدَ لَمَّا أَبى شَوْقُ الأَحِبَّة ان يَرُوحا

وقال القائد عبدُ الرحمن القَبائِلي المتوفى سنة ٨٠٢

أَتَسْمَعُ في الهوى قوْلَ اللَّواحي وقدْ أَبصَرْتَ خِشْفَ بَني رَباح
غَزَالٌ خَلَّفَ الصبَّ المُعَنَّى من الوَجْد المُبرِّحِ غيْرَ صَاح
وقد قَتَلَتْ ـ ولا إِثْمٌ عليها ـ مِرَاضُ جُفُونه كلَّ الصِّحاح
يقولُ ولَحْظُه بالقلب يُزْري عَلامَ تُطيلُ وَصْفِي وَٱمْتِداحي
فقلتُ فنُونُ حُسْنٍ فيك رَاقَتْ قضَتْ للقلب بالعِشْق الصُّراح
جبِينُك والمُقَلَّـــدُ والثَّنايا صَباحٌ في صَباح في صَباح

١ ـ اي بعيداً .

وقال ابنُ جابرِ المكناسي :

تاللهِ بعد أَحِبَّائِي الذين مَضَوْا وخلَّفوني رَهِينَ البَثِّ والشَّجَنِ
ما أَبْصَرَتْ مُقْلَتِي من بَعْدهم حسناً ولا نظرتُ إلى شيء فأعجبني

وقال مُورِّياً :

إن خِفْتَ من فَتْكِ المُهَنَّدِ والقَنا فاذا رَنَتْ واذا مَشَتْ لا تَقْرُب
في قَلْب بُرْقُعِها محَاسِنُ أَنْزَلَتْ قَمَر السَّماءِ لَنا بقَلْبِ العَقْرَبِ [١]

وقال كذلك :

حلَّت عَقارِبُ صدْغِه مِن خَدِّه قَمَراً فَجَلَّ بِها عَن التَّشْبِيه
ولقد عَهِدْناهُ يَحُـــلُّ بِبُرْجِها فَمِنَ العجَائِب كيف حَلَّت فيه

وقال السلطان محمد المتوكل السَّعْدي :

خَليليَّ ما يخفَى انحصاري عن الصِّبا فَخَلَّا عِقالي قد أضرَّ بي الرَّبْطُ
ولا تَحْفِلا مَن لامَ أوْ تَتَلَوَّما فانَّ بِحَار اللَّوْم ليْس لها شَطُّ

---

١ ـ في قلب برقعها اي داخله وبقلب العقرب اى بالبرقع اذ هو مقلوب العقرب كما لا يخفى والتورية في كون العقرب من منازل القمر .

وقال السلطان المنصور الذَّهبي :

مِن عنبر الشَّحْر أوْ من مِسْكِ دارينِ[1] بَلى ومنه نُسَيْماتُ الرَّياحِين
مُهَفْهَف ان تَثنّى قُلْتَ مقتَضَبٌ من قضْب نَعْمانَ أو من كُثْب يبْرينِ[2]
ذَنْبي إلَيْهِ ـ ولا ذَنْبٌ ـ محبَّته مِن أجلِها بِسَهام اللَّحْظ يرْميني

وقـال :

أقامَ بِقَلْبٍ في هَواه مُقَلَّبٍ وأنّى له بينَ الضُّلوع مُقامْ
فَيا شَادِناً مَرْعاه حَبَّةُ مُهْجَتي أمَا لِحَشاً أقَمْتَ فِيه ذِمامُ

وقال السلطان أبو المعالي زَيْدانُ بنُ المنصور الذَّهبي :

فتَنَتْنا سَوالفٌ وخُدود وعُيونٌ مُدَعَّجات رُقود
ووُجوهٌ تباركَ الله فيها وشعُورٌ على المَناكِب سود
أهلكَتْنا المِلاحُ وهي ظِباءٌ وخضَعْنا لَها وَنَحْنُ أسود

وقال أيضاً :

مَرَرْتُ بقَبرٍ هامِدٍ وَسْطَ رَوْضَة عليه من النُّوَّار مثل النَّمارق
فقلتُ لِمَن هذا فقالوا بِذِلَّة تَرَحَّمْ عليه إنه قبرُ عاشِق

---

١ ــ اسم فرضة بالبحرين ينسب اليها المسك .
٢ ــ موضع كثير الرمل .

وقال عبد العزيز الفَشْتالي :

حينَ أزمعْتُ عند خوفِ البِعاد ... وعدَتْني من الفِراق العَوادي

قال صحْبي وقد أطلْتُ التِفاتي ... أيَّ شيءٍ تركْت قلتُ فؤادي

وقال أبو عبد الله الوَجْدي الكاتب المتوفى ١٠٣٣ ﻫ

لبِس الصُّفْرةَ كيْ يَزْهو بها ... شادِنٌ مِن جَنّة الخلد نفَرْ

خِلْتُهُ من حُسْنِه لمّا بدا ... هالَةَ الأُفْق بوسْطاها القمَرْ

ولأبي سالم العَيّاشي :

ولمْ أنسَها يَقْظانةَ الهمِّ في الحشا ... مُبَلْبَلةَ الأشجان وسْنانةَ الطَّرْفِ

تَقولُ وقد جدَّ الرَّحيلُ أهكذا ... تُحمِّلني ثِقْلَ الفِراق على ضُعْفي

أتترُكُ أفراخاً كزُغْبِ القطا وما ... رَحِمْتَ بَنيكَ إذ سلوتَ عن الإلْف

فقلْتُ لهـــا كُفّي الملامَ فأعرَضت

كَخِشْفِ النَّقا تَستَعْرِضُ الدمعَ بالكَفِّ

فودَّعتهـــا والقلْبُ مُنْطَبِقٌ على ... أساهُ ودَمْعي لا يَملُّ من الوَكْفِ

عليْكِ سلامٌ لا زِيارةَ بيْننا ... معَ البُعْدِ إلاّ أن أزورَ معَ الطَّيْف

وقال احمد بن عبد الواحد الشَّريف المتوفى ١٠٠٩

مَن مُنقذي من شادِنٍ فاتن ... يُؤثِرُه البدْرُ على نَفْسِه

إذا انتَضى من لَحْظِه مُرهَفاً ... ما أقْرَبَ الانسانَ من رَمْسِه

وقال ابو عَليّ اليُوسِي مُتشوقاً إلى زاوية الدّلاء[1] :

أَلا لَيتَ شِعْري هل أَرى مِن ثَنيَّة عِضاها كصُفوف الكَتائِب تُشْرِف

وهل أَرِدَنْ من سَلْسَبِيلٍ مَوارِدٍ هُنَاك لِمَعْسُول المَباسِم تَرْشُف

وهل أَرَيَنْ مَغْنَى الدّلاءِ عشيةً كأنَّ بقاياها بِنَاءٌ مُفوَّف

ذكرتكم وَهْناً وإِنِّي لَمُدْلِجٌ بأجواز أَقطارِ الصَّحارى أُطَوِّف

فقلتُ وقلبي ضِمْنَ شجْو ولَوْعةٍ وَجفْني بِمَنْثُور الجُمَان يُكَفْكَف

أَدَاراً سُقِيتِ الوَبْلَ غيرَ مُبَرِّحٍ
ولا بَرِحَت عنكِ الحوادثُ تَصْرَف

لَقد هِجْتِ في القلب العَمِيد صَبَابةً تكادُ لها صُمُّ الجبال تقَصَّفُ

وقال مُورّياً :

وعاذلٍ عن الهوى عاذلٍ يدعُو لأَمْرٍ في الهوى إِمْر

قال اسْلُهم واصبِرْ فكم ذائِقٍ أَمَرَّ في الهجر من الصَّبْر

وزَعْ عِنانَ القلب عما جرى علَيْه من بَلْوَاهُ أَو يَجْري

فأيُّ عُذْرٍ في اتِّباع الصِّبا قلتُ له إن الهوى عُذْري

---

١ ـ انظر التعليق على صفحة ٢٦٩ بالجزء الاول

وقال الأمير محمّد العالِم بنُ السلطان مولاي اسماعيل العَلَوي أيامَ خلافته بِسُوس يتشوّق الى مدينة فاس :

ألا ليتَ شِعري هل أُنزِّهُ ناظري ... ولِلنَّفسِ إقْبالٌ بِوادِي الجواهر

أُمتِّع طرْفي في رِيَـاضٍ أنيقةٍ ... وأقطِف أزهاراً بها كالزَّواهر

بحيثُ تُرَى أُسْدُ العَرينِ صَريعةً ... وقد فتَكَتْ فيها ظِبَاءُ المَقاصر

وحيث تُرَى غُلْبُ الحدائق سَلْسَلَتْ ... حَديثاً صَحيحاً عن نَسيمِ الأزاهر

وقد نسَجت كفُّ النسيم عَشيةً ... دُروعَ مِيَاه بين تلك النَّواعِر

وأصبحَتِ الأطْيارُ فَوْقَ غُصونِها ... فِصاحاً تَقُصُّ فوقَ خُضرِ المنابر

سقَى اللهُ أدْواحاً بفاسٍ عهِدتُها ... تُغَازِلُ أنواءَ الغُيوثِ المواطر

ولا برِحَتْ عينٌ تَراها قَريرةً ... وان قَذَفَتْ بالقَلْب جَمْرَةَ حائر

لكَ اللهُ من إلْفٍ بِدَرْعَةَ[1] جِسْمُهُ ... وَقَلْبٌ بفَاسٍ في قُدَامَة طَائر

تُراوِحُه الأشواقُ في كل ليلة ... فما بَيْنَ مُزْوَرّ هَواه وزائر

ولو انَّهُ يُعْطَى على قدر مِثْلِه ... لَكَانَ له ما بَيْنَ يُسْرٍ[2] وياسِر

١ – اسم اقليم مغربي معروف .

٢ - يسر اسم ماء لبني يربوع وياسر جبل في منازل أبي بكر بن كلاب .

وقال أخوه الأمير زَيْدان :

لم أنسَ يومَ زارني قمَري — فَكَمُلَ الأُنسُ به اذْ جلس
قبَّلتُ منه الخـدَّ مُختَلِساً — وانَّما العَيشُ الشهيُّ خُلَس
ومِـلْت للثَّغر على غِـرَّة — مِنْه فَما أَطْيَبَ ذاك اللَّعس
فجادَ لي بالرِّيق حيثُ دَرَى — أَنِّي عليلٌ لا أُطِيقُ النَّفس
وبتُّ نَشْوَانَ بِعَـافِيَـةٍ — أَغْتنِمُ الفُرْصَةَ عنـد الْغَلَسْ

وقال ابنُ زَاكُور :

يا رَعَى اللهُ لَيَالٍ قد خلَتْ — كلَئـالٍ في سُلُوك من نُضَار
وعهوداً سلَفتْ لي بـالحِمَى — فسقَى الوَبْلُ الحِمَى غيرَ مُضَار
حيثُ لا هَمَّ ولا غَمَّ سوى — رَنَّةِ العُود وكاسَات تُـدَار
من عُقَـارٍ كنُضَارٍ أفرِغت — في أَبَاريقَ حكَتْ شُهْبَ الدَّرَار
علِّلُوا قَلْبَ الشَّجِي من شُرْبها — مَا أُحيْلَى الشُّربَ من تِلْك العُقار
مَعْ ظِبَاءٍ كَلِفَ القلبُ بِهم — سمَحُوا بالوَصْل مِن بَعْد نِفَار
في رِيَاض كَزَرَابٍ نُمِّقَتْ — بِشَقِيـقٍ كَعَقِيقٍ وبَهَـار
أأَرَى أحظَى بوَصْل بعد مـا — بَعُدَت من طاقتي تِلك الدِّيار
فعلَى آرامِهـا من مُدْنِـفٍ — شائِـقٍ نَشْرُ سلامٍ كالعَرار

وقال مجنساً :

ذابَ قلْبِي من الصُّدودِ ولولَا ... ما أُرَجِّي من الوصال قَضَيْتُ
ليتَ شِعْرِي وهل يَرِقُّ لحالي ... من هَوِيتُ فإنني قـد هَوَيْتُ

وقال :

ولَقَدْ ذَكَرْتُك بالرُّبى من لَمطَةٍ[1] ... ونَسِيمُهَا يُهْدِي إليَّ أريجـا
فاهْتاج ريحُ الشوق بين اضالِعي ... يُذْكِي لظَى وَجْدي فأَجَّ أَجِيجا

وقال :

ذكرتُك والبحرُ طَلْقُ المُحَيَّا ... على مَتْنِه رَوْنَقٌ وَابتِهاج
فَآضَ سَرِيعاً يُحَاكِي فُؤَادي ... لِأَمْواجِهِ لَدَدٌ وانْزعـاج
أَلَا لَيْتَ شِعْرِيَ يجمَعُنـا ... بِلادٌ له من سنَاك سِرَاج

وقال ابن الطيِّب العَلَمي :

اشكُو الى اللهِ لا إلى أَحـدِ ... غَمَّ الفِرَاق الذي على كَبَدي
ومـا أُكابِدُ فيـه من تَعب ... لقد خَلَقْنـا الإنسان في كَبَـدِ

---

١ – لمطة اسم قبيلة مغربية شهيرة .

غابَ الذي غِبْتُ في محَاسِنِه وسارَ من بَـلَد الى بَـلَد
قطعتُ عنـه يدَ الوَفا فنأى يا لِلْوَرى بِيَدي قطَعْتُ يدي
بدرٌ بـأُفْق القُلُوب مَطْلِعُـه يفْتَرُّ عـن دُرَرٍ وعـن بَرَد
رَوَيْتُ عن ثَغْرِهِ النِّظامَ الى أَنْ شِخْتُ بين الرَوِيِّ والوَتِد
وَلِي لِسَانٌ يَزِيْنُـه لَسَنٌ أَكَادُ فيـه أُقاسُ بالصَّفَدي[1]
ظَلَّتْ دموعي في الخد مُطْلَقَةً يَوْمَ الوَداع والقَلْبُ في صَفَد
يقولُ إن قلتُ مُت مِن شغَفٍ ما إنْ أرَى لِلْقَتيل من قَوَد

وقـال :

تَفَتَّحَ وَرْدٌ يانِعٌ فوقَ خده أَلَا فانظُروا ورْداً تفتَّح في الخد
وفِي ثَغْرِهِ وَرْدٌ مُنِعْتُ وُرودَه وما ضرَّه لوْ جَاد بالوَرْدِ والوِرْد

وقـال :

يا طلعةَ البدر في ليل من الشَّعَر يا فِتْنَةً خُلِقَت في صُورة البَشر
ارْحَمْ شَهيـداً له في الحب مُعتَرَكٌ بين المباسِم والالحاظِ والطُّرَر

وقال الاديب ابو عبدالله الشَّرْقي صاحِبُ ٱلْعَلَمي :

---

١ – هو الأديب صلاح الدين الصفدي المعروف .

مَن لي بها تَخْتَالُ في حَلْيِها كروضة تختال في زَهْرِهــا
فبِشْرُها ارحَبُ من بِشْرهــا ونَشْرُها اطيَبُ من نَشْرهــا
وخدُّها ابهجُ من وَرْدهــا ونورُها أَلطَفُ من نَورْهــا
وقدُّها أَرْفَــعُ من غُصْنهــا ووجهها ابيضُ من فَجْرهــا
العيشُ والجنةُ في وَصْلهــا والموتُ والنِّيران في هَجْرهــا
عاطَيْتُهــا راحــاً مُشَعْشَعَةً كمِثْلِ ياقوتٍ على نَحْرِهــا
راحٌ أَراحَ الأُنسُ فِكْري بها من شَارَةِ الدُّنيا ومن شَرِّهــا
وهيَ في مجلس أَفْرَاحِهــا كأَنَّها الزبَّاءُ في قَصْرهــا
لو تُسْعِدُ الدنيــا بِزَوْرَتِها لاصطَلَحَ الناسُ على شُكْرَها

وقال :

بعثَ الحَبيبُ كِتابَهُ لِيَعوُدَني وَيَرَى اكْتِئَابِي بعْدَهُ وَهُيَامِي
فكأَنَّما أَمر الفُــؤَادَ بضَلَّةٍ والجَفْنَ أَن لا يَهْتَدي لِمَنام

وقال ، وهو تَلْخِيصٌ بديع لِقصَّة الُحب من أولها الى اخرها :

بَدْءُ الغرام مُجُون وبعد ذاك شُجُون
والحبُّ نفــعٌ وضُرّ وَجَنَّــة وجُنُون
ورَاحَــةٌ وبَــلاءٌ ومُنْيَــةٌ ومَنُون

فاحفظ فؤادك منه فما هناك أمين
أوْلا فمتْ به وجداً فالموتُ فيه يَهون

وقال الوزيرُ ابنُ ادريس وارتكب فيها انواعاً من البديع :

سحَرتك بالطرف الكحيل الساحر وبحُسْن قدٍّ كالقضيب الزاهر
وبغُرَّة كالفجر تحت ذوائبٍ كدُ جُنَّةٍ فاعجب لِحُسْن باهر
وبنُقْطة مِسْكيَّة في وجنــةٍ ورْدِيَّة ذاتِ الأريج العاطر
وبريقِها المَعْسُولِ إلاّ انه يشْفِي الحشا من كل داءٍ ضائر
ريقٌ أعَزُّ عليَّ من نَيْل المنى وألذُّ من رَشْفِ الرَّحيق لخاطري
مَاذَا وكَمْ اوقعتني في حَسْرة وجلَبْتَ لي من شِقْوةٍ يا ناظري
ولَكَمْ جَمَحْتَ بتِيهِ مَيْدان الهوى مَا بَيْنَ جيْش قواضِب وبوَاتِر
وتركْتَني في حيٍّ لَيْلَى مُثْخَناً بِظُبى ظِباءٍ لم أجد من ناصر
يا سَعْدُ هل لي في الهوى من مُسْعِدٍ بشِفَا شِفَاهِ اللُّعْس تَحْت غدائر
ام هل بِنَجْدِ هوَاهُمُ من مُنْجِد لِمُتَيَّم في حاجر بمَحاجِر
فَتكَتْ عيونُ العِينِ في أحشائه بشِفَارِ ألْحاظٍ رَمتْ بخنَاجِر
وسطَتْ عوامِلُ قدِّهِنَّ بقَلْبِه فَغدا أسِيرَ عَوامِلٍ ونَوَاظِر
أَوْثَقْنَه بِحِبَال وعْدٍ مُخْلَف وشدَدْنَ أسْرَ وثاقِه بمَعاذِر
نفسي الفداءُ لِظَبْيَةٍ فتَّانة فتَّاكة بشِفَار شَفْر فاتر

نَامَتْ نواظِرُها وقد سلَبَتْ كرَى | طَرْفي بطَرْفٍ بَابِليٍّ ساحر
وغدا الجَمالُ بأسْرِه في أَسْرِها | والسِّحْرُ أَيَّـد جُنْدَه بعَساكِر
فإذا بَدَتْ سجَد العُيون لِحُسنها | تَسْبيحُها : سُبْحان ربِّي الفاطر
وترى القلوبَ خوَاشِعاً لجمالها | مكْسورةً من كَسْر طَرْف كاسر
شمْسٌ على غُصْن تكَوَّن في نَقَا | من تَحْت ليْلٍ ذوَائب وغدائر
نصَبتْ قِسِيَّ حوَاجبٍ موْتورة | بالسِّحْر ترْمي كلَّ صَبٍّ ناظر
فكأَنَّما هارُوتُ عن أجفـانها | يَرْوي فيُسْنِدُ ساحِرٌ عن ساحر
ورعَتْ رعَاها اللهُ في ربْعِ الحشا | حبَّ القُلُوب ولم تَخَفْ من زاجر
غَيْداءُ قد ورِثَتْ محَاسِنَ يُوسفٍ | نَاهِيكَ من حُسْن بَهِيٍّ باهر
وتوطَّنَت بالمُنْحَنى من أَضلُعي | ومُحَصَّبِ الأَحْشا رمَتْ من حاجر
فغَدَوْتُ ما بَيْنَ الأَنام مُتَيَّما | بجمالهـا ومُهَيَّما في سَائر
وغَدا عَذُولي عاذِراً في حُبِّها | فاعْجَبْ لِعاذِل ذي غرام عاذر
كم من عَذُول في الهوى ومُكاشِح | غَابَتْ شوَاهِدُه بوجه سافِر
ولَكَمْ رقِيبٍ في الهوى أَلَّفْتُه | بالشعر حتى عاد عند أوامري
ولَكَمْ نظمتُ سُلُوكَه في غادة | فأَتتْ قلائِدُه بدُرٍّ فـاخر
ولَكَم ليَالٍ قد خَلوتُ فَرِيدةٍ | والكاسُ نجمٌ في سَماءِ أزَاهِر
ومُدِيرُنا رفَع العَقِيرةَ منشداً | قِطَعاً أَلَذَّ من المُـدام الدائر

يشدو فيبدُو الدُّر من أصْدافه ثَغْرٌ وَشِعْرٌ مَعْ عقودِ جواهر
سَقْياً لأَيامِ الوِصالِ وقُرْبِها وَزَمانِ أُنْس بالأَوَانِس زاهر
إنّي لأذْكُرُهُ فأَحْسِبُ أنني من كَثْرَةِ الاشواق بَيْنَ مَحَاضِري
وأقولُ للأَيام هل من عَوْدة لِزَمانِنا الماضِي بوَصْل حاضِر
فعَساءَ يظهر لي المَتاب بعَوْدة ويُكَفِّرُ الماضي بحُسْن الآخِر

وقال :

أَلَا خَبِّرُوا ذاتَ الخلاخل والقُرْط بأَنِّي مِلْكٌ للجمال بلا شَرْط
لقد اودَعَتْ قلبي وحقِّك لوعةً
غداةَ غدَتْ بين الوِشاحَيْن وَالمِرْط
تَمِيسُ كَخُوط اَلْبَانِ غازَلَه الصَّبا وتُسْفِرُ عن بَدْر وتَفْتَرُّ عن سِمْط
رَمَتْني بسهم الغُنْج عن قَوْسِ حاجِب فأَصْمَتْ فؤَادَ المُسْتَهام ولم تُخط
وما كانَ بَدْءُ الحب الا بنَظْرة وتَبْتَدِيءُ النِّيرانُ من ضَرَم السَّقْط
عجِبْتُ لها مُذْ وَرَّدَ الحسنُ خدَّها وَزَيَّنَه كَفُّ المحاسِن بالنَّقْط
وَحلَّتْ بقَلْب المُسْتَهام وأَهلُها بذَاتِ الغَضا ما بَيْنَ نَعْمان والشَّطِّ

وقال في سِرْبِ نِسَاء تعرَّضتْ للسلطان ببلاد زمور :

أَظباءَ زمّور سلبتم مهجتي بقَنا القُدودِ وصارِم اللَّحَظات
وهتكْتم بالقَهْر حِصْنَ تَنَسُّكي بجُيوش حُسْنِ خَرِيدَة ومَهاة
شُنَّتْ علينا بالنواظر غَارَةٌ فأَخذتُم الأَلْبابَ في الثَّارات

كُفُّوا لِحاظَكُم الكَحيلَة وارْدُدُوا أَسْلابَ أَلبابٍ على المُهَجات
أوْ لا أَبيحُوا للشِّفَاهِ شِفَاءَهَا ولْتَسْتَحِلُّوا لَثْمَ تِي الوَجنَات
قالتْ أَفِي شرْعِ الغرام تَحَكُّمٌ أَرَأَيْتَ مِن حَكَمٍ على الْفَتَيات
نحن الملوك على الملوك وإنَّما احكامُنا بالقَهرِ والْغَلَبَات
الجورُ عدلٌ عندنا والظُّلْمُ حقٌ بَيْنَنا والذَّنبُ كالحسَنَات

وقال القاضي ابو عبدالله بن طاهر الهَوَّاري وهو من تَبْدِيل الْقَلْب :

قد سبَى عقْلِيَ مَعْسُولُ اللَّمَا باللَّمَا المعسول عقْلِي قد سَبَى
عذَّبَ الْقلبَ اخْتياراً بالهَوَى بالهوَى الْقَلبَ اخْتِياراً عَذَّبا
قد أَبى الوصْلَ ولكِنْ أَرْتَجِي أَرْتَجِي الْوَصْلَ ولكن قدْ أَبى

وقال في مليح يسبَح :

ومُجرَّدٍ قد لَاحَ وسْطَ الماء مُتَلَأْلِئاً كالدرَّة البيضاء
أبدَى لَنا من رِدْفه دِعْصَ النَّقا والخصْرُ أَخصَرُ ما يَرَاهُ الرائي
يطفُو ويرْسب والمحاسِنُ تُجتَلَى بتَخالُف الأَوْضاع والأَنْحاء
عوَّذْتُه كيْ لا يُصابَ بأَسْهُم من أَعيُن النُّظَّار والرُّقَباء

وقال الاديب ابو العباس احمد بن الرَّضي بن عثمان المكناسي .

هوًى يعلو فأَخفِضُه اصطبارا فما يزْدَادُ بي الا أُوَارا
وأَضْرِبُ عن حديث الحب صَفْحاً فتَسْتَهْوِينيَ الذِّكْرَى افْتِكارا
لبِستُ الحب فوق العَظْم جِلداً وقَيْسٌ حازَه ثَوْباً مُعارا
فإن تَعْجَب ففي أَمْرِي عجيب يَرَى أَهلُ ٱلْهوى فيه اعتِبارا
أَلَيْسَ الدَّمْعُ يُبْرِدُهم غَليلا فما لِلدَّمع لِيَ يَزِيدُ نارا
ولوْ كالشَّمْس او كالبدْر أَضْحَى مُحيّا مَنْ هَوِيتُ لَقُلْتُ زَارا
ولكن فيه عينُ الشمس غابتْ وأَما البدرُ أَبصَرَه فحَارا
تعالى اللهُ كم أَهدَى بسَهْم من الأَهداب للكَبِد انْفِطَارا
ولجَّ ٱلْعَاذِلُونَ فَأَوْسَعُوني غَداةَ رأوا لواحِظَه اعْتِذارا
أَبيتُ وكلُّ من يهوى يَبِتْ في ضُيوف الحب يَقْرِيه الجِمَارا
أُفَكِّرُ في مَبَاسِمِه التي مَن يضِلُّ يقُول جهْلاً واغترارا
ثُغُورٌ ام لآلِي الدُّر تَنْدَى اجادَ النَّسْق ناظِمُها جُوَارا
جرَتْ انهارُ كوْثَرِها رُضاباً ولو حقَّقْتَ قُلْتَ جرت عُقَارا
أَغُصْناً مالَ بالأَلباب مِنَّا فنَرْجُو الوصلَ يُطْلِعُه ثِمارا
أَكَلَّفْتَ ٱلرِيَاضَ تَذُوب نِشْراً فقد أَغْنَى المَيَامِنَ وٱلْيَسارا
وما أَغْنَى غَنَاءك في كِفَاء يُسَابِقُ غُصْن بانِكَ حيث سار

متى أَشْمُمْ عِذَاراً في أَصيل فأفضح رَنْدَ نَجْدٍ والْعَرارا
فَتَحْظَى بالْمُنَى منا نفوسٌ ترَى إِذْلاَلَهَا فيك افْتِخاراً

وقال محمد بن الشيخ سيدي الأَبييري الشنقيطي :

ما للمُحِبِّين من أَسْرِ الهوى فادِ ولا مُقِيدٌ لِقَتْلاهُم ولا وَادِ
ولا حَمِيمٌ ولا مَوْلًى يَرِقُّ لهم بل هُم بِوادٍ وكُل الناس في وَاد
يا رَحْمتي لهمُ ما كانَ أَصبَرَهم على مُعاناة جمع بَــين أَضْداد
والناسُ إِلْبٌ عليهم واحدٌ فلذا مَا إِنْ تَرَى من يُوَاسِيهم بإِسعاد
إما عَـذُولٌ وإمـا ذُو مُراقَبَة أَوْ زَاعِمُ النصْح أَو سَاعٍ بإِفساد
إن أَظْهَروا ما بهم لِيمُوا وإن كَتَمُوا
لاقَوْا بِمـا كَابَدُوا تصْديع أَكْبَاد
وهَيِّن كلُّ ما لاقوه عندهُم لو أن أَحبابَهم ليسُوا بصُدَّاد
يا عاذِلين أَقِلُّوا اللَّومَ وَيْحَكُمْ إِنِّي لِمَنْ رامَ قوْدِي غيرُ منقاد
ولا يُلِينُ قناتي غمزُ غامِزِهـا ولا يُقِيمُ ثِقَافُ العذْلِ مُنْئَادِي
أَحيْثُمَا كنتُ أَو يَمَّمتُ من جهة أُلفِي رقيباً ولوَّاما بمِرْصاد
ما اعتادَ قلبي الصِّبا لكنَّ من ملكَت
يَدُ الغرام يعــودُ غيرَ مُعتَـــاد
يزدادُ باللَّوْم حبُّ الصادقين هوًى وَاهاً لحب بطول اللوم مُزْداد

والطَّرفُ للقلب مرتادٌ ولا عجبٌ في قفْو منتجع آثار مرتاد
والحبُّ أمرٌ عزيز ليس مرتبطاً في حكمِهِ عند من يدريه بالعَاد [١]

وقال السيد محمَّد الحرَّاق المتوفى سنة ١٢٦١ وهو من شعر الاشارة :

أَحِبَّتَنا إن الغرامَ أصابني وغيَّبني حتى تحَيَّرْتُ فيكُم
فإن رُمتُ نوماً فارَق النومُ مُقْلتي وان رُمتُ بَسْطاً خِفتُ سَلْوايَ عنكم
وان كنتُ من اهلي قريباً اخاف ان تروا من مُحِبٍّ حالةَ البُعد منكمُ
وان كنتُ ناءٍ عنكم خِلْتُ أنني أُقصِّر عن نَهْجِ العَبيد لَدَيكمُ
على كلِّ حالٍ ليس في الحُبِّ راحةٌ أموتُ شهيداً والسلامُ عليكُمُ

وقال :

أتتْ في الدُّجى كي لا يراها رقيبُها ويخلُصَ من شَرِّ الوُشاة حبيبُها
فنمَّ بها إشراقُ نورِ جمالِها وأخبَر عنها إذ تضَوَّع طيبُها
فواللهِ لا يخلُو بها غيرُ عاشِق رقيقُ المعاني في الامور لبيبُها
فنى فبدَت في موضع الوَصْل وحدها ولمَّا يكُنْ شيء هناك يُريبُها

---

[١] – العاد جمع عادة .

وقال مُضَمِّناً قول المجنون في آخره :

أماطتْ عن محاسِنِها الخِمارا فغادرت العقولَ بها حُيارى
وبثّتْ في صميم القلب شوْقا توقّد منه كلُّ الجسم نارا
وألقتْ فيه سِرّاً ثُمَّ قالت أرى الإفشاء منك اليوم عَارا
وهل يَسْطيع كَتْمَ السِّر صبٌّ اذا ذُكِرَ الحبيبُ لَدَيْهِ طارا
به لعِبَ الهَوى شيْئاً فشَيئا فلَمْ يشْعُرْ وقد خَلَع العِذارا
الى أن صارَ غَيْباً في هواها يُشيرُ لِغَيْرها ولَها اشَارا
يُغالِطُ في هَواها النَّاسَ طرّاً ويُلْقي في عيُونِهِم الغُبارا
ويَسْأَلُ عن معَارِفِها الْتِذاذاً فيَحْسِبُه الوَرى أن قد تَمارى
ولو فهِموا دَقائِقَ حُبِّ لَيْلَى كفاهُم في صبَابتِه اختبارا
إذا يبدو امروءٌ من حَيِّ ليلى يذِلُّ له وينكسِرُ انكسارا
ولوْلَاها لما اضحَى ذليلاً (يُقبِّلُ ذا الجدار وذَا الجدارا
وما حُبُّ الدِّيار شغَفْنَ قَلْبي ولكنْ حُبُّ مَن سكَن الدِّيارا)



الوصف[1]

للقاضي أبي الحسن بن زِنْباع يصف الربيع :

أبدَتْ لنا الايامُ زَهْرةَ طِيبها ... وتسَرْبلَتْ بنَضِيرِها وقَشِيبِها
واهتزَّ عِطْفُ الارض بعد خُشوعِها ... وبدَت بها النَّعماء بعد شُحوبها
وتطلَّعتْ في عُنْفُوان شبابها ... من بعد ما بلَغَتْ عُتِيَّ مَشِيبها
وقفَتْ عليها السُّحْبُ وقفةَ راحِم ... فبكت لها بعُيونِها وقُلوبها
فعَجِبْتُ للأَزْهار كيف تضاحكت ... ببكائها وتباشَرت بقُطوبها
وتَسَرْبلَت حُللاً تجُرُّ ذُيولَها ... من لَدْمِها فيها وَشَقِّ جُيوبها
فلقد أَجادَ المُزْنُ في إنجادِها ... وأَجادَ حَرُّ الشمس في تَرْبيبها
ما أَنصَفَ الخيريُّ يَمنعُ طيبَه ... لِحُضورها ويُبيحُه لِمَغيبها[1]
وهي التي قامَتْ عليه بِدِفْئِها ... وتعَاهَدَتْه بَدرِّها وحَليبها

---

١ — الخيري زهر يعرف بالمنثور تذكو رائحته ليلاً ويقول له العامة مسك الليل .

فكأنَّهُ فرضٌ عليه مُوَقَّتٌ ووُجوبُهُ متعلق بوُجوبها[1]
وعلى سماءِ الياسَمِين كواكبٌ أبدتْ ذكاءُ العَجْزَ عن تغييبها
زُهْرٌ تُوَقِّتُ لَيْلَها ونهارَها وتفوت شأوَ خسوفها وغروبها
فَضلَتْ على سِرِّ النجوم بأسْرِها وسُروِّها في الخِلْقتين وطيبها
فتأرَّجتْ ارجاؤُها بِهُبوبها وتعانَقَتْ أزْهارُهــا بنكوبها
وتَصوَّبتْ فيها فروعُ جداولٍ تتصاعدُ الابصارُ في تصْويبها
تطفو وترسُب في أُصول ثِمارها والحسْنُ بينَ طُفوِّها ورُسوبها
فكأنما هي مُوجِسَاتُ أساوِدٍ تنْسَابُ من أنْقابها لِلُصْوبها[2]
بادِرْ كُؤُوسَ الأُنسِ في حافاتها واجعَلْ سَدِيدَ القوْل من مَشْرُوبها
فَحَدِيثُ إخوان الصَّفَاءِ لَذاذَةٌ تُجْنَى ويُؤْمَنُ من جِنَايَةِ حوبها
وارْكُضْ الى اللذّاتِ في مَيْدانها واسْبِقْ لِسَدِّ ثُغُورها ودُروبها
أَعْرَيْتَ خيْلَكَ صيفَها وخَريفَها وشِتاءَها، هذا أوَانُ رُكُوبها
أوَ مَا ترَى الازهارَ ما مِنْ زَهْرةٍ إلّا وقد رَكِبَتْ فَقارَ قضيبها
والطَّيرُ قد خفَقتْ على أفْنانها تُلْقِي فُنونَ الشَّدْو في أُسلوبها
تَشْدُو وتهْتَزُّ الغصُونُ كأنمــا حَرَكاتُها رَقْصٌ على تطْريبهــا

١ – أي وجوب ذلك الفرض عليه مرتبط بوجوب الشمس يعني غروبها .
٢ – جمع لصب وهو الشق في الجبل ونحوه .

وللقاضي عِياض في خامَات زَرْع بَيْنَهـا شقائقُ نَعْمَان هبَّت عليها ريح :

انظُرْ الى الزَّرْع وخامـاته تَحْكِي وقد مَاسَتْ أَمامَ الرِّياح
كتيبـةً خضْراءَ مَهْزُومَـة شقائِقُ النُّعْمانِ فيهـا جِرَاح

ولأَبي العبَّاس ابنِ غازي السَّبْتي يصِفُ ناقة :

حرْفٌ كمِثْل الصَّـادِ إلاّ أنها بعدَ السُّرى جاءت كحَرْف النُّون
كالبدر قدَّرَهُ الالَهُ منـازِلاَ في الأُفق حتى عاد كالْعُرْجُون

ولأَبي بكر ابن تَافَلْوِيت في سيفٍ هزَّه على بن يوسف ابن تاشفين ارتجالاً :

هزَزْتَ حُسامـا فشبَّهتْـه غَدِيراً من الماء لكن جَمَـد
فلمَّا بـدا لِيَ إفْرنـدُهُ لَهيباً من النـار لكن خَمَد
فـلولا الجُمُود ولولا الخُمُود لَسَال لَدَى الهزِّ أو لاتَّقَـد

ولابن عَبْدُون المكْناسي يصِفُ نَهْراً ورَدَتْه عِصابَةُ طَيْر :

قم انظرِ النَّهر في انْصِبَابِه كأَنَّـه الصِّلُّ في انْسِيَابِـه
قـد انتحتْـه ظِماءُ طَيْر مُقْتَحِماتٍ عـلى جنابـه

تَنْقَعُ من مـائِه أُوَامـاً وَتَلْقُط الحبَّ من حَبَابِ

وله في المشيب :

لَمـا تراءتْ لِلْمَشيب بمَفْرِقي شُهبٌ أَغْرنَ على شَبَابِي الأَدْهَم
أَبْدَى التجهُّمَ مَن أُحِبُّ أَمادَرَى أَنَّ الدَّيَاجِي حُسْنُهَـا بِالأَنْجُم

وله في مدينة مَكْناس :

إن تَفْتَخِرْ فـاسْ بما في طَيِّها وبأنهـا في زِيِّهـا حَسْنَاءُ
يَكْفيكَ من مَكْناسَةٍ أَرْجَاؤُها والأَطْيبانِ هَوَاؤُهـا والماءُ

ولابن جابر المكْناسي فيها :

لا تُنكِرَنَّ الحسنَ من مكناسةٍ فالحُسْنُ لم يَبْرح بها مَعْرُوفا
ولَئِنْ محَتْ أيدي الزَّمان رُسومَها فَلَرُبَّمَا أَبقَتْ هناك حُرُوفـا

ولابي العباس العَزَفي في صِفَةِ لَيْلة :

وكَمْ ليْلةٍ نِلْتُ فيهـا المُنَى وباتَ لِيَ الحِبُّ فيهـا نَجِيّا
إذَا ظَلَّ لَحْظِيَ في جُنْحِهـا هدَتْ وَجْنتاه الصِّراطَ السوِيَّا
أُرَاعُ فـأسأَلُ عن صُبْحِها فيَرْجعُ لي جُنْحُها ثَمَّ هَنِيّـا

إلى أَن بَــدا لِيَ سِرْحانُها يُحاوِلُ للجَدْيِ فيهــا رُقِيّا[١]
فيا لــكِ من ليلةٍ بِتُّهَــا أُنادِمُ بَـدْرَ دُجاهــا البَهِيّا
حكَتْ ليــلةَ ٱلسَّفح في حُسْنها
فأَصبحتُ أَحْكِي الشَّريفَ الرَضِيّا[٢]

ولمالك بن المرحل يصف قِصَرَ الليل :

وعَشيةٍ سبَقَ الصباحُ عِشاءَها قِصَراً فما أَمسَيْتُ حتى أَسْفَرا
مِسْكيَّة لبسَتْ حُلى ذَهَبِيَّة وَجَلا تَبسُّمها نِقاباً احمَرا
وكأَنَّ شُهْبَ الرَّجم بعضُ حُليِّها عثَرَتْ بهِ من سُرْعَةٍ فتكَسَّرا

وله في وَصْف مَدينة سَبْتَةَ :

إِخطِر على سَبْتَةَ وانظُرْ الى جمَالِهــا تَصْبُ إلى حُسْنِه
كأَنها عُودُ الغِنَــاءِ وقد أُلْقِيَ في البحر عــلى بَطْنِه

ولأبي القاسم الشَّريف يصِفُ دُولَابا :

وذاتِ حَنينٍ تَسْتَهِلُّ دُموعُها سِجاماً إذا يحْدُو رَكائِبَها الحادي

---

١ – السرحان الفجر ، والجدي نجم الى جنب القطب تعرف به القبلة .

٢ – يشير الى قوله :

يا ليلة السفح هلاّ عُدتِ ثانيةً سقَى زمانَكِ هطالٌ من الدِّيَمِ

تعجبتُ أَنْ ليْست تريمُ مكانَها ولَم تَخْلُ من تأْويب سَيْرٍ وإِسْئَاد
وأَرصَدْتها في الروض أَيَّةَ عُدَّةٍ فَكَانَتْ لِدَفْع المَحْل عنه بمِرْصاد
تخَالَفَ مـاءُ المُزْنِ حُكماً وماؤُهـا
وكلٌّ علٰى روض الرُّبى رائِحٌ غـادِ
فيُنْجِدُ هذَا بعد ما كَانَ مُتْهِماً وذاكَ تَرَاهُ مُتْهِماً بعد إِنْجَاد [1]
لِئِنْ قـذَفَتْ ذَوْبَ اللُّجَيْنِ على الثّرى
لَقَـــدْ خلّصَتْه القُضْبُ حَلْياً لأَجْيـــاد

وله يصف رُمْحاً :

وَأَحمَّ مَمْطُولِ الكُعُوبِ اذا اقْتضَى
مُهَجَ الكُماةِ فَـــدَيْنُه لا يُمْطَلُ [2]
مُتَوَقِّدٌ حتى أَقُولَ أَذَابِلٌ بِيَدَيَّ مِنْهُ أَمْ ذُبَالُ مُشْعَل
لوْلَا التِهابُ النَّصْل أَيْنَع عُودُه مِمَّا يَعُلُّ من الدِّماء وَيَنْهَـلُ
فاعْجَب له إِن النَّجِيعَ بِطَرْفه رَمَـدٌ ولا يَخْفَى عليه مَقْتَـل

١ ــ نجد ما ارتفع من أرض تهامة الى العراق يقال أنجد وأتهم اذا أتى نجداً او تهامة ومن ثم جاء التشبيه في قول شاعرنا .

٢ ــ الأحم الأسود ،وممطول الكعوب مقوم العقد .

ولابن الجنّان المكناسي ممّا كتبه على دَوْر خشبيّ بدَاره :

انظر الى مَنْزل متى نظَرتْ عيناكَ يُعْجِبْكَ كلُّ ما فِيه
ينْبِيءُ عن رِفْعَةٍ لِمالِكِه وعن ذَكَاء الحِجَا لِبَانِيه
يناسِبُ الوَشْيُ في أسافِله ما يَرقُم النقشُ في أعالِيه
كأنّه روضةٌ مُدبّجَةٌ جادَ لها وَابِلٌ بهامِيه
فأظهرتْ للعيون زُخرُفَها ووافقتْها على تجلّيه
فهْوَ على بَهْجَةٍ تلُوحُ به ورَوْنَقٍ للجمَال يُبْدِيه
يشْهَدُ للساكنين أن لهم من جَنَّة الخُلْد ما يُحاكِيه

ولعبد المُهيْمن الحضْرَمي يصِفُ النَّخل في سِجِلْماسة :

لقد رَاقَني مَرْأَى سِجلْماسةَ الذي يُقِرُّ له في حُسْنه كلُّ مُنْصِف
كأنَّ رُؤُوسَ النخْل في عَرَصَاتِها فوَاتِحُ سُورَاتٍ بآخِر مُصحَف

وللفقيه المَغيلي في مَدينَة فاس :

يا فاسُ حيَّا اللهُ أرضَكِ مِن ثرًى وسقاكِ من صَوْب الغَمام المُسْبَل
يا جنَّةَ الدنيا التي أرْبَتْ على عَدْنٍ بمنظرها البَهِيِّ الأجمَلِ
غُرَفٌ على غُرَف ويجري تحتَها ماءٌ ألَذُّ من الرَّحيق السَّلْسَلِ
وبساتِنٌ من سُندس قد زُخرِفَت بجَدَاوِلٍ كالأَيْم أو كالفَيْصلِ

وبجامع القرويّ شرّف ذكره أُنسٌ بذكراه يهيج تململي
وبصحنِه زمنَ المصيف محاسنٌ فمعَ العشيِّ الغربَ فيه استقبلِ
واشرَبْ بتلك البِيلَة[1] الحسناء به وا كرع بها عنّي فديتك وانهلِ

وللأستاذ مَنديل ابن أَجرُّوم يصف الطبيعة خارج بـاب الفتوح بفاس :

أيُّها العارفون قدْ الصَّبُوح جدِّدوا عهدَنا بباب الفتوح
جدِّدوا ثمَّ أُنسَنا ثم جدُّوا نسرَحِ الطرف في مجال فسيح
حيثُ شابتْ مفارقُ اللَّوْز نَوْراً وتساقطْن كالُّجَيْن الصَّريح
وبدا منه كلُّ ما احْمَرَّ يحكي شفقـاً مزّقته أيدي الرِّيح
وكأنَّ الذي تساقط منـه نُقَطُ لحْنَ من دَمٍ مسفوح
وإذا مـا وصَلْتم لِلْمُصَلَّى فلْتَحُلُّوا بموضـع التَّسبيح
وبطَيفورِها فطوفُوا لِكيما تُبصِرُوا من ذُراه كلَّ السُّطوح
ولْتُقيموا هناك لَمْحةَ طَرْف لِتَرُدُّوا به ذَمـاء الرُّوح

---

١ – البيلة اسم سقاية من الرخـام بصحن القرويين والكلمة معربة من pila الاسبانية .

٢ – في مخطوط نثير الجمان مكان هذا العجز : فلْتَنْجلوا مواضعَ التسبيح . ولعله أنسب للمعنى .

ثم حطُّوا رِحالَكم فوقَ نهر كلَّ في وصفِه لِسانُ المديح
فوقَ حافاتِهِ حدائقُ خضْرٌ ليس عنها لِعاشِق من نُزُوح
وكأنَّ الطُّيورَ فيها قِيانٌ هتفتْ بينَ أعجمٍ وفصيح
وهيَ تدعوكمْ الى قبَّةِ الجوْ زِ هلمُّوا الى مكانٍ مليح
فيه ما تشتهون مِن كلِّ نورٍ مُغلَق في الكِمام او مفتوح
وغصونٍ تهيجُ رقصاً إذا ما سمِعتْ صوتَ كلِّ طير صدُوح
فأجيبوا دُعاءها أيُّها الشَّرْبُ وخلُّوا مقالَ كلِّ نصيح
واجنحُوا للمجون فهوَ جديرٌ وخليقٌ مِنْ مِثلِكم بالجنوح
واخلَعُوا ثمَّ للتَّصابي عِذاراً إنَّ خلْعَ العِذار غيرُ قبيح
وإذا شِئْتُمْ مكاناً سِوَاه هوَ أجلى مِن ذالِكمْ في الوُضوح
أجمِعُوا أمرَكمْ لِنحوِ خليجٍ جاءَ كالصِّلِّ من قِفارٍ فِيح
عطَّرتْ جانِبيه كفُّ الغَوادِي بشذا عَرْفِ زهرِها الممنُوح
قُلْ لِمِهْيَارَ إن شَمِمْتَ شذاها قولَ مستخبِرٍ أخي تجريح
أينَ هذا الشَّذَا الذكيَّ مِنَ القيصُومِ والرَّنْدِ والغضَا والشِّيح
حبَّذا ذلكَ المِهادُ مِهاداً بيْن دانٍ مِن الرُّبى ونزُوح
ثُمَّ مِن ذلك المِهادِ أفيضُوا نحْوَ هضْبٍ من الهُموم مُريح
فِيه لِلْحُسْن دوْحة وروايا وانْشِراحٌ لِذي فُؤادٍ قريح

وحِجَارٌ تُدْعَى حِجَارَ طُبُول غَيْرَ أَن التطبيلَ غيرُ صَحيح
تَنْشُر الشمسُ ثمَّ كُلَّ غدُوٍّ زَعْفَرَاناً مُبَلَّلاً بِنُضوح
وسَبُو[1] من هناك يَسْبِي عُقُولاً ويُجَلِّي لِحاظَ طَرْف طَمُوح
وعيُونٌ بها تَقِرُّ عُيُون وكِلَاها يَأْسُو كُلُومَ الجَرِيح
فُرِشَتْ فوقَها طنافِسُ زَهْر لَيْسَ كالعِهْن نَسْجُها والمُسُوح
كُلَّما مَرَّ فوقَهُنَّ طَلِيحٌ عاد مِن حُسْنِهِنَّ غيرَ طَلِيح
فانهَضُوا أَيُّها المُحبُّونَ مِثْلي لِتَرَى ذات حُسْنِها المَلْمُوح
هكَذَا يُرْبَحُ الزَّمان وإِلَّا كلُّ عَيْش سِوَاه غَيْرُ رَبِيح

ولابْن عبد المنَّان من قصيدة في مدائح أَبي عِنان المريني يصفُ الساعة العجيبة التي نصبَها بواجهة مدرستهِ الشهيرة بفاس :

وآلةٍ للمواقيت استقَلَّ بها صنعٌ تفوتُ النُّهى لطفاً صنائعُه
أبياتُها عددُ أَبراج السماء ولا قُطْب ولا فَلك تُدرَى مواضِعُه
يجري الهلالُ عليها جرْيَها أَبدا على المنازل صُنعٌ فاقَ بارعُه
وفي البيوت جَوَارٍ كلٌّ واحدة منهن خُصَّت بميقات تُطالِعُه
حتى إذا جدَّ إسراعاً لِوِجْهته وحُمَّ منه فراقٌ حان واقِعُه

---

[1] – سبو نهر عظيم بالمغرب يمر قرب فاس .

وأذَّن الطيْر من أعلى مَراقِبه ... ببَيْنِه مُعرِباً عن ذاك قارعُه
ثارت هنالك توديعاً له ودنت ... الى الغِناء على ذُعْر تُشايِعـــه
وفي اليمين كتابٌ باسم مَوْقِتِها ... الى الإمام وقد أوْمَتْ تُبايِعه
وشامخ المُرتقَّى آوى لأفْرُخه ... بالوَكْر وهو أمينُ السِّرب وادِعه
أُتيحَ عمْداً له مُسْتَشْفِع سبِط ... رحبُ القَذال صقيل الطَّرف لامِعُه
أحوَى الأديم يُجَارِي دُونَما قدَمٍ ... هُوجَ الرياحِ حديدُ الناب قاطِعُه
جمُّ التقلُّب لم تُؤْمَن غوائِلُه ... غَدْراً وتُحْذَرُ من ختْلٍ خدائِعُه
يسْعَى له الحِينَ بعد الحين يَرْزَأه ... ثُكْلاً فيصفَرُّ خوْفاً أو يُقارِعه
كذلك الليلُ لا ينفكُّ مُخْتلِفاً ... اليه وَهْوَ عن الأفراخ دافِعُه
ومثلُه لأخِيهِ ينتحِيه ومـــا ... إنْ مِنهُما ليْله الَّا مُقارِعه
كأنَّما الصلُّ أمسى مُمْسكاً فاذا ... ما ساعةٌ ذهبت ثارت مَطالِعه
وظنَّها آخرَ الساعات قد أذِنت ... بفطْره فسَمَا للفرْخ لاسِعُه
رياضُ حُسن بَدا لولا سُعودُك لم ... تُسْتَجْلَ يا مَلِكَ الدنيا بدائِعُه

وله أيضاً من قصيدة أُخرى فيه يصف قتـل الأسد بين يـديه ودخول المحتال في الأكرَة المُعَدة لذلك وهي أكرة مستديرة من خشب يحركها رجل في وسطها يطعن الأسد بحديدة فيظفَرُ بها الأسد طامعاً في المحتال فتدور به وهو لا يقدر على المحتال بمنع الأكرة

ويصف شبكةَ صيد الأَسد في الفلاة نُصِبتْ لأَخذه بالقصر والثَّوْرَ الذي كان من عادته قتْلُ الأُسود في ذلك المَوْطِن وروض المصارة والناعورة المنصوبة فيه :

وضبارِم[1] رحب اللَّبان تُقِلُّه ضهب[2] مَتِين خَلْقها، عَبْل الشَّوَى

يفترّ عن نابٍ كأَطراف القَنا بَيْضا وينضو مِخْلَبا حدَّ الشَّبا

فتكَتْ به في القَصْر سُمْرُ رَماحه بأَكُفِّ أُسْدٍ دوَّخت أُسْدَ الشَّرى

أَمْسى صريعاً والدِّماءُ سُلافةٌ أَتراه سُكْراً مال من تِلْك الطِّلا[3]

وثَنى على زَأَراته كشْحاً وقد كانَت يُرَدِّدُها فرادَى أَو ثُنَى

لكِنَّ أَلسِنَة القواضب أَظْهرتْ ما أَضمَرَتْ جنْباهُ من سِرِّ الحَشى

ولقد رماه قبلَ مصْرعه الرَّدى من مُعْضِلاتِ مُكايديه بها رَمى

ومُخاتِل في جَوْف دائِرَة طوَتْ أَضلاعَها منه على شَهْم فَتَى

يحكِي بِهَا رَأَلاً[4] بِبيْضَة سَبْسَب لم تنفرِجْ عنه فأَنْهَدَها كُوَى

يمشِي الْهوَيْنا وَسْطَها فَتُقِلُّهُ عَدْواً وما إن تَشْتكي أَلَم الجَوَى

١ – أسد .
٢ - لعله يريد قوائمه .
٣ – الخمـــر .
٤ - الرأل ولد النعــــام .

حسِب الغَضَنْفَرُ مُرْتَقاها كعْبَةً فَدَنا يُطيلُ بِها الطوافَ وقد سَعى

ولَرُبَّما أَلقى عليها لامِساً بأُكُفِّه وسما وقبَّل إذ سَما

لكنه خبُثَتْ سرائِرُهُ فلم يُحْمَدْ على الإلمام منها بالجزا

عجباً له ولِجَأْش طفل لم يَهَبْ أَسدَ الشَّرى وقداستشاط وقدْ دَدَا[1]

هذا ولم يُبْصِر هناك بِمَلْجَأً واقٍ وقد تركوهُ مُنفرِداً سُدى

قد كان طُلَّ دمٌ له لما رَنا أَسَدُ العَرين له غضوباً وارْتَمَى

لو لمْ تَقم بالثَّأْر منه أَساوِدٌ[2] كانت هنالك كامِناتٍ لا تُرى

منهن فاغِرَةٌ له أفواهَها بأَكُف كَرْكَبَة ومنها ما التَوى

لم تُرْخ شَدَّ وثاقه حتى ثَوى تَابُوتَ مقبور وقد ظن الثَّوى

ومُدرِّب الرَّوْقَين[3] أَصْفَرَ فاقِع راقَ النواظرَ نضْرةً لمَّا بدا

ما زال يدْعُو للنِّزال أُسامةً ولقد أَشار بظِلْفِه لمَّا دعا

ولقد أَراه مكان مَصْرعه وقد أَومى بساح القَصْر ينكُثُ في الثرى

ولقد أَطالَ وقُوفَه مستقبلاً حِذَرَ الهِزَبْر مُبارزاً حتى انْبَرى

وعَدا له والظنُّ يقضي أَن يُرى وقد اعتلاه فكان عكْساً ما قضى

---

١ – استشاط ترجع للاسد، وددا اي لعب ،ترجع للطفل .

٢ – يعني حبال الشبكة .

٣ – اي القرنين ويصف الثور .

جالت عليه صدمةٌ من حَارِثٍ[1] تُنْسِيك صدْمَة حَارِث يومَ الوغى
أَعجِبْ بها من صدمة قد عفَّرت لِبَدَ الهِزَبْر وَأَوْهَنَتْ منه القوى
لا تَلْحِ رَوْقَ الثُّوْر ان أَبصرته عن جانب الليث الطَّعين وقد نَبا
ما كلَّ دون كُلاه لكن ساعةٌ بقيت له ولكل عُمْر منتهى
فدَعَنْه في دَعَةٍ الى أَمثالها ولتعذرنَّ الليث يا مَلِك الهدى
أَعدى فريستَهُ عليه قولك : ا بْقَ لذا وقولك للغضنفر لا بَقا
عاجلتَ ذا هُلكاً فلم يُفلِتْ وقد أَبْقَيْتَ ذا منّا فجانبه المَنا[2]
إن الاله قضى بأن يجري القضا طوعاً لما شاءَ المطيع المرتضى
وَعُلاكُم ما حارِثٌ بمُقَاوِمٍ لأبيه لولا أَنْ أَردت به الرَّدى
ولقد رأَت منه العيونُ عجيبةً رَاقَتْ، وقد أَبلى النواظرَ والنُّهى
فَأَبِحْهُ جنات المصَارة خالداً فيها فبالجنّات يجزى ذو البَلا
أَحْسِنْ بها من روضةٍ غناء قد غنَّى الحمامُ بها طَرُوباً أو شَدَا
حاكَتْ بها الأَنواءُ مُطْرَفَ سُندس
أَرِج وَشاه يدُ الرَّبيع بما وَشى
وبِجانب البيضاء منها مُرتقىً جبَّارة الأرجاء سامية الذرى

---

١ – حارث من أسماء الأسد ويكنى أيضاً أبا الحارث .
٢ – المنا : الموت .

كرحى الصَّياقِل ما سقَتْ لِتُدِيرها رِجْلٌ ولا نُسبت لإمهاءِ المُدى[١]

أَتَرَى حُسامَ النَّهْر جلَّل متْنَه صَدأٌ فما تنفكُّ تجلُوه جلا

فلَكٌ مضَى في الروض ما حكمتْ به

أَدْوَارُه والقُطبُ منه وما اقتَضى

فقضى برَفْع الماء الا أَنه قد خفَّض الأَدواحَ عيشاً والرُّبى

حسْنٌ بديع في حِمَى ملكٍ به حسُنَ الزَّمانُ ولاحَ في أَبهى حُلى

وللشيخ إبراهيم الفِجِيجي من قصيدته الصَّيْدية الكبيرة يصفُ الصيدَ وحياةَ الصائد وتَنقُّلَه في البَرِّيَّة وما في ذلك من المتاع النَّفْسي والجِسْمي .

يلومونني في الصَّيْدِ والصَّيْدُ جامِعٌ لأَشياءَ للانسان فيها مَنَافِع

فأَوَّلُها كَسْبُ الحلالِ أَتتْ به نُصُوصُ كِتاب الله وهْيَ قَوَاطِع

وصِحَّةُ جسم ثم صِحَّةُ ناظِر وإحكَامُ إجْرَاء السوَابِق رَابع

وبُعْدٌ عن الرُّذَّالِ مَعْ صَوْنِ هِمَّة وإغْلَاقُ بَابِ القِيل والقَال سابع

وأَيضاً لِعرْضِ المرء فيه سَلامَةٌ وحِفْظ لِدِينِه وذلك تاسِع

وفيه لأَهْلِ الفضل والدِّين عِبْرَةٌ وتذْكِرَةٌ لها لَديْهم مَوَاقِع

١ ــ أي شحذ السكاكين .

ويُورِثُ طِيبَ النفس والجودَ والسَّخَا
وَيَأْلَفُ منـــه الصَّبْرَ مَن هُو جَازِع

ويَنْفِي الهُمومَ المُبْرِمَاتِ عن الفتى
وَيَقْمَعُ وفْدَ الشَّيْبِ كَيْلا يُسَارِع

ويُورِثُ عند الالْتِحَام شَجَاعة
وفيه من السرِّ الخَفِي بَدائع

كَرَعْي نِظَام وافْتِقَادِ رَعِيَّةٍ
وَحِفْظِ جَنَابٍ من عدُوٍّ يُنازِع

وتدْبيرِ أمْرِ الحرْب والفَتْك بالعـــدَا
وَصَيْدِ أُسودِ الإنْس والوَحْشُ تَابِع

إذ الحرْبُ خدْعَة وَكَيْدٌ فرُبَّما
تَحَيَّل بالقَنْص الدُّهاةُ التَّبائع

فَأَظْفرهُم بكلِّ عادٍ مُعانِدٍ
على غِرَّة فضَرَّجَتْه الضَّراجع[1]

ويُصْفِي دِمَاغَ المَرْء والجِسْمَ جُمْلَةً
مِنَ اخْلاطِ سُوءٍ أَو فُضُول تُصَادِع

ويُغْنِي عن الطبِّ الصَّعِيب عِلاجه
وما مِثْلُه للحُزن والسُّقْم دافِع

وقد جاء سَافِرُوا تصِحُّوا وَتَغْنَمُوا
وذَلِكَ من قَوْلِ النُّبُوَّة شَائِع

وما رِيءَ مَفْلوجـــاً مُرِيغُ طَرِيدةٍ
حَكَى عَنْ ذوِي التجْريب قومٌ بَلاتِع[2]

وأيضاً يَزِيدُ في الذكَاء وفي الدَّها
وذلِكَ كلُّه الى العَقْل رَاجِع

---

١ – جمع ضرجع وهو النمس .

٢ – جمع بلتع وهو الحاذق بكل شيء .

وفيه حظُوظُ النَّفْسِ مِن كل بُغْيةٍ وكلُّ سرور بالمُبَاح فَوَاسِع

كَقَنْصِ ظِبَاءِ الإِنْس فى حِلِّ صَيْدِها
وقَنْصِ ظِبَـاءِ الوَحْش او مَـا يُضَارِع

* * *

بَنَفْسِي عَفِيفاً مُتْرَفا ذا نَزَاهَة له في سَماءِ المَجْد والسَّعْد طَالع

على هَيكَلٍ نَهْد وفَوْق شِمَالِه وَقُورٌ من الصُّقُور أَبيضُ نَاصع

تَصامَمَ عن لوْم اللِّئام على السُّرى وما زَالَ مشغُوفاً به وهو يَافِع

وغابَ غَدَاةَ القَنْصِ عن كُلِّ غِيبَةٍ وعن كُلِّ ما تُصَانُ منه المَسامِع

فأَصْبَح سِلْماً للورى يَطَأُ الثَّرى وَتَنْظُره فَوْقَ الثُّرَيَّا القَنابِع[1]

فلا خُلْطَةَ تُرْدِي ولا سُوءُ عِشْرَةٍ ولا هَتْكُ هَيْبَةٍ ولا مَن يُصانع

أَخا ٱلْعَدْلِ لٰكِنْ في سِوَى كُلِّ طَائر
وجَـارٍ أَمَـــامَ الْمُرْسَلات يُسارِع

* * *

أَخِي هَل تَرى الأَيامَ تَجْمَعُ شَمْلَنا ونَحْنُ على جُرْدٍ سِراعٍ تُطاوِع

---

١ ـ جمع قنبع وهو القصير .

لَدى كلِّ رَبْوَةٍ وأَجْرُسُ طَيْرِنا — لها زَجَلٌ من فَوْقِنا وقَعاقِع

فَنَقْضِي من السُّلْو ان بعضَ غَرامِنا — ونَجْني جَنَى اللَّذَّاتِ والدهرُ خاضِع

ونَجْعَلُ ذاتَ الجر جاراً لِعَهْدِنا — فمِنَّا للاِقْتِناص ماضٍ وراجِع

ونَرْقُب في رُبَى الغَمِيم ونَخْلَةٍ[1] — بكُلِّ صَيودٍ خاضِبِ الكَفِّ دارِعُ

طويل ثَلاثٍ لا كطول بُغاثِها[2] — جَناحٌ وعُنْقٌ ثم طالَت أَصابعُ

قَصيرُ ثلاثٍ من زِمِكَّى[3] وريشها — وساقٍ تُقَوِّي الرَّصْعَ إن هو راصِع[4]

رَحِيب ثَلاثٍ وهْيَ ما هِيَ كَفُّه — ومَا بَيْن مَنْكِبَيْه والصَّدْرُ واسِع

عَظِيم ثلاثٍ رَأْسه ثم فَخْذه — ومَنْسِره مِجْزَار ما هو صارِع

عليه سِماتُ الفَتْكِ إِمَّا نَظْرته — أَطلت حواجِبٌ وغارَتْ مدامِع

طَمُوحٌ كثيرُ الالتفاتِ مُسلَّطٌ — لِأُمِّ السُّلاح[5] الدَّهرَ منه فَجائع

ثَقيل متى يُحْمَلْ خَفِيفٌ طلُوعه — كأَسْرَعِ مَا في السَّهْم ان هُو واقع

ظَلُومٌ غَشومٌ من صُقُور شَمارِخٍ — لِخِزَّانِها[6] والطَّيْر منه تَوادُع

---

١ ـ الغميم ونخلة موضعان ببلد الشاعر .

٢ ـ البغاث شرار الطير .

٣ ـ الزمكى ذنب الطائر .

٤ ـ الرصع الضرب والطعن .

٥ ـ هي الحبارى سميت بذلك لملازمته لها حتى قيل سُلاحها سِلاحها .

٦ ـ جمع خزز وهو ذكر الارنب .

له عُدَّةٌ من نفسه في مَخالِبٍ شَديدٌ سَوادُها حِدادٌ لَوَاسع
يفِرُّ الى اليَحْبُور[1] مِيلَين بُكْرَةً وأكثَرَ بالأصِيل إن هُوَ جائِع
بِيُمْناه بارِقٌ[2] مُحيطٌ بزَنْده من الفِضَّة البَيْضاء كالسَّيْف لامِعُ
كذلك في يُسْرَاه ثانٍ وجُلْجُلٌ تَلوَّن بالإبْريز أَصْفَرُ فاقِع
إذا انْقَضَّ خِلْتَ البَرْقَ والرِّيحَ عاصِفاً ورعْداً بِهِ زَجْرٌ على الطَّيْر واقع
دَوِيٌّ جَلاجِل ولَمْعُ خلاخِل وخَفْقُ جَناحٍ كلُّ ذلك فاجع
إلى قَهْرِ غالِب وصَوْلَةِ سَالِب وهَتْكِ مَخالِبِ إذا هُوَ سادِع[3]
هُنالِكَ يُلْقى الخَرْبُ[4] خوفاً سُلاحَه وهَيْهات ما السُّلاح للخَرْب نافِع
ويَلْجأُ لاتَ حِينَ يأْوِيه مَلْجأٌ فلا الأرضُ تُنْجيه ولا الجوُّ مانِع
وتُبْصِرُه يَحْكي أَسِير فوارِس يَجرُّ ذُيولَ الذُّل يَعْثُر خانِع
ذُؤَابَتُه في كفِّ مَن لا يُقيلُه يُساقُ بِها لِلمَوْت وهو يُوادِع
وتَندُبه حُبارَيَــاتٌ أَلِفْنَه بفَيْفاء مَجْهَل وهُنَّ جَوازِع
يُرِدْنَ الفِرارَ لم يَجِدْنَ سَبيلَه ويَحْشُرُهُنَّ الخَوْفُ والخَوْفُ رادع

---

١ ـ فرخ الحبارى .
٢ ـ اي خلخال بارق .
٣ ـ اي ذابح .
٤ ـ الخرب محركاً وسكنه ضرورة ذكر الحبارى وسلاحه نجوه يلقيه على الجارح فينتف ريشه .

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هل تَعُودُ لنا المُنى وتُسْعِفُنا الأَيامُ والسَّعْد راجِ
وتَكْنُفُنِي والصَّحْبَ صَحْراءُ بُخْتُرى[1] ويَجْمَعُنا بجَبْل شَتْوانَ جامِع
ونُرْسِل في شَرْياطَةِ الجرِّ طَيْرَنا[2] وفي دارةِ الأَرْجام والحيُّ ناجع
ونُحْيي دَوَارِسَ الرُّبوعِ التي عَفت مَشات لِقَنْصِها بها ومَرابِع
وننْزِلُ من مَخْروفها[3] كلَّ مَحْبَر[4] مَخَزّ[5] تفُوتُ الحصْرَ فيه الفَعافِع[6]
عَفاءٍ[7] غَريرٍ[8] الصيْدُ ما سارَ قانِصٌ به حِقْبَةً ولَم يُرَعْ فيه رائِع
كَسَتْهُ سَحيقَةٌ[9] من الجَوْدِ ديمَةٌ بُرُوداً كَوَشْيٍ لَوَّنَتْه الصَّوانِع
ونَشْهَدُ حسْنَ الصُّنْع فيما نُرِيغُه من الوَحْش أو نَرُوغُه وهو هاجِع
ونَسمَعُ تَغْرِيدَ الطُّيور اذا غَدتْ لِمخْتَلِفِ الأَصْوات صُبْحاً تُراجِع
على كل مَيَّادٍ يُرَنِّحُه الهوى وتُطْرِبُهُ الأَلحانُ والغُصْن يانِع

---

١ ــ بختري وشتوان موضعان .
٢ ــ شرياطة الجر ودارة الارجام موضعان ايضاً .
٣ ــ اي المطور بمطر الخريف .
٤ ــ المحبر الارض التي يكثر فيها الحبارى .
٥ ــ المخز الارض التي يكثر فيها الخزز .
٦ ــ جمع فعفع وهو الصغير من الغزلان .
٧ ــ العفاء الارض التي لم توطأ .
٨ ــ من الغرة يعني انه غير منتبه للصائد .
٩ ــ سحابة ذات سحق وهول من الرعد والبرق .

فيهتزُّ شوقاً إن تُغَنِّ بلابلٌ ... وان رنَّت الورقاءُ فهو يُطاوِع
ونقطُفُ نور الزَّهرمن كلِّ روضةٍ ... ونقتحِمُ الغُدْران وهي نواقِع
يَعالِيلُ[1] في قَلْتٍ[2] يُصفِّقُها الصَّبا ... فمُغْتَرِف بالكَفِّ منها وكارِع
يُنافِحُنا بالطِّيب نَبْتُ شواهِقٍ ... وتَنْصَحُ من نَبْت الخُزامى دوافِع
فمَن لَمْ يُحَرِّكْه الرَّبيعُ وزَهْرُه ... ولا العودُ حين تعتريه الأَصابِع
ولم يَتأَثَّرْ بالسَّماع ونَحْوه ... ولم يَشتَمِلْه الصَّقْرُ إن هُوَ دافِع
ولم تَستَفِزَّه الظِّباءُ ولا المَها ... اذا اعتَرَضَتْ وأَلْجأَتْها الهَجارِع[3]
ولااهْتزَّإذ رأىالحبارَى بَدَتْ له ... تَميسُ وفوقَها البُزاةُ طوالِع
فترْقُصُ طوراً ثم تُبْدي ذوائباً ... وتُومِي بكُمَّيْها وطَوْراً تُبايِع
ولم يَدْرِ قطُّ ما الغَرام وما الهوى ... ولا مُوجِعَاتِ القَلْب اذ يَتواجَع
فذلِك مُخْتَلُّ المِزَاج حَقيقةً ... ولا شك لِلْحِمار فِيه طبائع

* * *

ألا يا حَسُودُ مُتْ بِغَيْظِكَ حَسْرَةً ... على قَلْبِك المُسْوَدِّ لا سُدْتَ طابِع
أَبِالحَسَدِ المَذْمومِ تَطْمَع في العُلا ... ولا غَيْرَ الّا الغِلُّ والشُّحُّ هالِع

---

١ ـ نفاخات تكون فوق الماء .

٢ ـ والقلت النقرة في صخرة ونحوها يجتمع فيها الماء .

٣ ـ الكلاب السلوقية .

أَمِ المَجْدَ تَبْتغي وتامُل نَيْلَه ولا وَصْفَ إلا العَجْزُ والجُبْنُ خالع
إذا لَمْ تَسُدْ بالعِلْمِ وَالحِلْمِ والتُّقى وبِالجود والإقْدَام إنَّك رَاضِع[1]
كأنِّيَ لم أَرْقبْ مَساءً بِشَدْنَقٍ[2] على طَللٍ والغيْثُ طَلٌّ وهامِع
ولم أَتَخَيَّرْ عن بِساطِي ونُمْرُقي بِسَاطَ نَقِيِّ الرَّملِ والفجُّ وَاسِع
بِذَات العَلَنْدَى او بِـــذَاتِ الهَبوَّرى[3]
عِطَاش الفَيـــافي حيث لا مَن يُطالع
وأَرْض تَحارُ في مَجَاهِلِها القَطـا ولا تَهْتَدي تَسيرُ فيها الطَّلائع
نَرُوحُ ونَغْدُو في نَعِيمٍ تَوُدُّه وتَتْرُك مُلْكَها الملوكُ التَّبابِع
ونحنُ على سَلامَةٍ من طَوارِئٍ على جِيفَةِ الدُّنيا سُدًى تتقَاطع
فَلا طارِقٌ يغْشَاك الا نَقَانِقٌ وإلَّا وُحوشٌ حوْلَ بَيتي رَواتع
ولا رَاكِبٌ بغلاً لَهُ عَقْلُ بَغْله ولا سُوقَةٌ تَضيق منها الشَّوارِع
ولا مَلِكٌ فَظٌّ ولا ذُو تَجبُّر ولا حاكِمٌ بالجَوْرَ تدعُو الاقارِع
ولا عَائِبٌ أمراً رَأَيتَ صوَابَه ولا حاسِدٌ فَضْلاً بِفَضْل يُتابع
ولا جَارُ سُوءٍ لَيْسَ يأْمَنُ جارُه بَوَائِقَه إنْ غاب او هُو هَاجِع

---

١ — لئيم .

٢ — الشدنق صنف من البزاة .

٣ — ذات العلندى أي أرض ذات شجر اسمه العلندى وكذا ذات الهبورى.

ولا ماكِرٌ يُرِيكَ شُهْداً وَيَنْثَنِي فَيَسقِيكَ أَدْهى السُّمِّ لَيسَ يُضَارِع
ولا مُتَلَصِّصٌ يُرَاقِبُ عَوْرَةً وَيُبْدِي سِماتِ النُّسْك وهو يُخَادِع
ولا سَارِقٌ لِلسَّمْعِ لِلْقِيلِ لاقِطٌ ولا فَاسِقٌ يَرْمِي بِمَا هُو صَانِع
ولا مُتَعَرِّضٌ لِلأَعْرَاضِ مُولَعٌ بِتَمْزِيقِهَا تَأْتِيكَ منه الفَظَائِع
ولا أَهْلُ فِتْنَةٍ حَرَامٌ جِوَارُهُم على مَاذَوُو الفُتْيا عَلَيْه تَتَابَعُوا
فَما إِن تَرَى لِلَحْمِ الإِنْسان آكِلًا ولا كِنَّ لَحْمَ الصَّيْد ما مِنْه مَانِع
وَخَيْلِي حَلِيبُ الشَّوْل صِرْفاً شَرَابُهَا
وَمَا فِي النَّصِيِّ رَعْيُهَا لا المزَارِع
وتعلِفُ أَبيَضَ الشَّعِير وأَنْتَقِي لها من نَباتِ الارض ما هُو نَافِع
وفي جِيرَةٍ إِخْوَان صِدْقٍ أَجِلَّة كِرَام السَّجايا وَالمَعَالي طَبَائِع
وفي لَذَّة الدنيا وأرغدَ عَيْشِها فلولا سُيُوفٌ لِلصُّروف قَوَاطِع
وداعِي الرَّحِيل كلَّ يوم يَرُوعُني وَهولٌ وَعَوْلٌ في الفريضة وَاقِع
لَطابَ السُّرُور واطْمَأَنَّت نفوسُنا ولاكِنَّهَا دُنْيا سَرِيعاً تُقاطِع
فلا عَيشَ إِلَّا عَيشُ أُخرى لِمُبْتَغٍ نَعِيماً مُقِيماً دائماً لا يُوَادِع

١ – النصي نبت من أطيب المرعى وفي قوله لا المزارع تعريض بأصحاب القرى .

ولعبد العزيز الفَشْتالي يصِفُ القُبَّة الخَمسِينِيَّة من مَباني المنصور الذَّهبي على لِسانها :

سَمَوْتُ فخَرَّ البدرُ دُونِيَ وانْحَطَّا
وأَصبح قُرْصُ الشَّمْس في أُذُني قُرْطا
وصُغْتُ مِن الإِكْليل تَاجاً لِمَفْرِقي وَنِيطَتْ بِيَ الجوْزاءُ في عُنقي سِمْطا
وَلاحتْ بأَطْوَاقِي الثُّرَيَّا كأَنَّهَا نَثِيرُ جُمَانٍ قد تَتَبَّعْتُه لَقْطا
وعدَّيتُ عن زُهْر النُّجوم لأَنَّني جعَلتُ على كِيوَان رَحْلِيَ مُنحطَّا
وأَجريتُ من فَيْض السماحة والنَّدى
خَليجاً على نَهْر المجَرَّة قد غَطَّى
عقدتُ عليه الجسْر للفَخْر فارتَمتْ اليه وُفودُ الْبَحْر تَصْرِفُ ما أَعطى
تَنضْنَضَ ما بَيْنَ الْغُروس كأَنه وقد رَقْرَقَتْ حصباؤُه حَيَّةٌ رَقْطا
حَوَالَيْهِ من دَوْح الرِّياض خرائدٌ وغِيدٌ تَجُرُّ من خمائلها مِرْطا
اذا أَرْسلَتْ لَدْنَ الْفُروع وفتَّحت جنَى الزَّهْر لَاح في ذَوَائِبها وَخْطا
يُرنِّحُهَا مَرُّ النسيم اذا سَرَى كما مَالَ نَشْوانٌ تشرَّبَ إِسْفَنْطا[1]
يشُقُّ رِياضاً جادَها الجودُ والنَّدى سَوَاءٌ لَدَيها الغَيْثُ أَسْكَبَ أَم أَخطا

---

١ – الخمر العالية .

وسالت بسلسال اللجين حياضه بحاراً غدا عرض البسيط لها شطا

تطلّع منها وسط وسطاه دمية

هي الشمس لا تخشى كسوفا ولا غمطا

حكت وحباب الماء في جنباتها سنا البدر حلّ من نجوم السما وسطا

إذا غازلتها الشمس ألقى شعاعها على جسمها الفضي نهراً بها لطّا

توسّمت فيها من صفاء أديمها نقوشاً كأن المسك ينقطها نقطا

اذا اتسقت بيض القباب قلادةً فإني بها في الحسن درّتها الوسطى

تكنّفني بيض الدمى فكأنها

عذارى نضت عنها القلائد والرّيطا

قدود ولكن زادها الحسن عريها واجمل في تنعيمها النحت والخرطا

نمت صعداً تيجانها فتكسّرت قوارير أفلاك السماح بها ضغطا

فيا لك شأواً بالسعادة آهلا بأكنافه رحل العلا والهدى حطّا

وكعبة مجد شادها العزّ فانبرت تطوف بمغناها أماني الورى شوطا

ومسرح غزلان الصّريم كناسها

حنايا قباب لا الكثيب ولا السّقطا

فلكنّ به ما طاب لا الأثل والخمطا

ووسّدن فيه الوشي لا السّدر والأرطى

ثَراهُ من المِسْك الفَتِيتِ مُدبِّر اذا مَازَجَتْه السُّحب عاد بِها خِلْطا
وان باكَرتْه نَسْمةٌ لسَرى بِها الى كُلِّ أَنْف عَرْفُ عَنْبرِه قُسْطا
أَقرَّت لــه الزهراءُ بِالخُلْدِ وانتَقَت
أَوَاوِينُ كِسْرى الفُرْس تَغْبِطه غَبْطــا
جَنَابُ رِوَاقُ المَجْد فِيــه مُطَنَّب
على خَيْر مَنْ يُعْزَى لِخَيْر الورى سِبْطا

وله مِمَّا كُتب ببَهْوها بِمَرْمَر أَسْوَد في أَبيض :

لله بَهْوٌ عزَّ منــه نَظِــيرُ لَمَّا زَهى كالرَّوْض وهْوَ نَضير
رُصِفَتْ نُقُوشُ علاه رَصْفَ قَلائِدٍ قد نَضَّدَتْهَا في النُّحور الحُور
فكأَنها والتِّبْرُ سَالَ خِلالَها وَشْيٌ وفِضَّةُ تُرْبِهــا كَافور
وكأَن أَرضَ قَرارِه دِيبَاجَةٌ قد زَانَ حُسْنَ طرازها تَشْجِير
واذا تَصَاعَدَ نَدُّه نَوْأً فَفِي أَنْماطِــه نَوْرٌ بــه مَمْطور
شأْوُ القُصور قُصُورُها عن وَصْفِهِ سِيَّان فِيــه خَوَرْنَقٌ وسَدِير
فإِذا أَجلْتَ اللَّحظَ في جنَباتِه يَرْتَــدُّ وهْوَ بِحُسْنِه مَحْسُور
وكأَنَّ مَوْجَ البِرْكَتَيْن أَمامَه حرَكَاتُ سَجْفٌ حرَّكَته دَبُور
صُفَّت بِضفَّتِهَا تَمــاثِلُ فِضَّة مَلكَ النُّفوسَ بِحُسْنها تَصْوير
فُتِديرُ مِن صَفْو الزُّلال مُعَتَّقاً يَسْرِي الى الأَرْواح منه سُرور

ما بَيْن آسادٍ يَهِيجُ زَئيرُهــا وأَساوِدٍ يُسْلي لَهُــنَّ صَفِير
ودَحتْ من الانهار أَرضَ زُجاجةٍ وَأَظَلَّهــا فَلكٌ يُضِيءُ مُنِير
رَاقتْ فَمِنْ حَصْبائِها وفَوَاقِعٍ تطْفُو عليهــا اللُّؤْلؤُ المنثور
يا حُسْنَهُ من مَصْنَع فَبَهاؤُه باهَى نُجومَ الأُفق وهيَ تَنُور
وكأَنَّما زهرُ الريــاض بِجَنْبِه حيْثُ التفَتَّ كواكِبُ وبُدُور
ولِدَسْتِه الأَسْمَى تَخَيَّرَ رَصْفَه فخْرُ الورَى وإمَامُها المنصور

ولأَبي الحسن الشَّامي في النَّعْل النبوِيـة الكريمـة وأشارَ الى كِتَاب المقَّري أَزهارِ الرياض بأخبار عِياض وقد رُسِم فيه مِثَال النعل الشريف بِمَاءِ الذَّهب واللَّازَوَرْد :

دَعُوا شِفَـةَ المشتاق من سُقْمِها تُشْفَى
وتَرْشُف من أَسْآرِ تُرْبِ الهُــدى رَشْفا
وتَلْثِمُ نَعْلاً للنبيِّ كريمــةً بها الدَّهرَ يُسْتَسقَى الغمامُ ويُسْتَشْفَى
ولا تَصرِفُوها عن هَوَاها وسُؤْلها بِعَدْلِكُم فالعَدلُ يمنعُها الصَّرْفا
ولا تَعْتبُوها فالعِتابُ يَزِيدُهَا هُياماً ويَسْقِيها مُدامَ الهوى صِرْفا
جفَتْها بِكَتْمِ الدَّمعِ بُخْلاً جفونُها فَمَن لامها في اللَّثْم فَهْوَ لها أَجفى
لَئِنْ حُجِبَتْ بالبُعْد عنهم فَهذِه مَكَارِمُهم لَمْ تُبقِ سِتْراً ولا سَجْفا

وان كَانَ ذاكَ الخَيْفُ مَلْفى وِصَالِهم
فَهَا نَفْحَةُ الإِفْضَال قَرَّبتِ المَلْفى
فحرَّكت الاشواقَ مِنَّا لِرَوْضَةٍ أَبَاحَ لنا الإِسعادُ من زَهْرها قَطْفا
زَمَاناً بِهِ مَوْصُولَنا نَالَ عَائِداً
وأَكَّدَ نعْتُ الوَصْلِ من نَحْوِهم عَطْفا
تولَّى كمِثْلِ الطَّيف إن زَار في الكَرى
وإِلَّا كَمِثْل البَرْق ان سَارع الخَطْفا
كأَنَّا وما كُنَّا نجُوبُ منازِلًا يَوُدُّ بها المشتَاقُ لو رَاهَقَ الحَتْفا
ولم تُبْصِر الأَبصَارُ منها مَحاسِناً ولم تَسمَع الآذَانُ من ذِكْرها هَتْفا
كذَاكَ اللَّيالي لم تَحُلْ عن طِبَاعها
مَتَى وَاصَلَتْ يوماً تصِلْ قَطْعها أَلْفا
فلا عَيْشَ لي أَرْجُوه مِن بَعْد بُعْدِهِم
وَهيْهَاتَ يرُجو العَيْشَ مَن فارَق الإِلْفا

* * *

أَيا مَن نَأَتْ عنه دِيَارُ أَحِبَّةٍ
فمِنْ بَعْدِهم مِثْلي على الهُلْك قد أَشْفى
لَئِن فاتَنا وَصْلٌ بمَنْزِل خَيْفهم فَهَا نَفْحَةٌ من عَرْفِهم للحَشا أَشْفى

وَهاذِيكَ أَنفَاسُ الرِّيَاض تَنَفَّست   بِرَيَّاهُمُ فاسْتَشفِينَّ بها تُشْفى
وقُلْ لِلأُلي هَامُوا اشْتِياقاً لِبَانِهِم   هلُمُّوا لعَرْفِ ٱلْبَان نَسْتَنْشِقِ العَرْفا
فَصَفْحَةُ هذا الطِّرْس ابدَتْ نِعالَهم   وصارَتْ له ظرْفاً فَيا حُسنَه ظَرْفا
تعالُوا نُغَالي في مَديح عَلائِهَا   فرُبَّ غُلُوٍّ لم يُعَب رَبُّه عُرفا
ولله قومٌ في هوَاهـا تَنافَسُوا   وقد غرَفُوا من بَحْر امداحِها غَرفا
وإنَّا وإنْ كُنَّا عـلى ٱلْكُل لم نُطِق
نُحَاوِلُ بعضَ ٱلْبَعْض مِن بَعْض ما يُلْفى
لئِن قَبَّـلُوا أَلْفـاً نزِدْ نحنُ بَعْدَهم
على الأَلف ما يَسْتَغْرِقُ الفَرْدَ والأَلفا
وان وَصَفُوا واسْتَغْرَقُوا الوَصْفَ حسْبُنا
نُجِيلُ بِرَوْضِ الحُسْن من وَصْفِهِمْ طَرْفا
ونَقْبِسُ من آثَارِهم قَدْر وُسْعِنا   ونَرْكُض في مِضْمار آثارِهم طِرْفا

* * *

أُنَاديكَ يـا خَيْرَ البريَّـة كُلِّها   نِداءَ عُبَيْدٍ يَرْتَجِي العَفْوَ واللُّطفا
وإنِّي مُحِقٌّ في هَوَى حُبِّك الذي   يفُلُّ جُيوشَ الهَمِّ انْ أَقْبَلَتْ زَحفا
وما أنا فيه بالذي قال هَازِلاً[1]   (أَلَيْلَتَنا إذْ أَرْسَلَت وارِداً وَحْفا)

---

١ – هو ابن هانيء الاندلسي وقد ضمن الناظم مطلع قصيدته .

وللأديب أبي عبدالله المكلاتي في كتاب أزهار الرياض مورياً :

أتى برياض في عياض وردّها مظالم كانت قبل معضلة الدّاء
وفاضت بنيل العلم منه أصابع ومن عجب قبض الأصابع بالماء
خليليّ هذي معجزات لأحمد فلا تنكرا إن ردّ عيناً الى الرّاء[1]

ولمحمّد ابن ابراهيم الفاسي في رقعة أنفذها الى الشّهاب الخفاجي وهو بمصر :

أسقيط طلّ في حديقة آس أم ذا حباب دار فوق الكاس
أم درّ ثغر الأقحوانة باسم أم دمع طرف النّرجس النعّاس
أم جنّة جنّ النسيم بحسنها أغصانها من ذاك في وسواس
أم هذه زهر النّجوم تزيّنت منها النّجوم هداية للناس
أم ذا هو السّحر الحلال حلا أم العذب الزّلال وكلّ عضو حاس

---

[1] — هذه الأبيات لا كفاء لها في الحسن وقد اشتملت على توريات بديعة تنبىء عن براعة صاحبها في صناعة البيان على أن فكرتها مستوحاة من قول علي بن هارون المالقي :

ظلموا عياضا وهو يحلم عنهم والظلم بين العالمين قديم
جعلوا مكان الراء عيناً في اسمه كي يكتموه وأمره معلوم
لولاه ما فاحت أباطح سبتة والروض حول فنائها معدوم

أَم رُقْعَةٌ رفَعت لواءَ بَيَانِهَا . فأَتى البَديعُ لها ذَلِيلَ الرَّاس
نطَقَتْ بكُلِّ فَضيلةٍ ظلَّت لها الأَحْداقُ بين مُحقِّق او خاس
أَلشِّعْرُ فاخر أَنجُمَ الشِّعْرَى بها والجوُّ قالَ : الفضْلُ لِلقِرْطاس
مَن ذا يطاوِلُها ومَطلَعُ نورها أُفقُ الشِّهاب وظُلْمة الأَنْقاس
وافتْ فما وَفَّيتُ بعضَ حُقوقها إلّا ببَذْل النَّفْس والأَنفاس
طارَ الفؤادُ لها فقال وقارُها (ما في وُقوفِك ساعَةَ من بَاس)[1]
جائتْ تُحدِّثُ عن محاسِنك التي شُدَّت الى حُسْن الثَّنا بِمِراس
أَمّا الفصاحةُ صحَّ أَنكَ قُسُّها بالرَّغم من غُمْر حَسُود قاس
لله دَرُّ عقيلَةٍ أَبْرَزْتَها عقَلَتْ ببَهْجتها عُقولَ النَّاس
مِن كلِّ بَيْتٍ كادَ يُشْبِهُ لَفْظُه مَعْناهُ كُلٌّ دَقَّ عن إحساس
شَرَحتْ لِيَ الوُدَّ القَديمَ وذكَّرت قَلْباً فَدَيْتُك لم يكُن بالناسي
ما أَخطأَت رُشْداً وان تكُ أَبطأَتْ خَيْرُ اللِّقا ما كانَ بَعْدَ اليَاس
فالحُبُّ أَن أَرضى بما تَرْضى وَها حُبِّي وَحقِّك راسخاً بأَساس

ولعبد السلام بن سوسن من رجال الريحانة في القمر ونسبت لغيره :

دَعْ ذَا وقُلْ للنَّاس ما طَارِقٌ يطرُقُهم جهْراً ولا يتَّقي

---

١ - هذا مطلع قصيدة لأبي تمام في المعتصم .

ليس له رُوحٌ علـى انه . يركَبُ ظهرَ الأدْهَم الأَبْـلق
شيخٌ رأى آدم في عصْره وَهْوَ الى الآن بخـدّ نَقي
وَهْوَ بوَسْطِ البحر مَع قومه لَا يَنْثني عن نهجـه الضيّق
هذا ويمْشِي الأَرض في لَيْـلةٍ أَعْجب به من مُوثَق مُطلَق
فتـارةً ينزِلُ تحتَ الثَّرى وتارةً وسْطَ السَّمَـا يرتقي
وتـارةً يُبصَر في مغرب وتارَةً يُبْصَر فـي مشرق
وتـارَةً تُبْصِرُه سابحـاً يجْري بِشَاطِي ٱلْبَحْر كالزَّورق
وتارة تحسِبُه وَهْـوَ في ضَيْعَتـه والْبَعْضُ منـه بقي
ذُبَابَـةً مِن صارم مُرْهَـفٍ بَارِزَةً من جفنِـه المُطبق
يدنو إلى عِرْس بها حسنُها يختطِفُ الابصار بالرَّونَـق
حتى اذا جَامَعَهـا يرتَدي بحُلةٍ سوْداءَ كالمُحْـرَق
وهْـوَ علـى عادَتـه دائماً يُجامع الأُنْثى ولا يَلْتَقِي
ثم يجُـوبُ ٱلْقفرَ مـن اجلهـا مُشتَمِلاً في مُطـرَف أَزْرَق
حتى إذا قابَلَهـا ثَانِيـاً تشكُّـه بالرُّمـح في ٱلمفـرق
وبعْـدَ ذَا تُلْبِسُه خِلْعَـةً يا حُسنَها في لونها المُونِـق
فَجِسمُهَا من ذَهَب جامد وَجِـلْدُه صِيغَ مـن الزِّئبـق
ثُم يُرَى في حـال إتْمامـه مِثْل مِجَنِّ الحَرْبِ المُلْتَقِي

وهوَ إذَا أَبصَرْتَه هكَذا   أحْسَنُ من صَاحِبَةِ المَفْرِق

ولأحمد بن يحيى الشَّفْشَاوُني المتوفى ١٠٠١ في رَوْض ابن رضوان الكاتب بفاس :

أَجنَّةُ الخُلْد هذي يا ابنَ رضوان   ام حُسْنُ روْضِك فيه حار تِبْياني

أَمَا ترَى الطيرَ بالأَدْوَاح ساجعةً   أَدْمتْ انامِلَها اوتارُ عِيدَان

تحْكِي مَزامِيرَ مَن لانَ الحديدُ له   تشدُو بالاَجزَال في رَصْدوزَيْدان[1]

تَنفِي عن الصبِّ ما بِالقَلْب من كُرَبٍ   بَلْ تَتْرُكُ الصَّبَّ في تيهِ الهوى عَان

فالبَانُ يرقُص من ترْجيعها طرَباً   والزَّهْرُ يفْتَرُّ عن أثغار مَرْجان

والماءُ مُنسَكِبٌ والظلُّ مُنسَحِبٌ   ولِلنَّسيم هُبوبٌ يُنعِشُ الفَاني

ولابي عيسى المَهدي الغَزَّال من رجال الانيس في مُغَنِّية :

غنَّتْ فأَغْنَت عن سَماعِ العُود   غَيْدَاءُ صَالَتْ باللِّحاظ السُّود

وُرْقُ الحَمامِ تعلَّمَتْ أَلحانَها   فلِذَاك تُلْفَى عَذْبَةَ التَّغْريد

ولابن الزُّبَيْر النحوي المتوفى سنة ١٠٣٥ في الخَمْرة :

إركَبْ جَوادَ اللهو واشْرَب على   وَرْد الخُدود تحْتَ ظِلِّ الشَّعَر

---

١ – الرصد والزيدان نغمتان موسيقيتان .

والكَاسُ في يُمْنَى مُدِيرٍ لها نَجْمُ الثُّرَيا في يَمِينِ القَمر

ولابن الطِّيب العلمي فيها :

تفَتَّحتْ ازهارُ رَوْض السُّعود وغنَّتِ الاطيارُ في كُلِّ عُود
فَباكِرِ اللَّذاتِ في رَوْضةٍ ما بَيْنَ مِزْمَار ودَفٍّ وعُود
وقُمْ الى الرَّاح ورِدْ ظَرْفها فطالَمَا أَمَّلتَ منهـا الوُرُود
صَهْباءُ يعلُوها الحبَابُ كما تعلُو على نحْرِ الغواني العُقُود
في كَاسِهــا مَاءٌ ولكنَّه في القَلْبِ مثلُ النَّار ذَاتِ الوَقُود
ولا تمِلْ عن شُرْبها ابداً مِن بَأْس وَاشٍ خِفْتَه او شُهود
فكم زَنتْ بِكْراً مع ابْنِ سَما ولم تَجِبْ يوْماً عليه الحُدود
شمسٌ اذا غابت بجَوْف امْرِيءٍ أشرَق في خَدَّيه بَدْرُ السعُّود
فهاتِها مِنْ كَفِّ حُلْوِ اللَّما لِكنَّه للصَّب مُرُّ الصدود
كأنها حَمْراءُ في كفِّــه مَعْصورةٌ من وَرْدِ ذاتِ الخُدود
سَاقٍ أطارَ النومَ عن مُقْلتي وكَمْ سباني بالعُيُون الرُّقُود
أَطْلَقَ دَمْعي مِن أَلِيم الجَفَا والقَلْبُ قد أَوْثَقه في قُيود
أَدْخَلَ ذاكَ الخَصْر في عَدمٍ وردْفُه أَخْرجه للوُجُود
فذاكَ مِن ضَعْفٍ يَقُوم وذا مِن ثِقْلِهِ ما زَال يَبْغي القُعود

وله فيها :

أَقولُ لِلْمَحْبُوب في رَوْضَةٍ والطلُّ يَسْقِي والثَّرَى يَشْرَبُ
زَوِّجْ بِبِنْت الكَرم إبنَ السَّما فالطَّيْرُ في مِنْبَره يخطُب

ولصاحبه ابي عبدالله الشَّرقي فيها :

أدْنُ مِن الدَّنِّ فكَمْ تَهرَبُ إنَّ ذهابَ العقل لِي مَذْهَبُ
واشْرَبْ بكَأْس صِيغَ من فِضَّةٍ لكِنْ بتَسْكَاب الطِّلاَ مُذْهَب

وله في مُباكَرة الصَّبُوح :

ياصَاح صَحَّ اللهوُ والطيرُ صاحْ وأَنْذَر الدَّاعي بقُرْبِ الصَّباح
قُمْ بَاكِرِ الرَّوْضَ بِبِكْرِ الطِّلا واشْرَبْ على زَهو الخدُود المِلاَح

وله في صفة رَوْض :

يا حُسْن رَوْض في الجِنان أَرِيضْ لِبَرْقِه في شر ق قَلْبي وَمِيضْ
جمع أشْتاتَ الهوى عندَه نَهْرٌ صَحيح ونَسيمٌ مَريضْ
هذا لَهُ الأَزْهــار باسِمَةٌ وأَدْمُع الطَّلِّ لِذَاكَ تَفِيضْ

ولابن زاكُور يصف روضاً :

مُدَّ للسُّلْوان أَشْراكَ النَّظَر في ابتهاج الروض من وَجْد المطر

وتلقَّ الأُنس عن آسِ الرُّبى وارْوِ طَيَّ النَّور عن نشْر السَّحر
وارتَشِفْ ثغْر أقـــاحٍ باسِماً واصْطَبح بالطل من كأْس الزهر
والْتَثِمْ وجهَ الْمنى مستبشِراً حيثْ رامَ الغُصنُ تقبيل النَّهَر
وجلا الوَرْدُ خدُوداً أُشْرِبَت خَمْرَة العِقْيان من فَرْطِ الخفر
وانْبَرى النِّسْرين يُهدى ذهباً في صِحافٍ مُفْرغات من دُرَر
وحبَا الخِيريُّ أَنفاسَ الصَّبـــا نفَحات أنشَرتْ ميْتَ الفِكَر
وانتشى البُستانُ من خَمْر الحيا فاستقَاءَ النَّورَ من ذاك السكَر
نظَّمت في جيـــده أنداوُهُ عِقْدَ دُر كلَّما ماسَ انتَثر
قيّد الأَلحـــاظَ في بهجتـه واجْلُ غَيْم الغَمّ عن شمس العِبَر
واعتَبر بالنَّـــوْر يذْوِي بينها هو معشوق لِشَم وبصَـــر
واشكُر اللهَ على آلائـه انما ينجَحُ سَعياً مَن شَكر

وله أيضاً :

حدَّث عرفُ الصَّبا عن نفحة الزهَر عن الغصون عن السُّقْيا عن المطر
قالوا جميعاً شَرُودُ الأُنس مقتَنَصٌ بين الرُّبى بشِباك الشم والنظر

وله في هيَجان البحر ، وكان أَراد السفر الى الجزائر :

يا أَيُّها البحرُ مَهْلاً فَقد دَهانا اهْتِياجكْ

إِنَّا هَمَمْنا بِأَمر ... منَع مِنْهُ انزِعَاجُكْ
لَوْكُنْتَ تَدْرِي لأَبْدَى ... سِيما السُّرور ابتِهاجُكْ
يا لَيْتَ شِعْرِي إِلى كَمْ ... يَحْكِي فُؤَادِي ارْتِجاجُكْ

وقال في مَدِينَة تِطْوان :

تِطْوانُ ما أَدْراكَ ما تِطْوَانُ ... سَالَتْ بها الأَنْهَارُ والخُلْجَانُ
قُلْ إن لَحاكَ مُكابِرٌ في حُبّها ... هِيَ جَنَّةٌ فِرْدَوْسُها الكِيتانُ [1]

ولأبي علي اليُوسِي في عَلاقة الزَّهر بالمطر :

إِنَّ بَيْنَ الغَمام والزَّهر الغَضّ لَرِحماً قَديمةً وإِخَاءَ
بانَ إِلْفٌ عن إِلْفِه فتوارَى ... في الثّرى ذَا وذَاك حلَّ السَّماءَ
فإذا ما الغمامُ زَارَتْ جَناباً ... آذَنَتْ فِيه بالحَبِيب اللِّقَاءَ
ذَكَرَتْ عهْدَهُ القَدِيمَ فَحنَّتْ ... عند لُقْيَاهُ فاسْتَهَلَّتْ بُكاءَ
فترى الزَّهرَ بارزاً مِن خَبَايَا ... هُ يُحَيِّي الوُفُودَ والأَصدِقاءَ
بادِيَ البِشْرِ والبَشاشَةِ جَذْلا ... نَ لَبُوساً من كُلِّ لَوْنٍ رِداءَ
ثَمِلاً من شَمُول شَمْسِ الضُّحَى وَهْـوَ على بُسْطِ سُنْدُسٍ خَضْراءَ
رَاقِصاً والصَّبا تُهَنِّيهِ وَالوُرْ ... قُ، غواني القِيَانِ، تَشْدو غِناءَ

---

١ ـ كيتان متنزه بديع في تطوان .

وله يصف أيام الشباب :

وطَنٌ عهدتُ به الشبيبةَ والصِّبا إلْفَيْن ليس أخوهما بمُنَكَّد
ورفَلْتُ في أثواب عيش باسِقٍ عذَباتُه أَنِقِ المُحَيَّا أَرْغَد
وقطَفتُ من زَهْر السرور نواضِرا وهصَرتُ منه بالغصون المُيَّد
أيَّامَ كنتُ رَخيَّ بالٍ في ذَرَى حَدِبٍ عليَّ مُوَسِّنٍ [١] ومُوَسِّد
ألهُو بأحداث الزمان مُرَاغِماً لأُنوفها عَبثَ الوَليد المُسْتدي [٢]
مُرخَى العِنان بروض كلِّ لُبانَة سَرحاً بها سَرْح الفَلُوِّ المُخْضِد [٣]
لا أختَشِي ظُفرا ولا نَابا ولا أَشجَى لِبَيْن مُغْور أَو مُنجِد
والدهر سِلْمٌ والخطوب غوافلٌ والعيش غَضٌّ والأَماني حُفَّدي [٤]
ما دَوْحةٌ فينانَةٌ أَو روضة بخميلَة أَو في يَفَاع أَنجَد
سحَبت عليه ذُيولها مُزْنُ الحَيا وسخَتْ عليه بكَفّ واكِفها النَّدي

١ – الذرى الجانب والساحة والحدب العاطف المشفق والموسن المنوم من السنة وهي أول النوم .

٢ – المستدي اللاعب بالجوز يقال سدى الصبي بالجوز واستدى اذا رمى بها لاعباً .

٣ – الفلو المهر والمخضد الذي يجاذب المزود من النشاط والمرح .

٤ – أي خدامي ، جمع حافد وهو الخادم .

يُسقَى من الوَسْميّ مُتْرَع كأسِه ويُصان مِن نسْج الوَلِيّ بِبُرْجُد[1]
من كُل سابِغة الذُيول كأنها عَكَرٌ تُسامُ على الرُبى بالمرْعِد[2]
نَشَر الجَنُوبُ جُمَانَها[3] فتقلَّدَتْ لَبَبُ الرياض بحَلْيِها المتبدِّد
فتدفّقتْ أنهارُها وتفتّقتْ أزهارُها في روْضِهَا المستأْسِد[4]
وتساجلتْ أطيارُها وتمايلتْ أشجارُها كالمُثْمَل المُتَمَيِّد
وجرَى لطيفُ نسيمها بِرِيَاضِهَا جَرْيَ الزُلال بغُصْنِها المتأوِّد
ما شئت من ثمر يلذُّ ومنظر أَنِقٍ وصوْتٍ في الغُصون مُجَسَّد[5]
وحباب جِرْيال يُخالِطُ ساقِيَ أُمْلودٍ بها فَحْمِ الذَوائِب مُمْأَد[6]
أَو أمْنُ ذي فَرَقٍ خاشِع لُبّه أو غَفوَةُ الإصْباح للمتهجِّد
أَوْ عذْبُ شارِعَة الفُرات لظمآ أَوْ وَصْلُ حِبّ بعدَ هجْرٍ مُبعَد

---

١ – الوسمي مطر الربيع الأول والولي الذي يليه والبرجد الكساء المخطط .

٢ – هذا وصف للسحاب والعكر الابل الكثيرة والمرعد صوت الراعي شبهه بالرعد .

٣ – يعني الريح الجنوبية والمراد بجمانها قطرات المطر على التشبيه .

٤ – الملتف النبات .

٥ – المجسد المحسن على أنواع .

٦ – فحم الذوائب أسودها ومماد ممال .

بألَذَّ من تلك الليالي لَوْ مَحا ما خطَّه الدبرانُ سعْد الأَسعُدِ[1]

وللوزير ابن ادريس :

نادَى السُّرُورُ بسَعْدِكُمْ فَتنَزَّهوا فالرَّوْضُ قد أَهدَى حلاه وَخزَّهْ
بَسط الرَّبيعُ به بساطَ زَبَرْجد قد أَحسَنَتْ أَيدِي السَّحائِب طَرْزَهْ
قد كَان كَنْزاً في التُّرَاب مُطَلْسماً فَتَحتْ رُقى كنْزِ الغمائم كَنْزَهُ
أَبدَتْ خبايا الارض من بَرَكاتِه ما أَوْضَحت لُسْنُ الكَمائِم رَمْزَهْ
طَلَعت طلائِعُه بكل ثَنِيَّةٍ تُهْدي بَدَائِعَه وَتَنْشُر بَزَّهْ
وجُيوشُه النوَّارُ تَظْهَرُ في الرُّبى أَعلامُه تُبْدي عُلاه وعِزَّهْ
مَلِكُ الفُصول له التقدُّمُ بينها مَن رَامَ شأْوَ سنَاه منها عزَّهُ
فخَرَ الزمانُ بصَيْفِه وَخَريفِه وَشِتَائِه يومَ الفخار وَبَزَّهُ
مُتَصرِّفٌ في الارض عِند ورُودِهِ فأَشَبَّ نَرْجسَه وَشَيَّبَ لوْزَهُ
تَتنَفَّسُ الجنَّاتُ فِيه أَما تَرَى أَرَجاً سَرَى أَحيا الفُؤادَ وهزَّه

وله في عَريش عِنَب ٠

عرائِسُ الرَّوْضِ تَزْهو في عَرَائشها
لها خدُورٌ لِصَوْنِ الحُسْنِ وَالحسبِ

---

١ - الدبران وسعد الأسعد من منازل القمر وهذا من قول الشاعر :
اذا دبرانا منك يوماً لقيته أؤمل أن ألقاك غدوا بأسعد

قد رُبّيتْ في مِهَادٍ ما يُحَرِّكُه ... إلّا النَّسِيمُ إذا يَهْفو على كُثُبِ
وأَرضَعتْها ثُدِيَّ السُّحْبِ دِرَّتَها ... في كُلِّ حينٍ ولم تَبْرُزْ من الحُجُبِ
فأَصْبَحَتْ بعد ما تمَّتْ رِضاعَتُها ... تُعْزَى الى الكَرْمِ لا تُعْزَى الى السُّحُبِ
تَكادُ تَسقُطُ سُكْراً في أَرِيكَتِها ... لَوْ لَمْ تَقُمْ بِسَرِيرِ العُودِ والقَصبِ
فيها لأَهْلِ التُّقَى شُكْرٌ، ومَهْمَلَه[1] ... وِزْرٌ لأَهلِ الهوى وذا مِن العَجبِ

---

١ – يعني سكرا .

الآدابُ والوصَايا والحِكَم

للشيخ يَعْلَى أبي جَبَل دفين باب يَصْلِيتَن من فاس المتوفى ٥٠٣ في الحث على السفر .

سافِرْ لِتَكسب في الاسفار فائدةً ... فرُبَّ فائدَةٍ تُلْفَى مع السفر
ولا تُقِم بمكَان لا تُصيب به ... نُصحاً ولوكنتَ بين الظل والشجر
فان موسَى كَلِيمَ الله أَعْوزَه ... عِلمٌ تَكَسَّبه في صحبة الخَضِر

وللقاضي عياض في ضده :

تَقَعَّدْ عن الأَسفار ان كنتَ طالبا ... نجاةً ففي الاسفار سبعُ عوائق
تشوُّق إخوان وفقدُ أَحِبَّة ... وأَعْظمُها يا صاحِ سُكْنَى الفنادق
وكثرةُ إيحاش وقلةُ مُؤْنس ... وتبذيرُ اموالٍ وخِيفةُ سارق
فان قيل في الأَسفار كسبُ مَعِيشة ... وعــلمٌ وآداب وصحبَةُ واثِق
فقد كانَ ذَا دهراً تقادَمَ عهدُه ... وأَعقَبه دهرٌ شديد المضَايق

فهذا مَقالِي والسلامُ كما بَدا وجرّب ففي التجريب علمُ الحقائق

وله وجنَّسه :

اذ ما نشَرْتَ بِساطَ انبساط فعنه فديتُك فاطْوِ المِزاحــا
فان المِزَاح كما قــد حكَى أُولُو العلم قبلي عن العِلم زَاحا

وللمهدي بن تُومَرت :

أَخـذتَ بأَعضادِهم اذ نَأَوْا وخلّفَـك القَوْم اذ ودَّعوا
فَكَمْ أَنتَ تنهَى ولا تنتْهِي وتُسْمِعُ وَعظـاً ولا تسْمَعُ
فيا حجَر السَّنِّ حتى متى تَسُنُّ الحدِيـدَ ولا تقطَعُ

وللقاضي أَبي حَفْص ابنِ عُمَر :

بَنْبك يا غـا فلا فانْظُر وعيْنَيْـك غَمِّضْهُما تُبْصِر
إذا أُرْسِلَ الطَّرْفُ هام الفؤاد وبَعْضُ المَرائي عَمَى المُبْصِرِ
وآفَـةُ قلْب الفَتى عينُه فإن تَرْعَ قلْبَكَ لا تنظُر

وله أَيضاً :

العِلمُ يكْسُو الحُلَل الفاخره والعلمُ يُحْيي الأَعظُم الناخره
كَمْ ذَنبٍ أَصْبَحَ رَأْساً بـه ومُـذْنبٍ أبحُرُه زاخره

مـــا شَرفُ النِّسْبة الا التُّقى ... أبن تميم لأنفس الفـــاخره

مَن يطلب العزَّ بغَـــيْر التقى ... تَرْجع عنـــه نفسُه دَاخِره

أَعْرِضْ عن الدنيا تكُنْ سيداً ... بلْ مَالِكاً فيهـــا وفي الآخره

وللاستاذ أَبي القاسم ابن الشَّاطّ وجنّسه :

إني سلكتُ من انقباضِي مَنْهَجاً ... ونَهَجتُ من صَمْتِي على مِنْهَاج

وتركتُ أَقْوَالَ البَرِيَّـــة كُلَّها ... كي لَا أُمَيِّزَ مادحـــاً مِنْ هَاج

ولابن البنّاء العددي :

قصدتُ الى الوَجازَة في كلامي ... لِعلْمي بالصَّوابِ في الاختصار

ولم أَحذَرْ فُهوماً دون فهمي ... ولكن خِفْتُ إزراءَ الكبار

فشأْنُ فحولَة العلمـــاءِ شأني ... وشأنُ البسْط تَعْلِيمُ الصِّغار

ولابن عبد الملك المراكشي :

من لم يصُنْ في أَملٍ وجْهَه ... عنك فصُنْ وجهَـــك عن رَدِّه

واعْرِفْ له ٱلْفضلَ وعرِّفْ له ... حيثُ أَحلَّ النفس من قَصْده

ولمالك بن المرَّحل وقد التزَم افتتاحه بما ختم به :

بِأيِّ دواء ام بأيِّ أيد ... يُداوَى عِذارٌ من نباضر مَشِيب

بباض كما لاحت كواكب سُحرة ... تُريك طُلوعاً مُوذِناً بغُروب
بَشيراً نَذيراً لاحَ كالفجر صادقاً ... على كاذِب حُلو اللسان خَلوب
بُنيَّ إبلك لي ان البُكا يبعث البكا ... وليس جوابي منك غيرَ وجيب
بحاراً ركبناها بغير سفائن ... غُروراً فإن نَهْلِك فغَيْرُ عَجيب
برتنيَ يوماً آيةٌ في بَرَاءة ... فان ضحِكت سِنيٍّ فضِحْكُ مُريب
بَنَيْتُ لها قلبي على كُرَة الأَسى ... فلم تَتَغَيَّر لاختلاف خُطُوب
بَكى صاحبي حتى إذا مال في الثَّرى ... وسالَت ماقيه كمِثْل غُروب
بسطتُ له كفِّي وقبّلتُ كفَّه ... وقلتُ له هذا مَقامُ كَئيب
بحقِّك لا تَبْرَح أُطارِحْكَ لَوْعَتي ... على نَغَم مِن أَنَّةٍ ونحيب
بداراً الى هاذي الدموع فربَّما ... غَسَلتَ ذُنوباً جَمَّة بذَنُوب
بدايَةُ حال ان تدُمْ فلَعلَّما ... ورُبّ طلوع كان بعد مَغيب
بَنِي الدَّهر أَمَّا الدهرُ فهْو عدُوكم ... وان لَاح يوماً في ثياب حَبيب
بَوارِقُه لا رِيَّ فيها لَعاطِشٍ ... ولا خِصْب في أَنْوَائِه لجدِيب
بَلاكُمْ وأَبْلاكُمْ تقلُّبُ صَرْفِه ... فَيَا وَيْحَهَا من أَنْفُس وقُلوب
بصائِرُها في الرُّشد غيرُ ثَواقِبٍ ... وأَبصارُها في الغيِّ ذَاتُ ثُقوب
بَعيدٌ من التوفيق مَن بات ساهراً ... رَجاء بعيدٍ لا مخافَ قريب
بَطِيءٌ لَعَمْري من سَرى الليلَ كلَّه ... وأَصبحَ حول الحي بعد لُغُوب

بَخيل لعمري مَن دعاه حبيبُه هلُمَّ الينا وهْوَ غيرُ مُجيب

وقال على مِنْواله :

جَدِيرٌ بأن يَبْكي على نفْسِهِ أَسىً فتىً كلَّما تُرجى له توبةٌ تُرْجا[1]

جَبانٌ عن التقوى جَرِيءٌ على الهوى قريبٌ من المَهْوَى بعيدٌ من المَلْجا

جرى في مَجال اللهو مِلْءَ عنانه الى الآنَ ما ألقى لِجاماً ولا سَرْجا

جنَى ما جنَى واسْتَسْهَل الأمرَ في الصِّبا فلمَّا نهاه الشَّيْبُ عن فِعْله لَجَّا

ولابن جابر المكناسيّ :

أيا مَن أرادَ التخلُّصَ مِن دُناه لِخَوْف إذَا يَاتِها

اذا شئتَ تسلَمُ من شرها فسلِّمْ لَهم في حُوَيْجاتِها

ولابن رُشَيْد الرَّحال :

تغرَّبْ ولا تَحفِلْ بفُرقة مَوطنٍ تَفُزْ بالمُنى في كل ما شِئْتَ من حاج

فلولا اغترابُ المِسْك ما حلَّ مَفرِقا ولولا اغترابُ الدُّرِّ لم يحظَ بالتَّاج

---

١ - تؤخر .

وللسلطان ابي عِنان المَريني :

واذا تصدَّر للرِيَاسة خاملٌ جرت الامورُ على الطريق الأعوج

وللعلامة المكُودي من مقصُورَتهِ في السِّيرة النبوية :

أرقَّني بَارِقُ نجْد إذْ سرَى يُومِضُ ما بَيْن فُرادَى وثُنَى
أَهبَّني إذْ هَبَّ منه مَوْهِنًا[1] ما سدَّ ما بين الثريا والثرى
شَمِمتُ من أَرجائه إذْ شِمْتُه رِيحَ صباً أَضوعَ من رِيحِ الكِبا[2]
فَيالَه من بارق ذكَّرني من الهوى ما كنتُ عنه في غِنى
أثارَ شوقا بان مني كامناً بين ضلوع طالَما فيها ثوى
فكان قلبي المُجْتَوَى اذ هاجه كالزَّنْد إذْ أَوْرَاهُ مُورٍ فورَى
وسحَّ سُحْب مُقْلتِي فما بقِي نوعٌ من الدمع بها الاَّ همى
ما كنتُ ادري قبلَ ان أُنفِدَه أن البُكى يمنعُني من البُكى
وليلةٍ سبَحْتُ في ظَلمْاتها اذْ سَحبتْ فضُولَ أذيالِ الدُّجى
أَلِفْتُ فيها كلَّ ما أَأفَيْتُه يوُهِي القُوى الا التسلِّي والكَرى
طالت وما أَطّل نائي صُبْحها إلاَّ بإِغْيا[3] ما لدَيْها من تَوى

١ - الموهن كالوهن نحو منتصف الليل .
٢ - عود البخور .
٣ - أي بغاية .

قد وقفتْ نجومُها في أُفْقها ... وقْفةَ حيْرانَ طويلِ الْمُشتكى

جُبتُ بها وَحدِيَ قفْراً سبْسَباً ... ليس به الا النَّعامُ والمَها

نائي الزَّيازِي والفَلا دَانِي الصَّفا ... خالِي الفَيافي والذُّرى خافِي الصُّوى

قَطعتُه ببَازِلٍ ذِي مِرَّةٍ ... يُنوِّعُ السيْرَ بأنْواعِ المُشَى

فتَارةً يُعمِل فيها الخَيْزَلَى ... وتارة يَعدُو عليها الهَيْدَبى

كأنَّ رَحْلي اذ علوتُ ظهْرَه ... فوقَ مَتِين المتْنِ وَجْرِيِّ القُوى[1]

مِن وَحْش مَهْمهٍ بعيدٍ غَوْرُه ... ذِي أكرُعٍ أَصلبَ من صُمِّ الصَّفا

يقذِفُ بي من فَدْفَدٍ لفَدْفَدٍ ... وينتَهي بِي من فَلا الى فَلا

حتى اذا انتضَى الصباحُ نصْلَه ... وقدَّ جِلبابَ الدَّياجي فانفَرى

كأنه كَتائِبٌ قد نُشِرَتْ ... رايَاتُها على الأَكَام والرُّبى

أَحسَّتِ الشُّهْبُ بها فأَجفلَتْ ... وأمَّت الغَربَ وجدَّتْ في السُّرى

إذَا أَنَا ببُقْعَةٍ غِيطَانُها ... جَرى بها سلسالُ نَهْر وانحنَى

كأنَّه مِعصَم خَوْدٍ غَادةٍ ... على رِداءٍ قد وَشَاه مَن وشَى

وظلّ رَوْضٍ راضَه صَوبُ الحَيَا ... فاعتَمَّ من نورْ حُلاه واكْتَسى

باكَره وسْمِيُّه فانفَتَحَتْ ... كِمامُه عن زَهْر طيِّب الشَّذا

---

١ – منسوب الى وجرة مكان كثير الوحش .

وهزَّ أَيدي الرِّيح منـه قُضباً غنَّى بها الطيرُ الاغَنُّ وشَدَا
ونشَرَتْ شمسُ الغَداة أَيْـدَعاً[١] فيه وقَــد بلَّله قَطْرُ النَّدَى
أَحْسِنْ به رَوْضاً ذَكِيّاً عرْفُـه مُعطَّراً دَانِي القُطوف والجَنَى
وقَفتُ طِرْفي بـإِزَاءِ دَوْحِــه أَسرَح طَرْفي في مَبانِيه العُلى[٢]
واشتَكِي دهراً دهاني صَرْفُه لَمَّا قَضَى بالبَيْن فيما قــد قَضى
منازلٌ كانت بِنَـا أَوَاهِــلاً نِلْنا بها حِيناً أَساليبَ المُنى
كم بتُّ في أَفْيائِهـا أَجري الى غايَاتِها بطِرْفِ جِدّ ماكَبـا
وكم سحَبْتُ اذ صَحِبْتُ غِيدَها برَوْضها ذَيْلَ السُّرور والهنـا
وكم مدَدْتُ مـن سُرَادِقٍ على ضفَّة نَهْر أَرِج رَحْبِ الذُّرى
وكم سعِدْتُ اذ صَعِدْتُ صَهْوةً لِمـنْزَه ذي نُزَه لمن رَنـا
وكم هَصرتُ فيه من غُصْنِ نَقَا من قدّ ظَبْي أَهْيفٍ طاوي الحَشا
وكم لَثمتُ زَهْر ثغر أَشْنبٍ من شادنٍ عذْب الثَّنايا واللَّمى
وكم رَشَفتُ من رُضاب سَلسلٍ يفعَلُ بالأَلباب أَفعـالَ الطِّلا
أَيامَ أَزهـارُ المُنَى مُونِقَــةٌ والدهرُ ذُو وَجْه مُنيرٍ مُجْتَلى
تُزَفُّ لي من الأَمــاني آمِناً عَرَائِسٌ ذَوَاتُ حَلْي وحُــلى

١ – أي زعفراناً والكلام على التشبيه .
٢ – الطرف بالكسر الكريم من الخيل وبالفتح العين الباصرة .

أنَّى أُرَجِّي لِفُؤادي سَلْوةً   من بَعْد بُعْد المُونِقات المُجتَلى
يا لَيتَ شِعْري والاماني خُدَع   هل يُرْجِعُ الدهرُ لنا عهْداً مضى
وهل لنا من عَوْدة لِمعْهَد   صبَوْتُ فيه جُلَّ ايام الصِّبا
إذْ لا مَشِيبَ فوْقَ فوْدي يُرعَوَى   من شَيْنه ولا رَقِيبَ يُختَشى
أَيامُ أَنْسٍ أَسْرعت في خطْوِها   كذا اللَّذاذَاتُ سرِيعَاتُ الخُطا

* * *

يا قَلْبُ لا تجْزَع فأَنتَ قُلَّبُ   وأنتَ عندي ذُو دَهاء وحِجا
فلا يهُولَنكَّ صَرْفُ الدهر في   ما قد جَنى عليك من خطْب النَّوى
فكُلُّ وصْلٍ ينتَهِي لِفُرْقَة   تفْرِي العُرى منه وان طال المدَى
والدهرُ في صرُوفِه ذُو عجَب   يُدنِي بها كلَّ جديد للبِلى
يُبكي اذا أَضحَك يوما أهلَه   ويُعقِبُ الكَربَ اذا العيشُ صفا
كم مَلِك في نَجْدة من مُلكه   يضِيقُ عن جُنوده رَحْبُ الفضا
قد ملَك الارضَ وراضَ صعْبَها   وشَيَّد القُصورَ فيها والبُنى
أَخنَى عليه دهرُه وعاقَه   عن كل ما شَيَّده وما بَنى
أين الأُلى سادُوا وسَاسُوا مُلكَهم   كمِثْل سَاسَان وعادٍ وسَبا[1]

---

١ — ساسان أبو الملوك الساسانية من ملوك الفرس، وعاد وسبأ من العرب البائدة.

دارتْ على أَدْؤُرِهم [١] دَوائِرُ وجُرِّعوا كاسَ المنَايا والرَّدى

وأين بانِي إِرَمٍ [٢] وجَيْشُه صارُوا رَمِيماً تحتَ أطباقِ الثرى

ومُلكُ كِسْرى حينَ تمَّ أَيْدُه أوْهَتْه أَحداثُ الزمان فوَهى

ولَمْ تُقَصِّرْ عن ملوكِ قَيْصَر حتى أَبادَتْهم وطاحُوا في البَرى [٣]

ولم تدَعْ من مُلْك غسَّان فتىً سامَى المَعالي في ذُراهـا فَسما

وكم ملوكٍ قَهروا بمُلْكهم أُسْدَ الشَّرى صارُوا حديثاً في الدنا

***

هاذي هِيَ الدنيا فلا يَغْرُرْكَ ما تَراه فيهـا من سُرور وهَنا

فانفُضْ يَدَيْك من عُراها وارْمِها وادرَأْ بها ان كنتَ من اهل النُّهى

وظُنَّ بالإخوانِ شَرًّا واخْشَهُم وصَيِّر الأَحبابَ منهم كالعِدا

وان جهلتَ حالَهم فاخبُر فما يَخْبُر قوماً احدٌ إلاَّ قَلى

وَسِرَّكَ اكتُمْه عن الخَلق ولا تُطْلِع عليه احداً من الوَرى

واقْنَع على عزّ بما يَكْفي ولا تَحْرِصْ فان الحِرْصَ ذُلّ للفتى

وسايِرِ النـاسَ على أَخلاقِهِم وساعِد المُسْعِد واحمِلْ من جَفا

---

١ – جمع دار .

٢ – مدينة هائلة بناها شداد بن عاد .

١ – البرى : التراب .

وصافِهم وان أساءوا نيةً ... فإنمـــا لكل مَرْءٍ ما نَوى،

كم من صديق مُظهِرٍ لوُدِّه ... لكن له قلبٌ على الحِقْد انطوى

يَبَشُّ في وجْهِكَ ان لاقَيْتَه ... وان تَغِبْ يَغْتَبْكَ في كل مَلا

يذيعُ ما يَراه من قُبْحٍ وان ... رَأى جميلاً منك أخفى ما رأى

فاترُكْ إخَـــا مَن هذِه شِيمَتُه ... واهجُرْه في الله ودَعْه والعَمى

ولا تهابَنَّ ذوي الجهـل وان ... رَاقك منهم مُنتَدى ومُنْتَمى

كم من أُناس كالأَناسي منظَراً ... فَهُم اذاً أَشْبَهُ شيء بالدُّمى

وكم أُناسٍ فى الدُّنا ليس لهم ... منِ العُلا الا الأَسامي والكُنى

يَرَوْنَ أن المَجدَ والعَلْياء في ... ما يُغْتَنى من أُمَّهات وكُسى

ليس العلا والمجدُ الاَّ لامْرِيءٍ ... رَنا الى أُفْق المعـالي وارْتقى

وصمَّم العزمَ على ترك الهوى ... وجدَّ في طِلاب ما يُجْدي الثنا

وانتَعل الشُّهبَ الدَّراري رفعـة ... وامتَهد البَدْر المنير واعتَلى

وما المعالي غـــيرُ علْم رائق ... يُصَيِّرُ المرءَ على أعلى السُّها

طُوبَى لمن برَّزَ في مَيْدانِه ... وابتَدر السَّبْقَ لديه وجَرى

وجدَّ فيه وحَماه جـــدُّه ... حتى ارتقى منه بأَسْمَى مُرتَقى

ودانَ بالدِّين القـــويم والعُلى ... وازْدان بالخُلْق الجميل والتّـقى

***

لِلّهِ قَـــومٌ قمَعوا انفسَهم عن الهوى اذ قَرَعُوا بابَ الرضى
عابُوا نفِيس الدُّر والعِقْيَان اذ باعُـــوا نفوسَهم بأَنفس عُلا
وأَنت يا نفسُ شُغِلْتِ بالهوى حتى هَوَيْتِ منه في قَعْرِ هُوى[1]
فَرَّطتُ إذ أَفرطتُ في اكتساب ما يُردي ولَم أَسلُكْ سبيلَ من نجا
كم خضتُ في بَحْر المعاصي جامحاً لا أَرْعَوي نُصْحاً لِلَحْي من لَحا
وكم تَعِبْتُ اذ تبِعْتُ أَملاً قد انقضَت لَذّاتُه وما انقَضى
واحَسْرَتا قد مَرَّ عُمْري ضائعاً بين خُزَعْبِلاتِ لَهْوٍ وهَوى
هَلَكْتُ في الهُلاَّك لولا أَنني ذَخرْتُ ذُخْراً أَرْتَجي به الهُدى
وليس ذُخري غير مدْح احمدٍ سيدِ أَهل الأَرضِ طُرًّا والسَّما

ويقول في اخرها مُنَكِّتاً على ابن دُرَيْد وحَازِم في مدحهما غيرَ الذات المُصطَفوية :

مقْصورةٌ لكنّهـــا مقصورةٌ على امْتِداح المُصطفَى خيْرِ الورى
فُقتُ علاءَ كلّ ذي مقصورة وإِن هُمُ نالوا الأَيادي واللُّهـا
فحازِمٌ قد عُدَّ غـــيرَ حازم وابنُ دُرَيْد لم يُفِدْه ما درى

١ ـ جمع هوة وهي الحفرة العظيمة .

ما شِبْتُها بِمَدْح خلقٍ غيْرِه   لِرُتْبَةٍ أَحظَى بها ولا جَدا

وللشيخ ابراهيم التازي دفين وَهْران :

أما آن ارعِواؤُكَ عن شَنار   كفى بالشَّيْب زَجْراً عن عُوار
أَبَعْــدَ الأَربعين ترُوم هَزْلا   وهل بعدَ العَشِية مِن عَرار
فخلِّ حُظوظَ نفسِكَ والْهُ عنْها   وعــن ذِكر المنازل والديار
وعَدِّ عن الرَّبابِ وعن سُعاد   وزَيْنَبَ والمعازِف والعُقار
فما الدنيا وزُخرُفها بشيء   وما أيامُهــا الا عَوار

وله ايضاً :

ياصاحِ من رُزِقَ التُّقى وقلا الدُّنا   نال الكَرامَةَ والسعادةَ والهنا
فاصرفْ هوَى دنياكَ واصرِم حبْلَها   دَارُ البَلايا والرزايا والعَنا
ووِدادُها رأْسُ الخطايا كلِّها   مَلعونَةٌ طوبى لِمَن عنها انثنى
لا تغْتَرِرْ بِغُرورها فمَتاعُها   عَرضٌ مُعَدّ للزوال وللفنا
لَعِبٌ ولَهْو زينــةٌ وتفاخر   لا تخدَعنْك جِنانُها مُرُّ الجنى
خَدَّاعةٌ غدَّارة مكَّارةٌ   ما بلَغت لِخَليلها قطُّ المُنى

١ ــ اطلبها فقد نشرناها بشرح لطيف وترجمة مطولة لناظمها .

اليومَ عندك جاهُها وحُطامها وغداً تراه بكَفّ غيْرِك مُقتَنى
فاقْبَل نَصيحةَ مُخْلِصٍ واعْمَلْ بهَا يُدْنيك من رِضْوان رَبك ذي الغِنى

ولابن غازي :

عجِبْتُ لَمبتاع الضلالة بالهدى ولَلْمُشْتري دُنياه بالدين أَعجَبُ
وأَعجَبُ من هذين من بَاعَ دِينَه بدُنْيا سواه فهو اخزَى وأَخْيَبُ

وللشيخ رضوان الجَنَوي :

لا تركَنَنَّ الى اهل الإمارة في امْرٍ تُحَاوِلُ واقْطَعْ دُونَهم أَملا
وان أَرادُوكَ يوماً مّا على عمل «كُلِ التُّراب ولا تعْمَل لهُم عَملا»

وللامام القَصَّار :

تِسْعٌ أَبَى منهـا أُولـو الأَحلام والهِمَم السَّنية
إِلَّا بحـال ضَرُورة تدعُو لها معْ حُسْن نِية
وهْيَ الشهـادةُ والوِسَا طةُ والحكومـةُ في القضية
وكذا الإمامةُ والوَدِ يعَةُ والتعَرُّض للوصية
ثم الاجـابـةُ للطَّعا مِ وللولائم والهَدِيـة
فسَدَ الزمانُ واهلُه إلا القليلَ مـن البَرِيـة

ولابي زيد البُوعقِيلي وجنّسه :

تجبَّر بعضُ الناسِ كبْراً ونَخوةً وعمَّ جميعَ الناس منه فسادُ
فيا أَسفِي ان الافاضل قد مَضوْا فَقَام علينا الارذُلون فسادُوا

وللشيخ عبد السلام جَسُّوس :

اذا ما خُصَّ بالاموال ناسٌ وَخصَّ اللهُ قلبك بالعُلوم
فلازِمْ شكْرَ ربك كلَّ حين اذا ما كنتَ من أهل ٱلْفُهوم
وسافِرْ عنهمُ بالقلب سافِرْ وحُطَّ الرحلَ في باب الكريم

وله أيضاً :

اذا ما اعتزَّ ذُو جهل بمال وعُظِّم في نفُوس الجاهلينا
فاهلُ العلم أعلا النـاس قدراً وأعظمُ عند رب العالمينا

وللشيخ عبدالله العياشي :

قامَت قِيامَةُ مَن شابَتْ نَواصِيه
فلْيتّقِ اللهَ ولْيتْرُكْ مَعَـاصِيه

وله :

فوِّضِ الامرَ الى مَن حُكمُه نافِــذٌ في كل ورْد وصَدَر

واذا نازعك الوهم فقل كلٌّ شيء بقضاء وقدر

ولابي العباس الهلالي من نصيحته :

يا أيها الانسانُ هُبَّ من كَراك واصحُ من السُّكْر الذي قد اعْترَاك
ان الرحيلَ يا أخي قريب وكلُّنا مسافر غريب
والموتُ لا يفوتُه عريبٌ[1] فكَيف لا يزَوَّد الأريب
فَيا لَه من سفرٍ ما أَطوَلَهُ ويالَه من هائل ما أَهْوَلَه
كفَى الِحمامُ واعظاً لمن عقل فانظُر فكم من قاطن قد انتَقل
يا عجباً لغافلٍ بَطَّالِ مِثْلي ، حَليفِ لَهْوه المُطال
لو ظلَّ يخشَى ضرْبَ صاحب امير كَدِر عيْشُه وغُصَّ بالنَّمِير
ولم يكُن عن حزنه بِلاه ولا يُصْغِي الأُذْن للمَلاهي
وكيف يلهُو وهْو كلَّ حال منتظرُ الموتِ والارتحال
وفتنةِ القَبْر وهوْلِه الشديد وموقِف الحشْر وكَرْبه المديد
وكلّ هوْلٍ بعده مما تذُوب له الصَّفا الصمُّ فكيف بالقلوب
وكيف ينسَى سكَراتِ الموت وهوْلَه وحسَراتِ الفوْت
وكيف يلهُو ويلَذُّ مطعَما معْ عِلْم ذاك إنَّ ذا مِن العَمى

١ – أي أحد وهو من الأسماء اللازمة للنفي .

فأعدِدَنَّ للرحيـــل الزّادا ... وافتقِـــد المِزْوَد وَالمَزادا
والْزَمْ طِلابَ العلم بالاخلاص ... لكي تَرى منـــاهجَ الخلاص
فالعلمُ نورٌ والجهـالةُ حلَك ... ومَن سرى في ظلمة الجهل هلك
والعلمُ ما أكْسَب خشْيَةَ العليم ... فمَن خلا عنهـا فجاهل مُليم
لانه ميراثُ الانبيـــاءِ ... فلم يجُزْه غيرُ الاتقيـــاء
لذاك قيل العلمُ يدعُو العمَلا ... إن يُلْفه قرَّ والا ارْتَحلا
فاعْمَلْ بمَا علِمت تُورَثْ علمَ ما ... لم تكُ تعلمُ وتَربَحْ مغْنَمـا
واعلَم بأن كـدَر الذنوب ... يكسِفُ نورَ العلم في القلوب
ألا ترَى الذُّبال في المصباح ... اذا صفا ارضاك في اصْطِباح
وان يكُنْ بوَسَخ مُلَطّخـا ... كُسِف نورُه لذاك وطَخَا[1]
فاحذَر على النور الذي وُهِبْتا ... وان تُضِع نورَ الالاه خِبْتا
وزيِّن العلمَ بزينَة الورَع ... واقْنَع فخِدْنُ الحِرْص في الذل كَرع
ان القناعـــةَ أعزُّ مُلْك ... وحِرْفَةُ[2] القُنوع شرُّ هُلْك
واطلُب شِفاءَ قلبك المريض ... من قبل ان تُغَصَّ بالجَريض[3]

١ – أي أظلم .
٢ - أي السؤال فهو ضد القناعة .
٣ – أي الموت .

يوم مِلاكِهِ بأُمِّ فَرْوَةٍ عرْقَب كلَّ ذاتِ اربعٍ لَقي
ولا تَدَعْ وان قدرتَ حيلة فهي اجلُّ عسكر مُدهْدِق
إن كان في سفك دم العِدا الشِّفا سفكُ دم البريء غيرُ أَلْيق
ولا تُحارِبْ ساقِط القَدر فكم من شَاهةٍ قد غُلِبتْ بِبَيْذَق
وكم حُبارى أَمَّها صَقْرٌ فلم يظْفر بغير حتفه بالذَّرَق
وكم عيونٍ لأُسود دَمِيَتْ بالعَضّ من بُعوضها الملتصِق
والُخلْدُ قد مزَّقَ أَقوامَ سَبا وهَدَّ سُدّاً مُحكم التأَنُّق
ولا تُنقِّصْ أَحداً فكلُّنا من رَجُل وأَصلُنا من علق
لا تُلزِم المَرءَ عيوبَ أَصلِه فالمسكُ أَصلُه دمٌ في العنُق
والخمرُ مهما طَهُرتْ فبينها وبين أَصلِها بِحُكم فرّق
ولا تُوَيِّسْ طامعاً في رتبة لِمثْلها نظيره لم يلْحق
فالزَّرْدُ يوم الغار لم يثبُتْ له فضلٌ وكان الفضلُ للخَدرْنَق [1]
وقَوْسُ حاجبٍ برْهنِها لدى كسْرى اطمَأَنَّ قلبُه مما لَقِي
لا تغْشَ دارَ الظُّلْم واعلم أَنها أَخرَبُ من جوف حِمار خَلَق
ولا تَبِـعْ عِرْضَك بِيعَةَ أَبي غُبْشان بَيْـعَ الغَبْن والتَبلْصُق [2]

١ ـ اي العنكبوب .
٢ ـ اي الخديعة .

باعَ السِّدانةَ قُصيّا آخذاً عِوَضَها نِحْياً مِن أُمِّ زَنْبَق[١]
ولا تكُنْ كأشعَبٍ فربما تلْحَقُ يوما وافِدَ المُحرّق
ولا تكُن كواو عمْرو زائداً في القوم أو كمثل نُونٍ مُلحَق
لا ترجُوَنْ صفواً بغَيْر كَدَرٍ فذا لَعمرُ اللهَ لم يتّفق
لا تكتُم الحقَّ وقُلْه مُعلِناً فهو جَمالُ صوتك الصَّهْصَلِق
وصِحْ به شِبْهَ شَبِيبٍ وأبي عُرْوَة والعبَّاسِ عند الزَّعَق
لا تأمَنِ الدهرَ فان خَطْبه أرشقُ نبلاً من رُماة الحدَق
لا تنس من دُنياك حظَّا والى كالطَّلَقاني[٢] والخَصيب انطَلِق
واعضُل كهمَّام بناتِ فكْرة ضَنّا بها عن غير فَحْلٍ مُعْرِق
كي لا تَقُولَ بلسان حالها مقالَ هِنْد ألْقِ مَن لم يَلِق
وسلْ مُهُور كِنْدَةٍ ان تُهْدِها لِذي ندىً كالبَحر في تدفق
لا تهجُ من لم يُعطِ واهجُ من اتى الى السَّراب بالدِّلاء يستقي
وعُدْ لِما عُوِّدَت من بذْل اللُّها فالعودُ أحمَــــدُ لكل مُمْلِق
ولا تَعُدْ لحرب مَنْ مَنَّ ولو عَنَّ[٣] فما غَلَّ يداً كمُطْلِق

---

١ ـ من كنى الخمر .
٢ ـ هو الصاحب بن عباد .
٣ ـ اي الذي اعطى ولو اتبع العطاء بالمن .

والعَوْدُ يُخْتار على مَن كان كالـــمُختار أَو مَن كان ذا تَزَنْدُق

والصَّمتُ حصنٌ للفتى من الردى وقلَّ مَن شرَّ لِسانِهِ وُقي

وان وجدتَ للكلام موضِعاً فكُن عَراراً فيه أَو كالأَشْدَق

لا تبْخَلنْ بردٍّ ما استَعرتَه كضَابيءٍ فالبُخْلُ شرٌّ مُوبِق

شحَّ برد كلْب صيْـــد وهجا أَربابَـــه ظلماً فلم يُصدَّق

ومـاتَ في سِجْن ابن عفَّان كما قضَى الإِلهُ مِيتَة المُحزْرَق[1]

ونجلُه من أَجلِه اجَلُه مِن سطْوَة الحجَّاج لم يكُنْ وُقي

واستُرْ عن الحسَّاد كلَّ نِعمة كم فاضِلٍ بكأْس مَكْرِهم سُقي

فصاعدٌ على مَديح ورْدةٍ أَصبح مُنحَطاً بقوْل سَهْوَق

وافخَر كفَخْر خالد بالعِير والنَّفير لا بِحُلَّة من سَرَق

واتخذ الصبْرَ دِلاصاً سابِغاً وبمِجَنٍّ عُمَر لا تَتَّق

وان حَمَلتَ رايَة الامر فكُن كجعفَر أَوْدَعْ ولا تَسْتَبق

قد قُطِعتْ يداه يومَ مُوتَةٍ ولم يَدعْها لِكَمِيّ سوْحق[2]

لكِنَّه احتضَنها لِجُبهـــا فيا لَه من سَيِّد مُوفَّق

وكن اذا استُنجِدتَ مثل مَن غزا أَرضَ العدا بكُل طِرْف أَبلَق[3]

---

١ ــ هو المحبوس المضيق عليه .

٢ ــ السوحق : الطويل .

٣ ــ يشير الى غزو المعتصم لأرض الروم بالخيل البلق وفتحه لعمورّية .

وسُمْ عدوَّ الدين بالخَسْف وكُن مثلَ أبي يُوسفَ ذي التخَبُّق[1]
ردَّ كتابَ مَن دعَاه للوغى منهم مُمزَّقا لِفَرْط الحَنَق
وقال إِنِي لا أُجيب بسوى جَيْش عرمْرَم وخَيْل دُلُق
وضرَب الفُسطاطَ في الحين وقد أحاط جيْشُه بهم كالشَّوذَق
وكان ما قد أبصَرُوا من بأْسِه أبلَغ من جوابِه المُشبَرَق
يا صاحِ واشغَلْ فُسحةَ العُمْر بما يَعْني وزُرْ غِبّا رُسومَ العَيْهَق[2]
وابكِ على ذنب وقلب قد قَسا كالصَّخْر من هواه لم يستفق
بمُقْلة كمُقْلةِ الخنْساء اذْ بكَتْ على صخْر بلا ترفُّق
أو كبُكَا فارِعةٍ على الوَليـد وبُكاءِ خِنْدِف وخِرْنق
أوْ كُن مُتمِّما بُكَا مُتمِّمٍ على الذنوب وارْجُ عفْوَ مُعتِق
وكُن خميصَ البطن من زاد الرِّبا وخمرةَ التقوى اصطَبِحْ واغتَبِق
وحصِّل العلمَ وزِنْه بالتقى وسائِرَ الاوقات فيه استغْرِق
وليكُ قلبُك له افرغَ من حَجَّام ساباطَ ومَن لم يعشق
ولا تكُن من قوْم مُوسَى واصطَبِرْ لكَدِّه وللملالِ طلِّق
فالعلمُ في الدنيا وفي الاخرى له فضلٌ فبشِّر حِزبَه شرّا وُقي
واعْنَ بقول الشعر فالشعرُ كما لُ للفتى ان به لم يَرْتَزِق

---

١ – أي الترفع ويريد به يعقوب المنصور الموحدي .
٢ – أي اللهو .

والشعرُ للمجد نِجادُ سيفِه وللعُلا كالعِقْد فوقَ العنُق

ولمحمد بن الطالب اليعقوبي الشنقيطي من ميميّته التي عارض بها ميمية حُمَيْد بن ثَوْر الهِلالي :

أرانا لِصَرْف الدهر صَرْعَيْن[1] مُقْعَصاً
فَمُضْمىً ومُنْمىً إن تَخَطَّاه أهْرَما

وما مات مَن أبقى ثناءً مخلّدا وما عاش مَن قد عاش عيشا مُذمَّما
وما المجدُ الا الصبر في كل موطن وأن تَجْشُم الهولَ العظيم تكرُّما
وما اللؤم الا أن يُرى المرء غابِطاً لَئيماً لمالٍ في يدَيْه إن اعْدَما
فذاك الذي كالموت في الناس عيشُه ومَن عدَّ مالاً ماله كان ألأَما
وما الدهر الا بيْن لينٍ وشِدّة فمَن سُرَّ مسْياً فيه أصبح مُرغَما
وما الحزم الا مِرَّةُ النَّفس تُقتنَى لشدته من قبل أن تَتَحكَّما
وما العجز الا أن تلين لِمَسِّها فتضْجَر من قبل الرخاء وتَسأَما
وليس الغنى الا اعتزازُ قناعة تُجِلُّ أخاها أن يُذَلّ ويُشتَما
وما الفقر الا أن يُرى المرءُ ضارِعاً لنكبة دهر قد ألمَّ فيقحما
وخيرُ الرجال المُجتَدي سيبُ كفه وأجرأُهم عند الكريهة مَقْدَما

---

[1] ــ اي ذوى حالين : اما مصاب مقتول واما موفر مبقى .

وشر الرجال كل خَبّ مُرامِقٍ اذا ما دَعا الداعي لأمر تلَعْثَما

تجنَّبْ صِحابالسوء ماعشتَ انهم لَكَالجرْب يُعْدِينَ الصَّحيحَ المُسلَّما

وراعِ حُدودَ الله لا تتعدَّها وصغِّرْ وعَظِّمْ ما أَهانَ وعظَّما

وَراعِ حُقوقَ الضيف والجار إنّه لَعمرُكَ أَوْصى أن يُبَرّ ويُكرَما

وان جَهِلَ الجهالُ فاحلُم وربما يكون عليك العارُ أَن تَتحلَّما

وبالحسَن ادْفَع سيئاً فاذا الذي يُعاديكَ كالمَولى الأَحَمِّ وأَرْحَما

ولا تقرَبَنَّ الظلمَ والبغي فاطَّرِحْ فغِبُّهما قد كان أَردَى وأَشأَما

وما اليُمْن الا البِرُّ والعدلُ والتقى وما الشؤم الا أن تَخونَ وتأْثَما

المدحُ والتهنئةُ والاستعطاف

لابن الزَّيتُوني من قصيدة في المعتضِد بن عبَّاد يَستنْجِزُه :

سفينةُ الوعدِ في بحرِ الرَّجا وقفَتْ فامنُنْ بِريحٍ من الإنجاز يُجْرِيها

وللقاضي ابي الحسن بن زِنْباع يُخاطب الفتحَ بنَ خاقان :

هوًى مُنجِدٌ يلقَى به الليلَ مُتْهِمُ يُصرِّح عنه الدمع وهو يُجَمْجِمُ
يَبيتُ يُداري أَوْ يُدارِيءُ ما به ويَغْلِبُه امـرُ الهوَى فيُسَلِّم
لأَجْفانِه من كل شوْقٍ مُؤرِّقٌ ومِن أَيْنَ للمُشْتاق شيء يُنَوِّم
وليس الهوى ما الرأيُ عنه مُزَحْزِحٌ ولكِنَّهُ ما الرأيُ فيـه مُقَحَّمُ
وأَعذَرُ أهل الحب كلُّ مُدلَّهٍ يَرى أنَّ مَن يُهدي له النصحَ أَلْوَم
وأَجلَدُ ابنـاءِ الزمـان مرزَّأٌ يُقاسِي خُطوبَ الدهر وهو مُتيم
ويَصعُب حملُ الهمّ والهمُّ مفردٌ فكيفَ تَرى في حَمْله وهو توْأَم
ولولا أَبو نصْرٍ ولَذَّاتُ أُنسِه تقَضَّت حياتي كلُّها وهي عَلْقَم

فتىً فتَح اللهُ المعارفَ باسْمِه ... ومن دونها بابٌ من الجهل مُبْهَم
تأخَّر في لفظ الزمـــان وإنَّه ... بِمَعْناه في أعبـــائه مُتقدم
أتوْا بالمعاني وهي دُرٌّ مُنظَّم ... وجاءَ بِها من أُفْقها وهي أَنجم
وما يَستوي في الحكم راقٍ وغائِصٌ ... لقد نالَ أسنى الرُّتبَة المُتَسنِّم
إليك أَبا نَصْر بَديهةَ خاطرٍ ... تَوالَى عليه الثِّقْل وهْو مُقَسَّم
أَهبتُ بِهِ للقول وهْوَ لِمَا بِه ... فلَبَّى ولم يُسْعِدْه نُطق ولافَمُ
وكم مِصْقَع لا يَرهب القول فعلُه ... ثَنَتْه خطوبٌ ما انثنت وهْو مُفْحَم
ولو لم يكُن إلَّا وَداعُك وحْدَه ... لأَشْفَق منه يَذْبُلُ ويَلَمْلَمُ
فما يَصْنعُ الانسانُ وهْو بِفَهْمه ... يُحِسُّ بأشتات الامور ويَفْهَم
وقد كُنتَ تُشْكِيني من الدهر دَائباً ... فقد صِرتُ أَشكُو منكَ ما أنت تعلَم
عليك سلامٌ تَسْحَبُ الريحُ ذَيْلَه ... فيَعْبَق منه كلُّ ما يُتنَسَّم
وان لم يكُن الاّ وَداعٌ وفُرْقةٌ ... فانَّ فؤادي قَبلك المُتقَدِّم

ولابن حَبُّوس يمدح عبد المؤمن وقد حلَّ بالرباط :

أَلاَ أيُّهذا البحرُ جاوَرك البحرُ ... وخيَّم في أرجائك النفع والضرُّ
وجاشَ على أمْواهِك العقلُ والحِجا ... وفاضَ على أعطافِك النهيُ والأمر
وسال عليك البرُّ خيلاً كُماتُها ... اذا حاولت غزْواً فقد وجب النَّصر
لعلك يُطغِيك اشتراكُ سمعتـه ... فذلك بحرٌ لا يُشاكِلُه بحر

فأنتَ خديمُ الشمس والبدرِ عُنوةً وتخدُمه في أَمره الشمسُ والبدر
ويحْويكَ شطرُ الأَرضِ تعمُرُ بعضَه وفي صدْره الأَفلاكُ والبَحر والبَر
وقد وَسِعَ الأَيام جوداً ونَجْدةً وليس لما تأتي به عنده قَــــدْر
وما لك مِن معنىً تُشارِكُه به سوى خُدَعٍ في النطقِ زَخْرَفها الشِّعر
وما لكَ من شيءٍ يُشير الى التي تَفُوهُ بها الا السَّلاطَةُ والهَذْر
وليس اشتراكُ اللفظ يُوجِبُ مَدْحَةً
ولكِنَّه إن وافَقَ الخَبَرَ الخُــبْرُ

وله فيه لما فتح مدينة بجاية وهي النَّاصِرية :

مَن القومُ بالغَرْب تُصْغِي الى حـــديثِهمُ أُذُنُ المشْرق
جروْا والمنايَا الى غـــايةٍ فلم يَسْبِقوهـــا ولم تَسْبقِ
بِأَيْديهمُ النـــارُ مشبوبــةً فمهما تُصِبْ باطـــلًا تُحْرق
يقـــودُهُمُ مَلِـــكٌ أَرْوَعٌ تَفــرَّد بالسُّؤْدَدِ المُطْلَق
تخــيَّره اللهُ مـــن آدمٍ فمَا زالَ مُنحـــدِراً يرْتَقي
الى النـاصرية سِرْنا معــاً ولَّمــا تفُتْنــا ولم تَلْحق
إلى بَرْزَةٍ في ذُرَى أَرْعَــنٍ تَجِـــلُّ عن السُّورِ والخَنْدق
يعوذُون منَّــا بِمَــوْلَاهُمُ ومــولاهُمُ عــاذَ بالزَّوْرَق

وأكْسَبَهُ خوفُه رِقّةً فلو خاضَ في البحر لم يَغْرق

ولأبي العباس الجَرّاوي يهنىء يوسف بن عبد المؤمن بفتح :

عن أمرِكُم يتصرَّفُ الثقلان وبِنَصْرِكُمْ يتعاقَبُ المَلَوان
وبما يسُوءُ عدوَّكُمْ ويسرُّكُم تتحرَّكُ الأفلاكُ في الدَّوَران
جاهَدتمُ في الله حقَّ جِهاده ونهضتُم بِحِمايةِ الإيمان
وتركتمُ أرضَ العِدا وقلوبُهم في غاية الرَّجفان والخفَقان
وغزاهمُ الدينُ الحنيفيُّ الذي كُتِبَ الظهورُ له على الأديان
كَتَب الإلهُ لكم فُتوحاً في العِدا هذا لها وسِواه كالعُنْوان
هذا مقامُ المصطفى يا فَوْزَ من حازَ النِّيابة فيه عن حَسَّان
مَن يعْرِفِ الرحمن حقّاً يعْتَرِفْ بحقُوقه لخليفة الرَّحمان

وله يهنيه بإبْلاله من مرض :

سَتَمْلِكُ أرضَ مصرٍ والعِراقَا وتجري نحوَكَ الأُمم اسْتِباقا
اذا لم يتَّفِقْ رأيٌ ورأيٌ أفادا في محبَّتك اتفاقا
صفا لك كلُّ قلبٍ غيرُ صافٍ وزَحْزَح عن ضمائره النِّفاقا
وحقُّكُمُ ، وحقُّكُم عظيم لقد حسُنَ الزمانُ بِكُم وراقا
وقد بلغ الوجودُ بكم مُناه وقد أمِنَتْ عصا الدين انْشِقاقا

أَميرَ المؤمنين ومَن عليــــه ... سَنا الإسلام يأْتلِقُ ائتِلاقـا
ويا ملكاً أَحسَّت كل أرض ... الى أَرض أقام بها اشْتياقـا
يحنُّ اليـكَ يومٌ غيرُ آتٍ ... ويشكُو الذاهِبُ الماضي الفِراقا
شكوتَ فأَيُّ قلب غيرُ شاكٍ ... وأَيُّ العيْشِ لم يَمْرُرْ مَذاقا
ولولا عَطفَةُ الإبلال كنّـا ... بنارِ الوَجْد نحتَرِقُ احتراقا

وله يهنئه بالعيد :

شمِلَت ببقائكمُ النعـــمُ ... وسمَت برجائكمُ الهمم
وهَمَتْ دِيَمٌ من راحتِكمْ ... هيهـــاتَ تُساجِلُها الديَمُ
وعنَت لعزائمكم عـــربٌ ... تشقَى بصَوارِمهـــا العَجم
أُسْد تنقـــادُ الأُسْدُ لها ... بُهَم تنقادُ لهـــا البُهَم [١]
حُمِدت شِيَمُ الأَيام بكم ... ولكم ذُمَّت منهـــا الشيَم
بهَرتْ أَنوارُ خِلافَتِكم ... وسماءُ العلم بهـــا عَلَم
فرأَى مَن ليس لـــه بَصرٌ ... ووَعى مَن كان به صَمَم
وأناف المجدُ على زُحَل ... وأَتى بغرائبـــه الكَرَم
أَعيَى البلغـــاءَ مقامُكمُ ... ولو ان مَقالَهـــمُ حِكَم

---

١ ــ جمع بهمة وهو الشجاع الذي يستبهم مأتاه على اقرانه .

أَلعيدُ أحقُّ بتَهْنِئَة فله بِكُمُ فخْرٌ عَمَم
دمتُمْ والكلُّ يلوذُ بكُمْ مِن صَرْف الدَّهر ويَعْتَصِم

وله في يعقوب المنصور عند تقبُّضِه على الثَّائر الجزيري :

قضَى لك اللهُ بالتأْييد والظفَر وبالسعادة في وِرْد وفي صَدَر
آثرتَ في نُصْرة الدين المَسير على طِيب المُقام وبِعْتَ النومَ بالسهَر
مُظفَّر ما لِمَغْرُور يُطالِبُه في الأَرض من مَلْجأ عنه ولا وَزَر
جدَّ الجزيريُّ في إتلاف مُهْجته حتى تورَّط في أُحبولَة القَدر
نارٌ من الفِتْنة العَمْياء أَطفأَها سعدُ الإمام وحدّ الصَّارم الذَّكَر
ما زالَ إبليسُ في الأَقطار يُوقظُها وتَرْتَمي من شِرار الخَلق بالشَّرر
زاد الشقيُّ على الخُفَّاشِ مُشْبِهِه ضُعْفَ البَصيرة إذ ساوَاه في البَصَر
جارَى إلى سقَرٍ أَصحابَه فهَوَوْا فيها سِراعاً ووَافاهم على الأَثَر
إنَّ الذي اتخَذ الأَهواءَ آلِهَةً على الضَّلال مُصِرٌّ غير مُزْدَجِر
والوعظُ في النَّاس مقبولٌ ومُطَّرَح كالخطِّ في الماءِ أَو كالنَّقْش في الحَجر

وله فيه عند إيابه من غزوته الأُولى للأَندلس :

إِيابُ الإمام حياةُ الأُمَمْ تَوالَى السُّرورُ به وانتظمْ
وجادَ به الأَرضَ صَوْبُ الحَيا وجلَّى الظلامَ به بدرُ تَمّ

فشُكراً لِخَيْلٍ وفُلْك دَنَتْ ... بِمُستأصِل الظُّلم مَاحِي الظُّلَم
إذا حَــلَّ في بلدةٍ أمرعَتْ ... فطاب جَناها وفاحَ المَشَمّ
وقامَ بأقطارِهـــا عَدْلُه ... وصَوْبُ نَداهُ مقامَ الدِّيَم
إذا الخطْبُ جيَّشَ نحوَ الوَرى ... تَصدَّى له عزْمُه فانهزَم
سلِ الدهرَ عن بطْشِه بالعِدا ... تُجِبْ من وراء الدُّروب العَجَم
فتُوحٌ عِظامٌ جَناها الزَّمـــانُ ... لِذي هِمَم دُونَهُنَّ الهِمَم
نصيحَتُكم يا مُلوكَ الوَرَى ... نَصيحَةَ مَــن ليس بالمُتَّهم
أنيبُـــوا اليــه ولُوذُوا بــه ... تفُوزُوا وألقُوا اليه السَّلَم

وله فيه بمناسبة استقلاله من مرض :

بُرْءُ الامام حياةُ الخلق كلِّهم ... عمَّ السرورُ بـه وانثالت النعمُ
شكَا فلا مُقلَةٌ إلا أضرَّ بها ... سُقْمٌ ولا قَلْبَ الا شفَّه ألم
تجهَّم الدهرُ لّما أن شكا وبَدا ... بِبُرْئِه وهو طَلْق الوَجْه مُبتَسم
صحَّت بصحته الآمالُ وانتعشَتْ ... وزاحمت زُحَلًا في أُفْقه الهِمَم
أفاضَ عدلًا على الدنيا وألبَسها ... نوراً فلم يَبْق لا ظُلْم ولا ظُلَم
وبثَّ في كل إقليم هُدًى ونَدًى ... فليس يوجد لا جهْل ولا عَدَم

لولا سياسته ما كان ملتئماً شعثٌ ولا كانت الأسباب تنتظم
والله يختص أقواماً برحمته تجري بحكمته الأرزاق والقسم
حاطَ الإلهُ لنصر الدين مهجتَه وعوفيت تلكمُ الأخلاق والشِّيَم

والامير سليمان الموحدي يخاطب المنصور عند وفود العرب والغزّ من بلاد المشرق عليه وكان هو بحال هَجْر فرضي عنه وقرَّبه :

يا كعبةَ الجود التي حجّتْ لها عَرَبُ الشآم وغزُّها والدَّيلَمُ
طُوبى لمن أمسى يطوفُ بها غداً ويحلّ بالبَيْت الحرام ويُحرِم
ومن العجائب أن يفوزَ بنظْرة مَن بالشآم ومَن بمكّة يُحْرَم

ولميمون الخطّابي في مدح سيد الوُجود :

حَقيقٌ عَلَيْنا أن نُجيبَ المَعاليا لِنُفْنِيَ في مَدْح الحَبيب المَعانيا
ونَجْمعَ أشتاتَ الأعاريضِ حِسْبَةً [1]
ونَحْشُر في ذاتِ الإلهِ القَوافيا
ونَقْتدَّ [2] للأشعار كلَّ كتيبةٍ لنَصْر الهُدى والدِّين تُرْدى الأعاديا
فألْسَنُ أربابِ البَيان صَوارِمٌ مَضَارِبُها تُنْسي السُّيوفَ المَواضيا

---

١ ـ اي احتساباً واخلاصا لله .
٢ ـ اي نقود .

لِنُطْلِعَ من أَمداح احمدَ أَنْجُماً تلوح فتَجلُو من سَناه الدَّياجيا
كَواكِبَ إيمان تلُوح فيَهْتَدي بأَنْوارها مَن بات يُدْلِجُ سَارِيا
سَهَوْتُ بِمَدْح الخَلْق دَهراً وهذه سُجودُ لِجَبْري كلَّ ما كنتُ ساهيا
فلا مَدْحَ الا للذي بِمَديحِه تُطيعُ اذا ما كُنتَ بالمَدْح عاصيا

***

رسُولٌ بَرَاهُ الله من صَفْو نُوره وأَلْبَسَه بُرْداً من النُّور ضافيا
وما زال ذاكَ النورُ من عَهْد آدمٍ يُنيرُ به اللهُ العصورَ الخواليا
ثَوى في ظُهورِ الطيِّبين يصونُه وَديعةَ سِرٍّ صَار بالبَعْث فاشِيا
وخَصَّ بُطونَ الطيِّبات لِحَمْله لِيَحْمِل فَرْعاً للسيادة زاكيا
به وَزَنَ اللهُ الخلائِقَ كلَّهم فأَلفاهُ فيهم رَاجِحَ الوَزْن وافيا
وأَنقذَنا مـن نَاره بِظُهوره ولوْلاه كان الكلُّ بالكُفْر صاليا
وآدَمُ لمَّا خافَ يُزْري بذَنْبِه توَسَّل بالمُختار لله داعيا
فتابَ عليه اللهُ لمَّا دعَا به وأَدْناه منه بعدَ ما كان نائيا
وقد يهجُر المحبوبُ في حالَةِ الرِّضا ويَأْبَى الهَوى أَن لا يُصدِّق واشيا
(وعينُ الرِّضا عن كُلِّ عيبٍ كَليلةٌ ولكنَّ عَينَ السُّخْطِ تُبْدي المَساوِيا)
وأَدرَكَ نُوحاً في السفينة رَعْيُه فخَلَّصَه إذ كان فى الموجْ جارِيا
وما زَال سامٍ وهْوَ ثَاوٍ بظهْره على أَخَوَيْه بالفضائل سَامِيا

فخُصِّص حتى بالمكان كرامةً وأُسكِن في أعلى البلاد مَراقيا
فأُنزِل حامٍ بالجَنُوب مُجانبا ويافِثُ في أقصى الشّمال مُواريا
وأُنزِل سامٍ للفضيلة وَحْدَهُ بأوسَط مَعْمُورِ البلادِ الأعاليا
وبادَر جبريلُ الخليلَ لأجله لِيَحْمِيَه اذْ أبصَر الجمْرَ حامِيا
ويَخبُر في وقْتِ البَلاء يَقِينَه فصادفَ وِرْدَ الخُلّة العذبَ صافيا
فقال له هل تسأَلنَّ كِفايةً فجَاوبه حسْبِي بِرَبِّي كَافيا
فكانت عليه النَّارُ بَرْداً كما أتى بِه وسلاماً وهْيَ نَارٌ كَما هيا
وجازَاهُ في الإسْرَاء عنها نَبِيُّنا وأَلْهَمَها فوقَ السماوات سارِيا
فلما انتهى جبريلُ عند مَقامه بِحيْثُ يَرى نوراً وحُجْباً عَواليا
أشارَ على المختار أنْ سِرْ فإنّه مَقامي فلا اعْدُوه ما دمتُ باقيا
فنَاداهُ يا جبريلُ هل لكَ حاجةٌ إلى الله فأسأَلْها لِتُعطَى الامانيا
فقال له سَلْه لأَبسُط رغبةً على النار منّي للعُصاة جَناحيا
فدُلِّيَ في أُفُق المَهابه رَفْرَفٌ وزُجَّ بُراقُ العِزّ في النُّور رَاقيا
ومن أجْله خُصَّ الذبيحُ فِداءَه وفي ظَهْره المختارُ أصبح ثاويا
فَداه بِذْبح عظَّم اللهُ شأنه لأنْ كان دهراً في الفرَادِيْس راعيا
وثنّى بعبد الله حامِل فضْلِه فكان بذاكَ الفرْع للأَصْل واقيا
لِذلك ما قال الرسولُ مُنَبِّها أنا ابنُ ذَبِيحَيْها يعُدُّ المعاليا

وعفَّ ابُوه اذْ دعتْه لِنفْسها فتَاةٌ رأتْ نورَ النُّبوءة ضَاحيا
مضَى ولذاكَ النُّور بيْنَ جَبينه شعَاعُ سَناً يُعْشِي العُيون الرَّوانيا
فأعرَضَ عنها ثم سَارَ لشأْنه وكانَ له الرحمانُ بالحفْظ واقيا
وعادَ وقد أدَّى امانةَ ربِّـه لأُمَّتِـه وعْداً منَ الله ماضِيا
ومرَّ على حيٍّ الفتاة فنُودِيَتْ هَلُمِّي تُصادِفْ لوْعةَ الحُب رَاقيا
فقالتْ لهُم قد كانَ ذَلِك مُدةً لأَمْرٍ عصَيْنَا في هَواه النَّواهيا
اردتُ بان أعطَى سَناه وقد مضَى لَعَمْري به مَن كانَ بالحق قاضِيا
وكم طالبٍ ما لا يُنَال وقاعدٍ سعادتُه تُبدي له السُّؤْل دانيا

***

وكَم شاهدتْ من آيةٍ امُّه به يَصيرُ بِها جِيدُ الديَانة حالِيا
رأتْ في مَعاليه مَرائِيَ جَمَّةً وصدَّقت الاثارُ منه المَرائيا
وقيل لها بُشراكِ فزتِ بخَيْر من يُرى فوقَ أكنافِ البسيطة ماشيا
وحفَّت به الاملاكُ في حين وَضْعه بليْلةِ إفْضالٍ تَزِينُ اللياليا
وبشَّر رضوانُ الجِنانَ بخَلْقه ففَتَّح جنَاتِ النعيم الثَّمانيا
ونادَى مُنادي العزِّ طُوفوا بأحمدٍ جهاتِ الدُّنا طُرّاً وعُمُّوا النواحيا
بَدا واضِعاً كفَّيْه بالارض رافعاً لِعَيْنَيْه نحوَ الأُفْق بالطرْف ساميا
وأعْوَلَ ابليسُ اللَّعِينُ وقال قد يَئِسْتُ وقِدْماً كنتُ للكُفْر راجيا

وسار الى صَنْعاءَ شيْبَةُ جَدُّه فحل محلاًّ للوفـادة تَاصيا
وحيَّا بغُمْدانَ ابنَ ذي يَزَنٍ بها وهنَّـأه بالمُلْك اذ عـاد واليا
فقرَّبه دون الوُفود وخصَّه لِيَسْمع قولاً في الرِّسالة شَافيـا
وقـال له انـا وَجدْنـا بكُتْبنا نَبياً يُرى في نحو أَرْضِك دانيـا
يمُوتُ أَبـوه ثمَّ تهلِكُ امُّـه ويكفُلُه بعضُ العُمُومَةِ كافيا
وقال له والبَيْتِ ذي الُحجْبِ زارَه وُفودُ الوَرى جابُوا اليه الفَيافِيـا
لأَنتَ على ما يَقْتَضِي الوعدُ جدُّه فَشيِّدْ به للمَجد ما كنتَ بانيا
وقال له احفَظْ ما اقولُ فانَّه سيَمْلِكُ ارضي اذ أرى المُلْكَ واهيا
وَقوْلُ هِرقلٍ اذا أَظلَّ زَمانُه يقولُ أَرى مُلْكَ الخَتان مُوافيـا
وطالَع فيه مُصْحَفَ الأُفْق ناظِراً كما زعَمُوه يَسْتَشيرُ الدَّراريا
فلم تَنقَضِ الأَيامُ حتى أَتى له كتابُ رَسُول الله للحَقِّ داعيـا
فبَاحَث عنه اهلَ مكَّة سائِلاً وكانَ بأَوْصافِ النُّبُوءَة داريا
ولبَّى الُهدى لمَّا دعَاه جَماُله وهَـام قليلاً ثم أُلفِيَ سالِيـا
ووِرْدُ الرِّضى لا يَهْتَدي لسبيله فَيَرْوى به مَن كان في البَدْءِ صاديا
وإيوانُ كِسرى اهْتزَّ ليلَةَ وَضْعِه وباتَ عليـه قصْره مُتداعيا
وزادَ بِرُؤْيا المُوبَذَان[1] ارْتياعُه فأَذْهَلَه أَن يَسْتَبِين المساعيـا

---

[1] ـ الموبذان عند الفرس هو القاضي الكبير ورؤياه مذكورة في كتب السيرة.

وفسَّرها شِقٌّ[١] وشَقَّ غُبارَه سَطيحٌ بسَجْعٍ قَصَّ ما كان رائيا
فَنَصَّ على إرْسالِ احمَدَ مُثْبِتاً لدينِ الهُدى بالرغم للكُفْرِ ماحيا
وأُخمِدَت النيرانُ نيرانُ فارسٍ وكانت تَلَظَّى الفَ عامٍ تَواليا

***

وحُمِّل ذاكَ الحِلْمُ حِجْرَ حَليمَةٍ لِتُرْضِعَه دَرَّ الفَضائل صَافيا
أَبى حملَه النِّسوانُ لليُتْمِ وانبرَتْ له فرأَتْ من حينها الرِّزْقَ ناميا
فحازَتْ به السبقَ الأَتانُ[٢] كرامة وأَخصَب مرْعاها ففاق المَراعيا
وشارِفُها[٣] اذ لا تبِضُّ بقَطْرة فصارت به ثَجّاً تُرَوِّي الصَّواديا
وفي حَيِّها وافاهُ جبريلُ قاصداً وأَقبَل مِيكائِيل بالأَمرِ تاليا
فشَقَّا به صَدْرَ النبي لِشَرْحه فكان لِما يُلْقى لهُ اللهُ واعيا
وردَّه في الحين الْتِئَاماً فما تَرى سِوى أَثرٍ ما زال للشَّرْحِ باقيا
وجَاءَا بمَنْديلٍ وطَسْتٍ ليَغْسِلا بماءِ الرِّضا قلْباً عن الله راضيا
وعادَ أخوه[٤] فازِعاً مُخبِراً بما جَرى من مَخُوفٍ كان للأَمرِ جاريا

---

١ ـ شق وسطيح من كهان العرب ، وقد فسرا رؤيا الموبذان بظهور النبي العربي .

٢ ـ يعني أتان حليمة .

٣ ـ الشارف الناقة المسنة .

٤ ـ يعني من الرضاعة .

فسارَتْ به من حينه نحو أُمِّه   تَخافُ عليه إن أَقام العَوادِيا

وما زال مَحْرُوساً أَميناً مُؤَمَّناً   سَبُوقا صَدوقاً سامِيَ القَدْرِ عاليا

حَيِيّاً وَفِيّاً خاشِعاً مُتَواضِعاً   كَرِيماً حَليماً يَسْتَفِزُّ الرَّواسِيا

وفي سَيْرِهِ للشَّام شـامَ بقُرْبه   بُروقَ الُهدى مَن لم يكُن قط رائيا

أَكَبَّ عليه في طريق مَسيره   بِدَيْر بَحيرا [١] للُهدى مُتَرامِيا

ولمَّا رأَى تلكَ العلامَةَ لم يَزَلْ   لِما وافقَ الكُتْبَ القديمَة باكيا

وكانتْ به مِن عِلَّة الشَّوق غُلَّةٌ   فساقَ له منها الطبيبَ المُداوِيا

وقِصَّتُه في ذا المَجاز وعمُّه   به ظَماٌ قد صيَّرَ الصبرَ فانِيا

فأَهْوَى ولا ماءٌ إلى الأَرض راكِضاً   ففجَّر يَنْبوعاً من الماءِ جارِيا

وكم بانَ مِن يُسْرٍ لِمَيْسَرةٍ [٢] بهِ   يَرُدُّ أَخا سُكْرِ الغَوايةِ صَاحِيا

فكان إذا اشْتَدَّ الهَجيرُ أَظلَّه   غَمامٌ علَيْــه لا يَزالُ مُماشِيا

وأَخبَره نسطورُ بُصْرى [٣] بِبَعْثه   فأَظهَر مِن غَيْب الرِّسالة خافيا

* * *

وبُغِّضَت الاصنامُ للمصطفَى فلَمْ   يَزَلْ هاجِراً فِعْلَ الضَّلالَة قالِيا

---

١ ـ هو راهب نصراني رأى النبيّ ﷺ في رحلته الأولى إلى الشام فعرفه بعلامة النبوّة .

٢ ـ هو غلام خديجة وكان صحبه (ص) في سفره بتجارتها الى الشام .

٣ ـ هو راهب نصراني آخر ، رأى النبي (ص) في سفره الثاني للشام فبشّر ميسرة ببعثه

وكان يَرى ضوءاً يلوح لِعَيْنِه ويسمَعُ تسْليما عليـــه مُحاذِيا
ويأتي حِراءً للتحنُّث قاصِداً مُحباً لأَسباب الوِصال مُراعيـاً
ويخرُجُ من بيْن البُيوت لعلَّه يُحدِّث عنه النفسَ في السِّر خاليا
وكان رآه اللهُ أكرمَ خَلْقِه فأرسلَه بالحق للحق هـــاديا
وأسرى به ليلًا الى حَضْرة العُلا فما زَالَ فيها للحبيب مُناجِيـا
وسارَ على ظهْر البُرَاقِ كرامَـةً له رَاكباً اذ سار جِبْرِيلُ ماشيا
ولما أَتاهُ الوَحيُ وارتاعَ قلْبُـه لِشدَّة مـــا قد كان منه مُلاقيا
فسارتْ به عمْداً خديجةُ زَوْجه لتسأل حبْراً بالزمانـــة فانيا
وكان امرأً قد مارَس الكُتْبَ قارئاً وباتَ لضِيفانِ المعارف قاريـا
فبشَّره أن سوفَ يطلُع صبْحُـه فيكْشِفُ من لَيْل الغَواية داجيـا
وقال له يا ليتَني كنتُ حاضِراً بها جَذعاً أُوليك نَفسي وماليـا
ووَقْتُك إن يُدرِكْ زَماني يومُه ومَن لي بِه أَنصُرْك نصْراً مُواليـا

* * *

وآيَتُه في الغار اذْ نزَلا به وكان له الصِّديقُ بالصدق ثانيـا
وقد أرسلَ اللهُ الحمامَ وشيَّدتْ من النَّسْج أيدي العنكبوت مبانيا
فدافَـعَ عـن صدِّيقـه ورَسُولِه بأَضْعَف أَسبابِ الوُجود مُقَاويا
وكم آيةٍ خصَّت سُراقَةَ اذ مشى على أَثَر المُخْتار للغار قَافيـا

فشاهَدَ آثاراً من الخسف كاد أن	يكون لقارون السِّفاهِ مُواخيا
ولما دعــا بالهاشِميِّ أجارَه	فأبصره في الحِين مِن ذاك ناجيا
وأصحبه منهُ ظهــيراً مُكرَّماً	بخطِّ أبي بكرٍ يُخيفُ الدَّواهيا
وأخبرَه أن سوْف يفتح أمرُه	مدائنَ كِسْرى والبلادَ الأقاصيا
ويُجعَل في كفَّيْه من بعد فتْحها	سِوارَاه ممَّا يُحْرِزُ الدِّينُ ساميا
فأخَّرها الفاروقُ في حين فتْحها	له عِدَةً بالصــدقِ فيها مُباهيا
وآيتهُ في خيْمَتَيْ أمِّ مَعْبَدٍ	وفي الشَّاة اذ لم تبْقَ تَصحبُ راعيا
وفي الذِّيب اذْ أقعى وأخبرَ مفْصِحاً	عن المصطفى والذيب ما زال عاوِيا
وفي الضَّبِّ لمَّا أن دَعاه أجابه	وقال له لبَّيْك لبَّيْك داعيا
وآيته اذ فارَق الجِذْعَ فضلُه	فحنَّ اليه الجِذْعُ بالحال شاكيا
وإنَّ انْشِقاق البَدْرِ أعظمُ آية	تدلُّ على مَن كان للدِّين راويا
وفي الجمَل الآتي بحَضْرة صَحْبه	لِيَشكوَ تكليفَ المشقَّة راغيا
وقِصَّتُه في المَحْل لمَّا دعا لَهُمْ	فأبصَرْت سُحْباً كالجِبال هَوامِيا
وسالَ به وادي قَنـاةَ لأجْلِه	ثلاثين يوماً لم يزل مُتَواليا
وفي قصَّة الزَّوْراءِ للخَلْق آية	وذِكْرى لعِبدٍ كان للذكر ناسيا
دعا بإناءٍ ليس ينْقَعُ ماؤُه	لِقلَّته بالريِّ مَن كان صــاديا
ففاضَ نَمِيرُ المــاءِ بين بنانِه	وكان وُضوءاً للكتيبَة كافيا

وركوته يومَ الحُدَيْبِيَّة التي أفاضَ بها الله ٱلْبنانَ سَواقِيا

وإشباعه الجمَّ الغفيرَ بقَبْضَةٍ من التَّمْر حتى شاهَدُوا التَّمْرَ باقيا

وإخبارُه بالشيْءِ من قبلِ كوْنِه فياتِي على النصِّ الذي قال حاكيا

فأخبر ذَا النُّوريْن أَنْ سَيُصِيبُه على الامرِ بَلْوى تُعقِبُ الامرَ واهيا

وأخبرَ عمّاراً بأن حيـاتَـه سيَقْطَعُها بالقَتْلِ مَن كان باغيا

وقال لذِي السِّبْطَيْن أَشْقَى الورَى الذي سيَخْضِبُها مِن هَامَـة الرَّأْس داميا

يُصادِفُ نورَ الشيْب أبيضَ ناصِعا فيَسْقِيه صِرْفُ الحَتْف احمرَ قانيا

ونصَّ على السِّبْط الشهيدِ بكَرْبلا فقام له الدينُ الحنيفيُّ ناعيـا

وفي الحسَن الزاكِي أَبانَ بأَنـه سيُصْلِـحُ بَيْنَ الناس للأَجرناويا

وقال لقومٍ [١] ان آخِرَكُم بها مَماتاً سيصْلَى فاحِمَ الجمر حامِيا

وقال اذا ما مَاتَ كسْرى فما تَرى سَمِيّـاً له أُخرَى الليـالي مُسامِيا

وأخبرعن موْتِ النَّجاشيِّ حِينَه وبينَهما مَوْجٌ من البحر طاميا

وقال على قُرْب الحمام لبنْتِه تَمُوتين بَعْدي فافرَحي بلقائيا

وآيته جلَّتْ عن العـدِّ كثْرةً فما تبلُغ الاقوالُ منها تَناهيا

---

١ – يعني من الصحابة : آخرُكم موتاً في النار ، فكان بعضهم يسأل عن بعض وكان سَمُرَةُ بنُ جُنْدُب آخرَهم موتاً ، اصطلى بالنار فاحترق .

وأَعظمُها الوحيُ الذي خصَّه به فبلَّغ عنه آمراً فيه ناهيا
تحدَّى به أهلَ البيان بأَسْرهم فكلُّهم أَلفاه بالعَجْز وانيا
وجاءَ به وحْياً صريحاً يَزيدُه مرُورُ الليالي جِدَّةً وتعاليا
تضمَّن أَحكامَ الوُجود بأَسْرِها وعمَّ القضايا مُثْبِتاً فيه نافيا
وأَخبرَ عما كان أَو هو كائِنٌ يُرى ماضِياً أَوْما يُرى بعدُ آتيا
ووافَق أَخبارَ النبيئين كلِّهم وتَمَّمَ بالغايات منها المبَاديا
وما كتَبتْ يُمناه قطُّ صحيفةً ولا رِيءَ يوما للصَّحائف تاليا
عليه سلامُ الله لا زَال رائحاً عليه مَدَى الأَيام حقًّا وغَادِيا

ولمالك بن المرحل يهنيء المنصورَ المريني بفتح مراكش :

فتحٌ تبسَّمت الاكوانُ عنه فَما رأيتَ أملَحَ منه مَبْسِماً وفَما
فتح كما فتَح البستانُ زهرتَه ورجَّع الطيرُ في أَفنانه نَغَما
فتح كما انشقَّ صبحٌ في قميص دُجىً
وطرَّفَ البَرقُ في أَرْدَانِه علَما
اضحت له جنةُ الرضوان قد فُتِحت أَبوابُها وفؤادُ الدين قد نَعِما
الحمدُ لله هذا ما وُعِدْتَ به يا خيرَ مَن وَلِيَ الدنيا ومَن حَكما
لن يُخْلِفَ اللهُ وعدًا كانَ وَاعِدَه
فاشكُرْ يضاعِفْ لك الحَظَّ الذي قُسِما

بفتْح مرّاكُش عمَّ السرورُ فما يكَابِدُ الغَمَّ الا قلْبُ مَن ظَلما
حبا بها اللهُ مولانا الاميرَ كما حبا أباه فأسْنى فتْحُهـــا لَهُما
فلم يزل سعْده المألوفُ متّصلا بسَعْد والِـــده المنصورِ مُنتظما
فدولةُ الدين والدنيا قد اختلَفتْ في الفتح والنصر والتأييد بَيْنهما

أفاقَت الارضُ من نـــوم بها وصَحَتْ
وأصبحَت وهْيَ تَلْحِي السُّكْرَ والحُلُـــما

لما رأتْ رايةَ السلطان قد رُفِعَت في أفْقِها قَرعَتْ اسنانَها ندمـا
فاسْتقْطَفَتْ منه قوْلًا من سَجيَّته أن يحقِرَ الذَّنب والعُوارَ إن عَظُما
مِن سُنة الله ان يُحيى خليقَتَه على يَدَيْك وأن يَكْفِيهَا النَّقَما
وأن يُقيمَ بك الاسلامَ من أوَدٍ وأن يُديمَ بك الاحسانَ والنعما

وأن يُقِرَّ عيونَ المسلمـــين وأن
يَشْفِي الصدورَ وان يُبْرِي بـــك السَّقَما

بُشْراكَ يا مالكَ الدنيا وحافظَها فأنت أفضلُ مَن آوَى ومَن رَحِما
إنَّا نسَخْنا مَعالِيكَ التي رأَفت فلم نَر البَأْس فيها بُزَّ للكُرمـا
كما نظَرْنا الى يُمْنَاكَ من كَثب فلم تَرَ السَّيْفَ فيها يُسْلِمْ القَلَما
لله منك مليـــكٌ لا نَظيرَ له لولاكَ كان وُجود الدين قد عُدما
مَلْك بصيرٌ بأدواء الامور له رأيٌ نجيح وطِبٌّ يذهِبُ الأَلَما
عدلُ الحكومة ماضِي العَزْم معتدل كالرِّيح يُمْضي بعَدْل كلَّما عزَمـا

سيفٌ وسيبٌ وعدلٌ بعد مقدُرةٍ وبطْشَةٌ وَأَناةٌ تجمَع الحِكَما

انْ غابَ عنك فان الأُذْن شاهِدةٌ
وان تُشاهِدْه لم ينطِقْ وقد فَهِما

اللهُ أَعطاه عِلْماً من لَدُنْه فلم يحتَجْ الى أَحدٍ في عِلْم مَن عَلِما

ومَن تخيَّره للدين خالِقُه أَعطاه نوراً يُجَلِّي الظُّلْمَ والظُّلَما

سُبحانَ مَن بجَميع الفَضْل أفرَده ومَن حباه السجايا الغُرَّ والشِّيما

فلِلْورى أن يقولوُا عند رؤْيته ما كان ذا بشراً بل مَلَأً كاً كَرُما

مولايَ يهنِيك ما أُعطِيتَ من ظفَر على عِداً أصبَحُوا في حَيْرةٍ وعَمي

وعن قريب الى يُمناك مَرجِعُهم فلا يُجازَى امرُءٌ الا بما جَرَما

أين المفرُّ وخيلُ الله تطلبُهم لا يعصِمُ الله منهم غيرَ من رُحِما

كم من مُصِرّ يُلاقي ما جنت يَدُه وتائِبٍ آئبٍ بالتوبة اعتَصما

أنت الامامُ لبعض السهْوِ تحْمِلُه وبعضُه يُحبِط الاعمالَ والحُرَما

وقد كفَى الله كف الخائنين وقد أقال عثْرةَ من أَخطَآ وقد رَجَما

يا بنتَ فِكْري ضَعِي عنكِ النِّقاب اذا
بلَغْتِ حضْرَتَه ثم انشُري النِّظَما

وذكّرِيه فان الذكرَ منفعةٌ وذاك في مُحْكَم التنزيل قد رُسِما

مِن عبْدِه مالكٍ مملوكِ دولَته على القديم ويرعَى السيدُ القُدَما

ولابي جعفر الجنَّان المكناسي يُهنّي نَقِهاً من مرض :

إِلْبَسِ الصحة بُرْداً قشيباً ... وارشُف النِّعمةَ ثغْراً شَنيبا
واقطِف الآمال زَهْراً نضيراً ... واعطِف الإِقْبال غُصْناً رَطيبا
إِن يكُن ساءك وَعْكٌ تقضَّى ... تَجِد الأَجرَ عظيماً رَحيبا
فانتَعِشْ دهرَك ذا في سُرور ... يُصبِح الحاسدُ منك كَئيبا

وللعلامة ابن هانيء السَّبتي مُراجِعاً أَبا القاسم الشريف عن شعر بعثه اليه من نفس الوَزْن والرَّوي:

لولا مَشيبٌ بفَوْدي للفُؤاد عصَى ... أَنْضَيْتُ في مَهْمَه التَّشْبيب لي قُلُصا
واستوقفتْ عبرَاتي وهْي جاريةٌ ... وكْفَاءَ تدْهَم ربعاً للحبيب قَصا
مُسائلاً عن لياليه التي انتهزَت ... أَيْدِي الأَماني بها ما شِئْته فُرَصا
وكنتُ جاريتُ فيه منْجرى طلَقاً ... مِن الاجادة لم يَجْمَح ولا نَكصَا
أَصابَ شاكلَة المَرْميّ حين رَمى ... من الشَّوارد ما لولاه ما اقْتُنِصا
ومَن أَعدَّ مكانَ النبل نبْلَ حِجى ... لم يَرْض الا بأَبْكار النُّهى قَنصا
ثم انثَنى ثانِياً عِطْفَ النسيب الى ... مدْح به قد غلاَ ما كان قد رَخُصا
فظلتُ أَرفُل فيها لِبْسةً شرُفَتْ ... ذاتاً ومُنتَسَباً أَعْزِزْ بها قُمُصا
يقُول فيها وقد خُوِّلتُ مِنْحتَها ... وجُرِّعَ الكاشِحُ المُغْرى بها غُصَصا

هذى عقائِلُ وافَتْ منك ذا شرف لولا أياديه بِيعَ الحَمْدُ مُرتَخَصا
فقلتُ هلاّ عكَستَ القول منك له ولم يكن قابلاً في مدحه الرُّخصَا
وقلتُ ذي بِكْرُ فِكْرٍ من أخي شَرَف
يُردِي ويُرضي بها الحُسَّاد والخُلصا
لها حُلىً حَسَنِيَّاتٌ على حُللٍ حُسْنِيَّةٍ تَسْتبي مَن حلّ أو شَخَصا
خُوِّلتُها وقد اعتزَّت ملابِسُها بالبَخْت ينقاد للانسان ما عَوِصا
خُذْها أبا قاسِمٍ مني نتيجةَ ذي وُدّ اذا شِيبَ وُدٌّ للورى خَلَصا
جاءت تُجاوِبُ عمَّا قد بعثْتَ به ان كنتَ تأخذ من دُرِّ النُّحور حصَى

ولابن عبد المنَّان في أبي عِنان المَريني حين ظفَره بالثائر أبي مَهْدي :

مُحيَّاك أبهى لا الهلالُ ولا البدر وريقُك أشهَى لا الزُّلال ولا الخمر
ولحظُك أنكَى لا البواتِرُ تُنتَضى وعرْفك أذْكى لا الأزاهِرُ تفْتَرّ
أيا مَلِك القَلْب الذي جارَ في الهوى عليْه ترفَّق رُبَّما وَهَنَ الصبْر
ويا باخِلاً حتى بطَيْف خياله نشَدْتُك هل في الطَّيْف تَبعثُه وِزْر
أعندَكَ أنِّي منذُ أضمَرْتَ هَجْرةً
هجَرتُ الكَرى سُهْداً سوى سِنَةٍ تعْرُو
ولم يُبْق مني السُّقَمُ الا صُبابةً بِحُكم الهوى العُذْرِي عندَ الهوى عُذْر

أَلِفتُ الهوى حتى اسْتلَنْتُ صِعَابَه وحتى تساوَى عندِيَ الحُلْوُ والمر
وقال وُشاةُ الحب: سِحْرٌ أصابَه فهل عِلِموا مِن لَحْظ مَن ذلِك السِّحر
لك الخيرُ هذا نعت حالِيَ جملةً وشرحاً فهل للعَطْف مِن بَعْدِه ذِكْر
بِنَفْسِيَ نَشْوَانُ المَعاطِف عاطفٌ كغُصْن النَّقا كالظَّبْي خامَره ذُعْر
له الوُدُّ مني والخُلوص وعنْدَه تجَنٍّ كما تهوَى الملاحةُ أَوْ هَجْر
ألا إن إِنْعام الخليفةِ فارسٍ لنَا الصفوُ من فَيَّاضِه وله الشكر
مليكُ ملوكِ الارض أوحدُها الذي به علَت العلياءُ وافتخر الفخر
غمامُ النَّدى الهطالِ والجوُّ أغبرٌ وليثُ الفِدا والبِيضُ قانيةٌ حُمْر
اذا ما تراءى البدرُ يوماً ووَجْهُه تحيَّرت الأَبصارُ أَيُّهما البدر
تأخر عصراً في الملوك وإنه اذا عُدَّ املاكُ الزمان له الصَّدر
إمامُ الهدى شكراً على النِّعم التي يَضِيقُ اذا عدَّدتُها العَدُّ والحصر
لك الجودُ تُردي المارقين جنوده باقطارهم من قبل ان تمرَح الشقر [1]
وغاوٍ رنا في هُوَّة الملك قاذفاً به البغيُ والرأي المضلل والغدر
أغار على الدين الحنيف يَهدُّ من قواعده ما شاده القادة الغرُّ
ورام مراماً دونه النجمُ سارياً ولم يدرِ جهلا انها المرتقى الوعر

---

١ - أي الخيل .

وهيهات يأبى اللهُ ذلك والعلى ودين الهدى والملك والبيض والسّمر
جنى ثمر الايمان بالبغي واعتدى يؤمّل جهلاً ان يؤيده الكفر
فيا عجباً بعـــد السعادة ناله شقاءٌ وبعد الربح حُمَّ له خُسر
سعى راشداً شطراً (من العمر) وافراً فلما تناهى السعي واكتمل العمر
عصى الله في الشطر الأقلّ سفاهة ألا انه ذاك الذّراع أو الشبر
ورام غنى بالصفر أو سدَّ خلة وهيهات يُغني فقر ذي الخلة الصُّفر
وأمّل في أعدادهم كتْمَ نفْسه وإضمارها منعاً فأخرجها الجبر
لعلّك عيسى رُمت باسمك برَّهم وما كلُّ عيسى حظُّه منهم البر
دعوتَهم للغدر لمّا تخِــذْته سَبيلًا فقالوا بدْعَةً أمرها إمْرُ
فكانَ النَّصارى منكَ أوفي بِذمَّة وأكرَم عهداً إنَّ ذا لهُو الوِزْر
لئن رمتَ دُنيا أنتَ قاره نُها الذي
له الحرثُ والأنعام والخيلُ والتِّبْرُ
وان كنتَ للأخرى جنَحْتَ - ولم يَكُن -
أعِدْ نظراً ان شئتَ ما هكذا الامر
أوَيْت الى تلك الرُّبا غير صالح فأدركَك الطُّوفان وهو الظِّبا البُتْر
وجُردٌ كأمْثال الرَّوابي سَوابحٌ وغُلبٌ كأُسْد الغاب يقدمُها النَّصر
وسعدُ إمام يخدُم الدهرُ سعدَه وتجري بما يُومِي به الأنْجُم الزُّهر

١ — يعني النصارى وكان هذا الثائر قام بجبل طارق ولعله استعان بالاسبان.

أَلا يا أميرَ المؤمنين الذي اهتَدى بنُور هُداه الباهِر ٱلْبَدْوُ والَحضْر
أطعتَ مليكَ الناسِ ربَّكَ فاغْتدي يُطِيعُكَ فيما رُمتَ مِن أمْرِكَ الدهرُ
وأنتَ الذي جدَّدتَ بعْدَ دُروسِها مكارِمَ قِدْماً كانَ أخلَقَها العَصْر
منَحْتَ فأوْسَعْتَ البلادَ رغائباً ففي كل حَيّ حاتِمُ الجُود أو عَمْرُ
تداعت لك الاملاكُ دُونَك رغبةً ولا نجمَ يُستَهْدَى وقد طلَع الفجر
كأني بأقْطار البلاد مُنيبِهـا ومَن لم يُنبْ قد قادَه الطوعُ والقَسْر
وأنَّس أرْجآ تُونسٍ أمرُكَ الذي
هو العدلُ يُرضِي مَن له الُخلقُ والامر
وجاشَتْ ببطحَاها الُجيوشُ وأصبحتْ
تقُول بنُو العبَّاس قد فُتِحتْ مصر [1]
لَعَمْري لقد زِنْتَ الخلافةَ فاغتدت يُقصِّر عن أوصافها النظمُ والنثر
وراقت بك الدنيا جمالًا وبهجةً فإظلامُها صُبْح وإصْباحُها بِشْر
وأنجمُها حَلْيٌ ونَجْوى نسيمِها ثناءٌ بما تُولي وإيماضُها ثَغْر
ودُونَكَها عذراءَ أجلُو عَرُوسَها عليك ومَرْجُوُّ القبول لها مَهْر
لها نَسبٌ في السِّحْر تعرِفُه النُّهى وان قالت الاسماعُ والدُها الشِّعْر
وهُنِّيت عيدَ النَّحر والفتحَ إنهُ لك العيدُ منه والعِدَا لهُم النَّحر

---

١ — هو تلميح لقول ابن هانىء :

تقول بنو العباس قد فتحت مصر فقل لبني العباس قد قضي الأمر

بقيتَ لدِين الله رِدْءاً وعِصْمةً فما غيرُ عَلْيَاكَ الزمانُ له ذُخْر

وللقاضي أبي عبدالله الفَشْتالي في أبي عِنَان أيضاً :

أَيَا إماماً ندَى كَفَّيْه قد وَكَفا حسْبي اعتصامي بحبلٍ منكمُ وكَفى
وكيف أصرِفُ وجْهَ القصد عن ملِكٍ
ما صدَّ عني سنَا بِشْر ولا صَرفا
ما إنْ شكَوتُ بما أضنى تطلُّبُه الاَّ وَجدتُ بِه لي من ضَناي شِفَا
ولا وقَفتُ عليه مُنتهى أَملي الا قضَى وطراً منه ومَا وقَفا
في كلِّ يومٍ له تجديدُ عارفَة مهْما انقضَت هذه لهذه ائتنَفا
وليس ممَّن يرى انْ لا يُتيحَ يداً حتى يُقام له بِشُكْر ما سلَفا

ولمحمد بن أحمد الشَّبُوكي الفاسي يمدح أبا فارس المَريني ويحرِّضه على الشيخ عامر بن محمد الهَنْتَاتي صاحب جبل هنتَاتَة لَمَّا خرَج عليه بابْن أخيه الملقَّب بالمُعْتمد :

أَبانَ في حبِّهِ ما قال عـاذِلُه دمعٌ جرى فوق صَفْح الخدِّ هامِلُه
فبات من وَطأة التَّفريق ذا وَجَل يستَنْجدُ الصبر عَوْناً وهو خاذِلُه
صبٌّ إذا ما بدا بالرَّقْمتَين له وَمِيضُ بَرْق الحِمى هاجت بلابلُه
يبكي لِمَنْزِل أُنسٍ بانَ آهِلُه وظاعِنٍ عنه قد شطَّت مَنازِلُه
يا حُسْن عَصْر بهم قضَّيْتُه زمَناً رقَّت حواشيه اذ راقت أَصائِلُه

كأنَّ صَوْب دموعي بَعْد بُعْدهم سيْبُ المليك اذا وافاه سائله
عبد العزيز الذي عزَّت بدولته مهايعُ الحق وانجابت دلائله
وأَصْبح المُلْكُ في أَمْن وفي دَعَة من بعد ما كان غالَتْه غوائله
عادتْه بعدَ عناً مِنْه نَضارتُه فعادَ يانِعُــه واشتَدَّ كاهِله
كالرَّوْض باكَره طَلٌّ على ظَماٍ وجـــادَه بعد ذاك الطَّلِ وابله
هو الامام الذي مَن أَمَّ ساحتَه جادت عليه بجَدْواهــا أَنامله
ومن تَخلَّفَ جهلاً عن إجابته سارتْ اليه على عِلْم صَواهِله
قل للذي عنه أَقْصَتْه جرائِمُه وعقَّلته عن العَلْيا مَعاقِله
زُرْ حضرةَ الملك الميمونِ طالِعُه تحظى بما انتَ في دنياك آمِلُه
فطبعُه الصَّفْحُ والمعروف شِيمَتُه والحِلْم والصَّوْن والتقوى شمائله
وابْلِغ جميع العِدا أَنْ سوف يشمَلُهم
من الظُّبا كلُّ ماضي الحـــدِّ فاصله
هذا المليك أَتاهم في كتائبه لِنَسْخ آجالهم تُنْضَى رواحله
بكل خِرْقٍ[1] طويل الباع مُتَّئِد مُقَصِّرٍ عُمْرَ مَن تَلقَى مَناصله
وجَحْفَلٍ فيه سُمْر الخطِّ مُشرَعَةٌ قد حجَّبَتْ أَنْجُمَ الشِّعْرَى قساطِلُه[2]
سيعلَمُ الغُمْرُ عُقْبَى ما جَناه اذا كلَّت مواضيه وانْقَضَّت كلاكِلُه

١ — الخرق : الكريم السخي .
٢ — جمع قسطل ، وهو الغبار الساطع في الحرب .

فانْهَضْ اليهم أميرَ المسلمين فقد أُعطيتَ كلَّ المُنى فيها تُحاوِله
مَنْ ذا ينازِلُ جيشاً أَنت قائِدُه يوم الكريهة أَو مَن ذا يُناضِله
أَلا ترى المائِق الرِّعْدِيد حين عَتَا وأَضْمر المكْرَ صادَتْه حبَائِلُه
ظن الظَّنِينُ بأَنْ يَسْمُو ويَعْلُوَ في دُنيا سَمَتْ وعلت فيها بواطِله
فغادرتْه الصِّعَادُ الزُّرْقُ مُنْجَدِلاً فوق الصَّعِيد تُنَاجيه جَنَادله
دُنياه تضحَكُ من أَحواله عجباً به وفي الحَيِّ تبكيه أَرَامِلُه
فَلْيَهْنِ دِينَ الهُدى من بَعد صَدْمتِه أَن أَنتَ يا ذا المُحيَّا الطَّلْق كافِلُه
لم يَنْتَصِبْ قطُّ في الدُّنيا لِواءُ عُلًى الاَّ ومِن آل عبد الحق حَامِلُه
مولايَ مولايَ دُمْ ماعشتَ مصطحباً عُلًى وفَخْراً وعزًّا لا تُزَايِلُه
إِن سار جَيْشُك فالتَّأْييدُ يقدمـه والنَّصْرُ عاجِله يقْفوه آجِلُه

ولسعيد بن علي الجُزُولي الحامِدي في محمد الشَّيْخ القائم السَّعْدي يذكر انتصاره على العدو بالسواحل الجنوبية .

لله ما غَضْبَةٌ هاجَتْ فما تركَتْ للمسلمين بأَرض الشرك من وَطَر
فَعالُ مُنْتَقِم لله مُلْتَزِم في الله مُعْتَصِم بالله مُقْتَـدِر
رُوح الخِلافةِ قُطْبٌ تَسْتَدِيرُ به رَحى المكارم بين البَدْوِ والحَضَر
زانَ الزمانَ بأَخلاق له شهِدَتْ بأَنَّ أَيَّامَـه للدهر كالغُرَر
ناهِيكَ من شرَف يُنمَى الى حَسبٍ عُدُولُه بَيِّناتُ الْوَحْي والسُّوَر

يا بَهْجة الدِّين والدُّنيا التي بلغَتْ   به العِنايةُ شأْوَ السَّبْعةِ الزُّهر
جمعتَ شَمْلَ المعالي بعد فُرقَتِها   فباتَ ثَغْرُ الفَخار غيرَ مُنْثَغِر

وقال النابغة الهَوْزالي في إبلال المنصور الذَّهبي من مرضِه :

تردَّى اذى من سُقْمِك البَرُّ والبحر
وضجَّتْ لشكوى جِسْمك الشمس والبدر
وباتَ الهدى خوفاً عليك مُسهَّداً   وأَصْبَح مَذْعورَ الفؤادِ النَّدى الغَمْر
فلمَّا أعادَ اللهُ صحَّتَك التي   أفاق بها من غمِّه الْبَدْوُ والحضْر
تَراءت لنا الدُّنيا بزينة حُسنها   وعادَ الى إبَّانه ذٰلك البِشْر
وصارَ بِكَ الإسلامُ في كلِّ بَلْدة   يُهَنَّا ويدعُو أَن يَطول لك العمر
وصحَّت لنا الآمالُ بعد اعْتِلالها   وعادت الى الايناع اغصانُها الخُضْر
ولا غَرْو ان خافتْ على عَيْلَم النَّدى
اذا اغْبرَّ وجه الأَرْض واحتَبس القَطْر
لِسَيْب ابي العباس أنضَتْ عِجافَها   قديماً فخافت أَن يعاودَها الضر
لَئِن صَدِيَت بِيض المعالي لقد غدت
نَشاوى الكُماةُ البِيض واللُّدْنُ السُّمْر
بَقِيتَ لهذا الدين تَحمي ذِمارَه   ويَحْميك ربُّ الْعَرْش ما بقي الدهر

وله يهنيه بفتح السودان ودخوله في طاعته :

أَلمَّتْ وقد أَلْوَى على وَصْلِها الهجر   كما افْتَرَّ إثْرَ اللَّيل عن ثَغْرِه الفَجْر

وجلّى وقد لاحتْ دُجى الليل وجهُها
كما نضَّ سجفَ الليل من وجهه البدر .

تُساقِط لي درًّا لقَطتُ فريده بأَنْمُل سَمْع فيه عن غيره وَقْر
تُحَدِّث عن مَسْرى سوارٍ رمتْ بها مَرام تَضِلُّ النَّهْج في فيحها الزُّهْر
تَحامى هواها الطيرُ من خَشْيَة الرَّدى قديماً وأعيا الريحَ مَسلكُها الْوَعْر
وجشَّمَها المنصورُ خُرْس كَتَائب تُحمَّلُ ما يروي فيحملُهُ الصَّبر
تُقاد نَواصيها بكل مُتوَّج نَمَتْه إلى عدْنان آباؤه الغرّ
على كل محبوكِ السَّراةِ اذا جرى مع الريح فات الريحَ من عَدْوه حَضْر
صوافِنُ ينموها وَجيهٌ ولاحِقٌ مطَهَّمَةٌ دُهْمٌ ومَقْوُرَّة شُقْر [1]
بمُرْهفَةٍ مَأْثورةٍ مَشْرَفيَّة تَؤُمُّ غِرارَيْها رُدَيْنِيَّة سُمْر
غدَت تحمِلُ الموتَ الزُّؤام يَحُوطها ويكنُفها يُمْنٌ يُشيِّعه نَصْر
فحلَّت بأَرض السُّود لم يَثْنِ عزْمها مَهَالِكُ صدَّ عن مسالكها الذُّعْر
ورامت بَنُو حام بجهلٍ بقَدْرها دِفاعاً فباتَتْ فوق آنافِها العفْر
همى فوقَها وطْفُ المنايا بحاصِب ظوامِي عِبال النَّبْل من فَيْضه جَمْر
لقد ذكَر الحبْشانُ من وقْعها بهم وقيعَةَ يوم الفيلِ لو ينفع الذِّكر
هنيئاً أمير المومنين فقد قضَى على كلِّ من ناوَاك أسيافُك البُتْر
لئن أَسْلَمت أرضُ الجنوب مَقادها فعَن كَثَبٍ تُلقِي مَقاليدها مِصْر

١ — مقورة بوزن مصفرة مهزولة .

وَتزْوَرُّ زَوْراءُ ٱلْعِراق فتَهْتدي اليكم وأعناقُ العِدا خُضَّع صُعْر

وتخفُق بالوادي المقدَّس رايةٌ علَيْك وتَهْوي فيه أَلْوِيةٌ حُمْر

فدُمْ لِفُتُوحٍ يُسْتَحثُّ لِنَيلها الى كل قُطْرٍ منك ذُو لَجَبٍ مَجْرُ

ولعبد ٱلْعزيز ٱلْفَشْتالي يمدَحه ويهَنِّيه بالمولد الشريف :

همُ سلَبُوني الصبرَ والصبرُ من شَاني وهُم حرمُوا من لذَّةِ الغَمْض أَجفاني

وهمْ أَخفرُوا في مهْجَتي ذِمَمَ الهوى فلم يَثْنِهِمْ عن سَفْكِها حُبِّي الجاني

لَئِن أترَعُوا من قَهْوَة البَيْن أكْؤُسي فشَوقُهُمُ أضحَى سَميري ونَدْماني

وان غادَرَتْني بالعَراء حُمُولهم كفَى أَنَّ قلبي جاهِدٌ إِثْرَ أَظعاني

قفِ العِيسَ وَاسْأَلْ رَبْعَهم أَيَّةً مضَوْا أَلِلجزْع سَارُوا مُدْلِجين أَمِ ٱلْبَان

وهل بَاكرُوا بالسَّفْح من جانِب اللوى مَلاعِبَ آرامٍ هُناك وغِزْلان

وأَيْنَ استَقَلُّوا هل بِهَضْب تِهَامةٍ أَناخُوا المطَايا أَم على كُثْب نَعْمان

وهل سالَ في بَطْن المَسيل تشوُّقاً نُفُوسٌ ترَامَتْ للعُلا قبل جُثْمان

واذْ زَجَرُوهَا بالعَشِيِّ فهل ثَنى أَزِمَّتَهَا الحادِي الى شِعْب بَوَّان

وهل عرَّسُوا في دَيْر عَبْدُون ام سَروْا يؤُمُّ بِهِم رُهْبَانُهم دَيْر نَجْران

سَروْا والدُّجى صِبْغُ المطَارِف فانثَنى بأَحْداجِهِم شَتَّى صفاتٍ وأَلْوَان

وأَدْلَجَ في الاسحار بِيضُ قِبَابِهِم فَلُحْنَ نُجوماً في مَعارِج كُثْبان

لكَ اللهُ من رَكْب يَرَى الارضَ خُطْوَةً
اذا زَمَّهـــا بُدْنـاً نواعِمَ أبْدَان

أَرِحْهَا مَطايا قد تمشّى بها الهوى … تَمَشِّي الحُمَيَّا في مَفَاصِل أَبْدان
وَيَمِّمْ بها الوادِي المقدّس بالحِمَى … بِهِ الماءُصدًّاوالكَلا نَبْتُ سَعْدان
وَأَهْدِ حُلولَ الحِجْر منه تَحِيَّةً … تُفَاوِحُ عَرْفاً ذاكِيَ الرَّنْد وَٱلْبَان
لقد نفَحتْ من شِيح يَثْرِب نَفحةً … فهاجتْ معَ الأسحارشَوْقي وأشجاني
وفتَّتَ منهاالشرْقُ في ٱلْغَرْب مَسْكَةً … سحَبتُ بها في أرض دارين أرْدَاني
وأذكَرني نَجْداً وطِيبَ عَرَاره … نَسيمُ ٱلصَّبا من نحْوِ طيْبةَ حيَّاني
أَحِنُّ الى تِلْك المَعاهِـــد إنَّهَا … مَعَاهِدُ راحاتي ورَوْحي ورَيْحَاني
وأهفُو مع الاشواق للوطن الذي … به صَحَّ لي أُنسي الهَنِيُّ وسُلْوَاني
وأصبو الى أعْلام مكَّة شائقاً … إذا لاحَ برقٌ من شَمام وثَهْلان
أُهيْل الحِمَى دَيْني على الدهر زَوْرَةٌ … أُحُثُّ بها شَوْقاً لكُمْ عزْميَ الواني
متى يَشْتَفي جَفني القَريحُ بِنَظْرَةٍ … يُزَجُّ بها في نُورِكم عَيْنُ إنساني
وَمَنْ لي بأَنْ يدْنو رضاكم تَعَطُّفاً … ودَهْرِيَ عنِّي دائماً عِطفَه ثان
سَقَى عَهْدَهم بالخَيْف عَهْدٌ[1] تَمُدُّهُ … سوافِحُ دَمْعٍ مِن شُؤُونِيَ هَتَّان
وأنعَم في شطِّ ٱلعَقيق أَرَاكَةً … بأفيائها ظلُّ المُنَى والهوى دَان
وحيَّا ربوعاً بَيْن مرْوَة والصَّفا … تَحِيَّةَ مُشْتاق لها الدَّهرَ حَيْران

---

١ — اي مطر .

رُبوعاً بها تتلو المَلائِكةُ العُلا أفانينَ وَحيٍ بَيْن ذِكْرٍ وقُرْءَان
وأولَ ارضٍ باكَرتْ عَرَصاتِها وطرَّزتِ البَطْحاَ سَحائِبُ إيمان
وعرَّس فيها للنُّبوءَة مَوْكِب هو البَحْرُ طامٍ فوق هُضْبٍ وغِيطان
وأدَّى بها الرُّوحُ الامينُ رِسالةً أفادت بها البُشْرَى مَدائِحُ عُنْوان
هنالِك فضَّ ختْمَها أَشرفُ الوَرى وفخرُ نِزارٍ مِن مَعَدِّ ابْنِ عَدْنان
مُحمَّد خير العَالَمين بأسْرِها وسيدُ أهلِ الارضِ والإنْسِ والجَان
ومَن بشَّرتْ بالبَعْث من قَبْلِ كوْنِه نوامِسُ كُهَّان وأَخْبارُ رُهْبان
وحِكمَةُ هذا الكون لَوْلاهُ ماسمَتْ سماءٌ ولا غَاضَت طَوافِحُ طُوفان
ولا زُخرِفَتْ من جنَّة الخُلْد أَرْبُعٌ تُسَبِّحُ فيها أُدْمُ حُورٍ وولْدَان
ولا طَلَعَتْ شمسُ الهُدى غِبَّ دُجْيَة تجَهَّم من دَيجْورِها ليلُ كُفْران
ولا لَحِقَتْ بالمُذْنبين شِفَاعةٌ يذودُ بها عَنْهم زَبَانِيَ نِيران
له مُعْجِزاتٌ أخرسَتْ كلَّ جاحد وسلَّت على المُرْتاب صَارِمَ بُرْهان
له انْشَقَّ قُرْصُ البَدْرِ شِقَّين وارتوى
بماءٍ همَى من كفِّه كلُّ ظَمْئان
وأُنطِقَت الأَوْثان نُطْقاً تَبرَّأتْ إلى الله فيه من زَخارِف مَيَّان
دَعا سَرْحةً عَجْماَ فلبَّتْ وأَقبلَتْ تجُرُّ ذُيولَ الزَّهر ما بَيْنَ أَفْنَان
وضاءَتْ قصُورُ الشَّام من نُوره الذي
علَا كلَّ قُطْرٍ نَازِح القُطْر أَوْ دَان

وقد بهّج الأنـواءَ بدَعوتهِ التي كَسَتْ أَوْجهَ ٱلْغَبْراءِ بَهْجة نَيْسان

***

وإنَّ كتـــابَ الله أعظمُ آيةٍ بهاافتَضح الُمرْتابُ وابْتأَس الشّاني
وعدَّى على شأْوِ ٱلْبَليغ بيانُه فهَيْهاتَ منه سَجْعُ قُسٍّ وسحْبان
نَبيُّ الهُدَى مَن اطلعَ الحقَ أنْجُماً مَحَى نورها أسدافَ إفْكٍ وبُهْتَان
بعِزَّتهـــا ذَلَّ الأكاسِرَةُ الأُلى همُ سلَبُوا تِيجَانَها أهلَ ساسان
وأحرَز للدِّين الحنيفيّ بالظُّبا تُراثَ المُلُوكِ الصِّيدِ من عَهْد يُونان
ونقَّع من سُمْرِ ٱلْقَنا ٱلسمَّ قَيْصراً فجرَّعــه منها مُجاجَة ثُعْبان
وأضحَت رُبُوعُ ٱلْكُفْر والشِّرْك بَلْقَعاً يُناغِي الصَّدَا فيهنَّ هـــاتِفُ شَيْطان
وأصبَحتِ السَّمْحاءُ تروق نَضارةً ووَجْهُ الهدى بادِي الصَّباحة للرّاني
أيَاخيْرَ أهْل الارض بَيْتاً ومَحْتِداً وأكرمَ كلِّ الخلق عُجْمٍ وعُرْبان
فمَن للقوافي أن تُحيطَ بوَصْفِكم ولوْ سَجلَتْ سبْقاً مَدائحَ حَسَّان
إلَيْك بَعثْناها أَمَانِي أجدَبت لِتُسقَى بمُزْن من أياديك هَتّان
أجرْني إذَا أبدَى الحسابُ جرائِمِي وأثقَلت الأوْزَارُ كفَّةَ مِيزَانِي
فانت الذي لولا وَسائلُ عِزِّه لَما فُتِحتْ أبوابُ عفوٍ وغُفران
عليك سلامُ اللهِ ما هبَّت الصَّبا وماسَت على كُثْبانها مُلْك قُضْبان

وحمّل في جَيْب الجَنُوب تحيةً ... يفُوحُ بمَسْراها شذًا كُلِّ تِرْبان[1]

الى ٱلعُمَرَيْن صاحِبَيْك كِلَيْهِما ... وتِلوِهما في ٱلفصل صِهْرِك عُثْمان

وحيَّا عَلِيًّا عَرْفُها وأَرِيجُها ... ووَالى على سِبْطَيْك أَوْفَر رِضْوان

اليك رسولَ اللهِ صَمَّمْتُ عَزْمةً ... اذا أَزْمَعتْ فالشَّحْطُ وٱلقُرْب سِيَّان

وخاطَبتُ مِنِّي ٱلقلبَ وهو مُقَلَّب ... على جَمْرة الأَشواق فيك فلَبَّاني

فيا ليتَ شِعْري هل أَزُمُّ قلائصي ... اليكَ بداراً أو أُقَلْقِلُ كِيرَاني[2]

وأَطْوي أَديمَ الارض نحوك راحلاً ... نَواجِيَ المهارى في صحَاصِح قِيعَان

يُرَنِّحها فرطُ الحنين الى الحِمى ... اذا غَرَّد الحادي بهنَّ وغنَّاني

وهل تمحُوَنْ عني خطايَا اقترفْتُها ... خُطًى لِيَ في تِلْك ٱلبِقاع وأَوْطان

وماذَا عسَى يَثْني عِنَاني وإنَّ لي ... بآلِك جاهاً صَهْوَةَ ٱلعِزِ أَمْطاني

إذا صدَّ عن زُوَّارِك ٱلباسُ وٱلغِنى ... فجُودُ ابنِك المنصور أحمدَ أَغناني

عِمادي الذي أَوْطا السِّمَاكَيْن أَخْمَصي ... وأَوْفى على السَّبْع الطِّباق فأَدْناني

مُتَوِّج أَملاكِ الزَّمان وإن سَطا ... أَحلَّ سُيوفاً في مَعاقِدِ تِيجان

وقارِي أُسودِ ٱلغَابِ بالصَّيدِ مِثْلِها ... اذا اضْطَرب الخَطِّيُّ من فوق جُدْران

هِزَبْر اذا زار البِلادَ زَئِيرُه ... تضاءَلُ في أَخْياسِها أُسْدُ خَفَّان

---

١ – جمع تراب .

٢ – جمع كور وهو الرحل .

وان أَطلَعتْ غيمَ القَتام جيوشُه ... وأرزَم في مَرْكُومه رَعْدُ نيران

صَبَبْنَ على أرضِ ٱلْعُداة صواعِقاً ... أَسَلْنَ علَيْهم بَحْرَ خسْفٍ ورَجْفان

كَتائبُ لو يَعْلُون رَضْوى لصدَّعت ... صَفاه الجيادُ الجُرْدُ تعدُو بعِقْبان

عَديدَ الحصَى من كل أَرْوعَ مُعْلَم ... وكل كَمِيٍّ بالرُّدَيْنيِّ طعَّان

اذا جَنَّ ليلُ الحربِ عنهم طُلَى ٱلْعِدا ... هَدَتْهم الى أَوْداجها شُهْبُ خُرْصان

مِن اللاءِ جرَّعنَ ٱلْعِدَا غُصَص الردى ... وعفَّرْنَ في وجْهِ الثَّرَى وَجْهَ بَسْتان [1]

وفتَّحْنَ أقطارَ البلاد فاصبحت ... تُؤَدِّي ٱلْخراجَ ٱلْجزْلَ أَملاكُ سُودَان

إِمامُ البرايا مِن عَليّ نِجَارُه ... ومن عِتْرة سادُوا الوَرى آل زَيْدان

دعائِمُ إيمان وأركانُ سُؤْدَدٍ ... ذَوُو هِمَمٍ قد عرَّست فوقَ كَيوَان

همُ ٱلْعَلَوِيُّون الذين وجوهُهم ... بدورٌ اذا ما احلولَكت شُهْبُ أَزمان

وهم أهلُ بيتٍ شيَّد اللهُ ملكَه ... على هَضْبة العَلْياءِ ثَابِتَ أَرْكان

وفيهم أَتى الذكرُ الحكيمُ وصرَّحت ... بفَضْلِهم آياتُ ذِكْرٍ وقُرْءان

فُرُوعُ ابنِ عمِّ المُصْطَفى ووَصيِّه ... فناهِيك من فخرَيْن قُرْبى وقُرْبان

ودَوْحةُ مجْدٍ مُعْشِب الروض بالعُلا ... يُجادُ بأمْواهِ الرِّسالة رَيَّان

بمجدِهم الأَعلى ٱلصَّريح تشرَّفت ... مَعَدٌّ على العَرْباء عادٍ وقَحْطان

---

١ — تعريب سبستيان وهو ملك البرتغال المقتول في وقعة وادي المخازن .

اولائك فخْري ان فخرتُ على الورى
ونافسَ بيْتِي في ٱلْوَلا بيْتَ سَلْمان[١]

اذا اقتسم المُدَّاحُ فضل فخارهم وقِسْمي بالمنصور ظاهِرُ رُجْحان
امامٌ له في جَبْهةِ الدهر مَيْسَمٌ ومن عزِّه في مَفْرِق المُلك تاجان
سما فَوْقَ هاماتِ النجوم بِهمَّة يحُومُ بها فوق السموات نَسْرَان
وأطلَع في أُفْق المعالي خلافةً عليها وِشَاحٌ من علاه وسِمْطان
اذا ما احتَبى فوق الأَسِرَّة وارتدى على كِبْرياء المُلك نَخْوَة سُلْطان
توسمتَ لُقْمانَ الحجا وهو نــاطِقٌ
وشاهدتَ كِسْرى ٱلْعَدْل في صدْرِ إِيوَان

وان هزَّهُ حرُّ الثنــاء تـدفَّقت أَنامِله عُرْفــاً تدفُّقَ خُلْجان
أَيا ناظرَ الاسلام شِمْ بارِقَ المُنى وباكِرْ لروض في ذَرَا المَجد فينْان
قضى اللهُ في عَلْياك ان تَمْلِك الدُّنا وتفتَحها ما بَيْن سُوسٍ وسُودَان
وأنَّك تطْوِي الارضَ غيرَ مُدافَع فمِنْ أَرْض سُودان إلى أَرْض بَغْدان
وتملأَها عـدْلًا يرِفُّ لِوَاؤُه على الحَرَمَيْن او على رَأْس غُمْدان
فكم [illegible] العراق بك ٱلْعُلا وزُفَّت بك ٱلْبُشْرى لأَطراف عَمَّان
فلو شارفت شرق ٱلْبلاد سيو فكم أَتاك اسْتِلابا تاجُ كِسْرى وخاقان

١ — يعني به بيت لسان الدين ابن الخطيب السلماني وقد مر في ترجمته ان ممدوحه المنصور كان يباري به لسان الدين .

ولو نشَر الاملاكَ دهرُك أَصبحتْ عِيالاً على علْياك ابناءُ مَرْوان
وشايَعك السفَّاحُ يقتاد طائعا برَايَته السَّوداءِ اهلَ خُراسان
فما المجدُ إلاما رفَعْت سماكه على عَمد السُّمْر الطِّوال ومُرّان
وهاتِيكَ ابكارُ القوافي جَلَوْتُهَا تُغازِلُهنَّ الحُور في دار رِضْوان
أَتَتْك أَميرَ المؤْمنين كأَنها لَطائِمُ مِسْك أَوْ خمائِلُ بستان
تعاظَمن حُسْناً أَن يُقالَ شَبيهُها فرائِدُ دُرٍّ أَوْ قَلائِدُ عِقْيان
فلازِلْتَ للدُّنيا تحوطُ جِهَاتِها وللدِّين تَحْمِيه بِمُلك سُلَيْمان
ولا زِلت بالنَّصْر العزيز مُؤَزَّراً تُقادُ لك ٱلاملاكُ في زِيِّ عُبدان

وللاديب أَبي عبد الله محمد بن عبد الله الُجزولي يمدحُ السلطان مولاي اسمعيل ٱلْعلوي ، وهي أَمثَلُ ما قِيلَ فيه :

مولاي إسمَعِيلُ يا شمسَ ٱلْورى يا مَن جميعُ ٱلْكائنات فِدًى له
ما انتَ الا سَيْفُ حقٍّ مُنتَضًى أَللهُ مِن دون البَرِيَّة سَلَّه
مَن لا يَرى لك طاعةً فاللهُ قد اعمَاه عن طرُقِ الهُدى وأَضلَّه

وللشيخ عبد الواحد بن محمد الشريف البوعناني يُهنِّيه بفَتْح ٱلْعرائش :

أَلا أَبْشِر فهذا ٱلْفَتْح نور قد انتظمت بعزِّكم الامور
وطيرُ السعد نادَى حيث غنَّى قد انشرحت بفتحكم الصُّدور

وقد وافتكُمُ الخيراتُ طرّا وطاب ٱلْعيش واتّصل السرور
حَمَيْتُم بيضةَ الاسلام لمَّا بِعَيْن الحق قد حُرِسَت ثغور
وجاهدتُم وقاتلتُم فأنتُمْ لِدين الله أقمارٌ تُنير
واطلعتُم صوارمَكم نجوماً لَدَى هَيْجاءَ صاحِبُها كَفُور
فأنت ٱلْبَدْرُ يوم السِّلْم حُسْناً وفي يوم ٱلْوغى أَسَدٌ هَصور
وفي ثَغْر ٱلْعرائش قد تبدَّى لِقَدْرِكُمُ على الشّعْرَى الظُّهور
لقد كان المُلوك فساوَموها وراموها فبان لها نُفُور
فلمَّا جئتَها انقادت وقالت اليك بحق مولانا المَصِير
ملكتَ قيادَ عزَّتِها ببذل فما أَغنى الحِصَار ولا العُبور
قهرتَهُم بأبطال ضِخَام على الهيْجاءِ كلُّهُم جَسُور
فكم رأسٍ[1] من الكفار امسى قطيعَ الرَّأس مجْروراً يَخُور
وكم نَحْرٍ قِلَادَتُه رِماح وسِنُّ الرُّمح مرْكَزُه النُّحور
وكم أَسرى وكم قتْلى بأَرض وكم جَرْحَى دماؤُهم تفُور
تمرُّ بها الطيور فتَنْتَقِيها وباتَ الذئبُ وهو لها شَكُور
وأَضحى كلهم نشاوى على طرَبٍ وما شُربتْ خُمور
فبُشْراكم بهذا الفتح بُشْرى وبشراكم بما مَنَّ الغَفُور

١ – يعني رئيساً كبيراً بمثابة الرأس فيهم .

به زادت مـآثركم علوًّا … وقد عظُمت به لكمُ الأُجور

ألا يا معشر الكفار هذا … يُبدِّدُكم وليس له فُتور

ألا يا أهلَ سبتةَ قد أتاكم … بسيف الله سُلطانٌ وقُور

اذا ما جاء سبتةَ في عشيٍّ … تُزَفُّ له اذا كان البُكور

ووهرانٌ تنادي كُلَّ يوم … متى يأتي الامامُ متى يزُور

متى يأتي ويفتحُها سريعاً … ويلحق أهلَها منهم ثُبُور

فيهزمُهم ويقتلُهم ويَسْبِي … وسيفُ الحق في يده يَنُور

ايا مولاي قُمْ وٱنْهضْ وشمِّر … لأَنْدَلسٍ فأنت لها الامير

وجاهِدْهم وحارِبْهم وفرِّقْ … جُمُوعَهُم فربُّكم النَّصير

ولا يَمنعْ بفضْل الله منها … كما قد قيل بَرٌّ اوْ بُحُور

لِسَان الحال يُنشدُ كلَّ يوم … ومعنى الحال تَفهَمُه الصدور

بقُرْطُبةٍ تنالُ المجدَ طرّا … ويأتي العزُّ والملك الكبير

وذلكُمْ بعون الله سهلٌ … ومِنْ بَرَكاتِكُم امرٌ يسير

ايا مولايَ إسمعيلُ هذا … عُبَيدكُم الضعيف المستجير

يناديكُم بناديكُم ويدعُو … دعاءً لا تُغيِّبه الدُّهور

فيا ربَّ البرية يا الهي … ويا رحمانُ يا نِعمَ المُجير

أَثِبْ هذا الاميرَ بكل خير … ولا تجعَل تِجارَته تَبُور

وأَبقِ الملكَ فيه وفي بَنيه … ولو كَرِهَتْ زيُودٌ او عُمُور

ونحن رعيةٌ نرجو هناءً ٭ بالسلطان تنتظِمُ الامور
عليكم من عُبَيْدِكم سلامٌ مَدى الدنيا يُضَمِّخُه العَبير
يعُمُّ جنابَكُم ما قال صبٌّ الا أَبْشِرْ فهذا الفتحُ نُور

ولعبد الله العَلَوي الشَنْقيطي يمدح الأَميرَ محمَّد العالِم ابنَ السلطان مولاي اسماعيل :

دَعِ العِيسَ والبَيْداءَ تذْرَعُها شطْحا وسُمْها بُحورَ الآل تَسْبَحُها سَبْحا
ولا تُرْعِها الا الذَّميلَ فطالما
رعتْ نَاضِر القَيْصُوم وٱلشِّيح والطَّلْحا
ولا تُصْغِ للناهين فيما نَوَيْتَه
وخَفْ حيثُ يُخفِي الغِشَّ مَن يُظهِر النُّصْحا
فكُن قمراً يَفْري الدُّجا كلَّ ليلة
ولا تكُ كالقُمْرِيِّ يَسْتَعْذِب الصَّدحا
وقارِضْ هُمومَ النفس بالسَّير والسُّرى
على ثِقَة بالله في نَيْلك الرّبحا
وأُمَّ بِسَاطَ ابن الشريف محمد
مُبِيد العِدا ذكرا ومُبْدي الهُدى صُبْحا
فتىً يسَعُ الدنيا كما هي صدرُه فأَمسى به صدرُ الديانة مُندَحّا
ومن هديه ساوى النهارَ ولَيلَه فأَمسى يُنِير الخافقين كما أَضْحى

وَمَن هو غيثٌ أَخضَلَ الأَرضَ روضُه فلا يظْمأُ الآوِي اليه ولا يَضْحى
وليثٌ بحقٍّ الله لم يُبقِ رُعبُه عُواءً لكلب التُّرَّهات ولا نَبْحا
أميرُ ملوكُ الكُفْر أضحوا لسيفه كما تبتغي الذبحَ في عيدها الأَضْحى
تَزيدُ على الفاقات فيْضاتُ كفِّه فيَغْرَقُ في التَّيَّار مَن يأْمَلُ النَّضْحا
فلا تَرْمِ التشبيه فيه فقد جرى مع الظَّاهر المُدْني الى السُّكَّر المِلْحا
سعَى وسعَوْا للمكرُمات فأقصَرُوا ولم يرضَ حتَّى استكمل الكَرم القُحَّا
وفلَّق فيهم بيضةَ المجد قاسِمٌ فناولَهم قَيْضاً[1] وناولَه المُحّا
فتى يستقِلُّ البحرَ جودُ بنانِه على حالة استِكْثار حاتِم الرَّشْحا
مَساعيه في الخطب الجليل يرُومُه كآمال مَنْ يَرْجُوه تستصحب النُّجحا
صِفاتٌ كدُرٍّ البحر صفواً ولُجِّه حساباً فمَن يأْتي على مائه نَزْحا
وآياتُ علم أَغمَدَ الجهلَ نورُها وغاياتُ جدٍّ ليس تطْلابها مَزْحا
ورأيٌ يُريه اليومَ ما في حَشا غدٍ ويكشِفُ عنه من دُجا ليله جُنْحا
وبِشْرُ مُحَيَّا علَّم الصبحَ ما السَّنا وقَبْضٌ أَرى النارَ التأَجُّجَ واللَّفْحا
وتأْلِيفُــه أَشتاتَ كل فضيلة ومكرُمةٍ غرَّاءَ تُعْجِزُنا شَرْحا
كفانا اتخاذ الفالِ في القَصْد يُمنُه فلسنا نخطُّ الرملَ أَونضْرِبُ القِدْحا
مَهيبٌ مَخُوفٌ بطشُه تحتَ حِلْمه عفوٌّ يرى إلاَّ عن الباطل الصَّفْحا
فاقدَم حتى فارَق الجبنَ صافِرٌ[2] وجادَ الى أَن عاف مادرٌ[3] الشُّحا

---

١ – القيض قشر البيض .

٢ – صافر ومادر مثلان يضربان في الجبن والبخل .

ولم تُذْعِن الأعداءُ مَحْضَ مودَّة ... اليه ولكن إنَّما كَرِهُوا الْقَرْحا
رأَوْا ضَيغماً يُعطي الحروبَ حقوقَها
وإن تَضعِ الأوْزارَ يُبْرِمْ لَها صُلحا
ويستغرقُ الأوْقاتَ في الجِدِّ كلَّها ... ولا يَهبُ التَّلْعابَ ما يَسَعُ اللَّمْحا
مُواصلةً حبل الجهـاد جيادُه ... ووَقْفٌ على غزْوِ العدا عدْوُها ضَبْحا
مُعادِيه معطًى بالحياة مَنِيَّةً ... وبالجنَّة الأُخرى وبالسُّنْدُسِ المِسْحا
ايا ابْنَ أميـر المؤمنين وسيفَه ... وصَمْصَامَه إن يرفع الضربَ والنَّطْحا
تُشابِهُه خَلقاً وخُلْقاً فسَامِـه ... الى الْفَلَكِ الأَعْلى فانَّك لا تُلْحى
تَهَنْدَسَت الْعَلْيا فاحْرَزْتَ جِسْمَها ... لإحرازِكَ النُّقْطاتِ والخطَّ والسَّطحا
فكم من حديث كان يُسنَد للنَّدى ... ولكنه لولا نَوالُك ما صحَّا
فأَعطَيْتَني الأعيانَ والْعِينَ والْكُسا
وبيضَ الظُّبا والنُّوق والخَيْل والطَّلحا
فلا زلت للاسلام عيداً مُفضَّلاً ... تنغِّص حُسْناهُ السَّعانينَ والفِصْحا [1]
أَبُوكَ لِحُكْم الشَّرع ولاَّكَ عَهدَه ... فلم تلْقَ كدًّا للسُّؤال ولا كَدْحا
وأعطاكَه اذ ليس غـيرُك أَهْله ... وللعقل نورٌ مَيَّز الحُسْن والقُبْحا
كفى درَّه فخراً تحلِّيك سِمْطَه ... ومَنعُكَه تلك المعرَّة والْقَدْحا

---

١ — السعانين والفصح من أعياد النصارى ويقال في اولها الشعانين بالشين .

فأهدى اليك الدهرُ بلقيسَ مُلْكِهِ
وأبدى لك الكرسيَّ والعَرْش والصَّرحا

وولاّكَ ربُّ العَرْش مُلْكَ بقاعها وأصحبك التمكينَ والنصر والفتحا
اليك بها يا كَعبَةَ المجد كاعباً من الشِّعْر لا تُسطاع أَرْكانُها مَسْحا
اذا شَهِدَت زكّى الأعادي حديثَها وان اثخنت عنّا قلوبَهم جَرْحا
أُكَلِّفُها فرضَ المحال أداءها لِشُكر ندًى لا ينتهي مُزنه سَحّا
فخُذْها ابنةَ الحاءِ التي الحمدُ مُبتدا لها وبها خلاّقُها كمَّل المَدْحا

ولأبي عليّ اليُوسِي في الشيخ ابن ناصر من داليته الكُبرى:

كَمْ سُنَّةٍ أحيَيْتَ بَعْدَ إماتةٍ وضَلالةٍ أخمدتَ بعد توقُّد
وافَيْتَ والبدعُ الحوادث قد دَجتْ ظلُماتُها والجهلُ وَاري الأزْند
والدينُ مطموسُ المعَالِم والهُدى بيضُ الأنوقِ ولُقْطَةٌ لم تُنْشَد
والسُّنةُ الغرّاءُ قفرٌ مُوحِش ما فِيه مِنْ هَاد ولا مِن مُهتَد
نشَبتْ بِضَبْعَيها مخالبُ ضَيْغَم مِن مَألَف العادات عَادٍ مُحْرَد [1]
ومَحا المُحاقُ بُدورَها فتكَنَّفَتْ مُقَلَ النُّهى ظَلْماءُ ليْلٍ سَرْمَد
وعفَتْ أعاصيرُ الهَوى آثارَها فاسْتَبْهَمَتْ عن ناشِدٍ او مُنْشِد
واستَوثقَت أيدي الغَوايةِ والهوى بأزِمَّةِ الألباب، شُلَّت مِن يُد [2]

١ – اي معتدٍ غاضب من الحرد وهو الغضب .
٢ – جمع يد كعصا وعصي يدعو عليها بالشلل .

والعِلْمُ ضَاحٍ ظِلُّه[١] وصدى التُّقى قد صَمَّ[٢] والغَيُّ اعتَلى بِمُجَنَّد[٣]
فكشَفْتَ جِلْبابَ الجَهالةِ عن سَنَا بَدْرٍ لسائِمَة الضَّلال مُبَدِّد
بَلْ ضَوْءِ صُبْحٍ بَل نَهارٍ ناسِخٍ آياتُه لَيْلَ الشكوكِ الزُّرَّد[٤]

ولابْنِ زاكور يمدَحُ الشيْخَ عَلِيَّ بَرَكَة :

إلى مَ فؤادي يذُوب زَفِيرا لقد كِدتُ أَقضي مُعَنّى حَسِيرا
عَراني من الوجد ما قد نَفى كَرايَ وأذكى حَشايَ سعيرا
فمِن رِقَّةٍ قد حكَيْتُ نَسِيما ومن دَنَف قد حكَيْتُ نَقيرا
وشيَّبَني والشبابُ نَضـير صُدودُ الأُلَى أَودَعُوني زَفيرا
ومَـن لسَعَتْه أفاعي الصُّدود فأَجدِرْ به أن يَشِيبَ صَغيرا
فماذا عَلى وُدِّهم لَوْ دَنـا وما ضَرَّ لو نعشُوني يَسيرا
وماذا عـلى عاذِلي لَوْ غَدا عَذيراً لِمَنْ كان مثلي أسيرا
فيا عَاذِلي لا تكُنْ عاذري ولستُ أُؤَمِّل منك عَذيرا
ويا هاجِري لا تَكُن واصِلي إلى أن تُوَازي الحصَاةُ ثَبيرا
فمُذْ شِمْتُ بَرْقَ العُلا والهوى لدى بَرَكاتِ العُلا مُستَطيرا

١ – اي ذاهب .
٢ – اي انعدم .
٣ – اي بجيش مجنـّد .
٤ – اي الخانقة .

سلوتك فانجاب ليل الأسى ... وأسفر صبح السرور بشيرا
فلا مقلتي تستهلّ دماً ... ولا كبدي تتداعى فطورا
ومن شام برق العلا مستطيرا ... فلا يعدمنّ دداً وحبورا
وهان عليّ الذي قد لقيتُ ... لمّا سقاني نداه نميرا
وأنقذني من ظلام الهوى ... وكان لقلبي المعنّى مجيرا
إمامٌ تسربل بالمكرمات ... وأرخى إزار العفاف كبيرا
وطاول بدر السماء منيراً ... وساجل قطر الغمام غزيرا
وأضحى لكأس المعالي مديرا ... وأمسى لروض العلوم سميرا
تواضع حلماً فزاد ارتقاء ... ورام خفاءً فزاد ظهورا
ومن رام إخفاء بدر الدياجي ... بجنح دجىً زاد نوراً كثيرا
تناهت مذاهبه في العلا ... فليس يرى لسواها ظهيرا
فطوراً تراه لقوم بشيرا ... وطوراً تراه لقوم نذيرا
وكائن تراه يفكّ المعمّى ... ويوضح ما كان صعباً عسيرا
إلى رقّة لو حواها النسيم ... لما قصف الدهر غصناً نضيرا
ونظم ينسّيك شعر جرير ... إذا أنت عاينت منه سطورا
ووجه جلى البشر عنه الوجوم ... فليس يرى أبداً قمطريرا
تضيء الدياجير غرّته ... فتحسبها قبساً مستنيرا
ألا هل أتى معشري أنني ... علقت بتطوان علقاً خطيرا

وَآوَيْتُ مِنْهَا إِلَى جَنَّةٍ فلا شَمْسَ فيها ولا زَمْهَرِيرا
لدَى عَالِمٍ قد حوى عالَماً وَحبْرٍ تضمَّن خَلْقاً كثيرا
وأَلْحَفها من محاسِنِه بروداً حكَتْ سُنْدُساً وَحريرا
وأَسْرَجها بسِرَاج الهُدى وكم مَكَثت قبل تحكي قُبورا
فلا نجْدَ إلا اسْتطارَ سَناً ولا غورَ إلا تلألأَ نُورا
ولا غُصْنَ إلا تَثنَّى ارْتِياحاً ولا طيْرَ إلا تغَنَّى سُرورا
وضاءَ سنَاها وضَاع شَذَاها فشِمْت سَناً وشَمِمْتَ عَبيرا
إمَامَ ٱلْورَى بِشَفيع ٱلْورَى أَصِخْ لنِظامي وكُنْ لي عَذِيرا
وأَسْبِل عليه بُرودَ ٱلْقبول فلسْتُ حبيباً ولستُ جَريرا
وهبْني كذَاك فمَنْ لي بما أُحلِّي به مجدَك المُسْتَنيرا
ومَن أَرْهقَتْه خُطوبُ الدُنا فكَيْفَ يحُوكُ ٱلْقَريض ٱلنَّضِيرا
فعُذراً لِمَن خانَه دهرُه وأَخنى عليه الزَّمانُ مُغيرا
ودُونك مِنِّي سلامَ كريم يُفاوِحُ عرْفُه رَوْضاً مَطِيرا

وللقاضي ابن طاهر الهوَّاري يمدح ابا حَفْص ٱلْفاسي :

طابَتْ بطِيب حَياتِك الاعمارُ وجرَت برِفْعة قدْرِك الاقدار
وعلاعلى الجَوْزاءِ أَخْمصُك الذي تصبُو الى تَقْبِيله الأَحْرار
وسمَتْ بك ٱلْعلياءُ فوقَ مَنازل مِن دُونها الافلاكُ والأَدْوار
وجَلَوْتَ في أُفُق السِّيادة غُرَّةً تعنُو لِبَهْجَة حُسْنها الأَقمار

وأَتتْ بك الأَيَّامُ عِلْقاً طالَما ضنَّت به فيما مضَى الأَعصار
سَعِدَت بك الايامُ وابتهج الورى ورقتْ بِغُرَّة وَجهِك الأَمصار
وقضَى لك الرحمنُ أَنَّك مُخمِلٌ بجَميل ذِكْرك مَنْ إليه يُشار
حلَّاك بالعِلْم الشريف فأَشرقتْ بحُلِيِّك الآفاقُ والاقطار
أَحييْتَ روضَ فنُونهنَّ بُعَيْدما عفَتِ المعالم مِنْه والآثار
وجلوت منهُ عَرائسَ ٱلفِكْر التي تَخْتال منها ٱلْعُونُ والأَبكار
وسرَتْ بهمَّتك المعارفُ في ٱلورى وجلَت بِنُور فهُومِك الأَسرار
وبَدت بِحُسْن بَيانِك الحِكَم التي نطقَت بها من قَبْلك ٱلأَحبار
لكُمُ التَّقدُّمُ في ٱلورى، سِواكُمُ يُعزى له ٱلتَّقْصِير والإِقْصار
هَيْهات سِرُّ ٱللهِ أُودِعَ فيكُم وٱللهُ يَفْعلُ كُلَّ ما يَختار
فلَئِن تَلوْتَ السابقين فإِنَّما أَنتَ ٱلَّذي تختارُه ٱلأَنظار
أَنشَأْتُ إِخْباري بوَصْفِك مَادِحاً فزَها بك الإِنشاءُ وٱلإِخبار
مَن لي بإِحصَاءِ الثَّناء على ٱمرِيءٍ شرُفَتْ لِحُسْنِ مَدِيحه ٱلأَشعار
أَنَّى لِمِثْلِي أَنْ يُحِيطَ بوَصْفِه ولَوَ انَّه في مَدْحِه مِكْثار
خُذْها أَبا حَفْصٍ إِليك مَديحةً من صَفْوِ وُدٍّ لم يَشِبه غِيار
وٱللهُ جلَّ ثَناؤُه يُولِيكَ من عزِّ ٱلمَكانة فَوْقَ ما تَخْتار
وعَلَيْك يا عَلَمَ ٱلهُداة تَحِيَّةٌ تَحْكِي ذَكِيَّ نَسِيمِها ٱلأَزهار
ما رنَّحت أَيدي ٱلصَّبا قُضبَ الرُّبا وترنَّمَتْ في أَيكها ٱلأَطيار

وللعلامة الطيّب بن صالح الغُماري الرَّزيني في السلطان مولاي سليمان ٱلْعلوي :

كَمْ بالصَّريمةَ[١] من جُذَيْل[٢] عَبقَري — يَفْرِي فلا يُلْوى على مُتَعذِّر
قذَفتْ به قذَفُ النَّوى قلْبَ ٱلْفَلا — مُتَعَجِّراً[٣] ثوبَ الظلام الأَعْجَر
فرْداً كسيف بل كسَهْم قد هفَا — ريشُ الزَّماع به الى مُسْتَنْفر
يُضحِي مع الكُدْري ويُمْسِي تارةً — ضَيْفاً لِسِرْحان ٱلْفيَا في ٱلْمُقْفر
في الليلة الظلماءِ يعتَسِفُ ٱلْفضَا — وكأنَّما يَمْشِي بلَيْل مُقْمِر
يرمِي بهمَّته مخَاطِرَ دُونَهـــا — هِمَمُ الزَّمان لِغَيْره لم تَخْطُر
ليَؤُمَّ مولانا سليانَ الذي — قالَ السماحُ عليه أثْني خِنصِري
هُو في ملوك الارض غيرَ مُدافَع — فيهم بمَنْزِل مُقْلَةٍ من مِحْجَرِ
عِلْماً وحِلْماً في مقـــام تحكُّم — وشمائلاً تزكو بطيب ٱلْعُنْصُر
ما إن يُرَى إلاَّ بصَهْوةِ سابِح — يمشي ٱلْعرَضْنةَ[٤] أَو بصَهْوَة مِنْبر
لم يَخْلُ من ضرب الجيوش ببعضها — إلاَّ لدَقَّة مُصْحَف أَو دَفْتَر
وإذا ٱسْتَراحَ النَّاسُ في دَعةٍ لهم — لم يَخْلُ منهم في الجهاد الأَكْبَر

---

١ — اسم مكان .
٢ — من قولهم هو جذيلها المحكك اي الملتجأ اليه في الامور .
٣ — اي مشتملاً .
٤ — هي مشية فيها نشاط .

وتراه يستقصي وكان وظيفُ من ندريه بين مُقصِّر أو مُقْصِر
مــا زال يعتدُّ العتاد مُشَمِّراً من حزمه للحادث المُتنمِّر
تلقاهُ يومَ الرَّوع فوق مُطهَّمٍ يختالُ بين أسِنَّة وسنَّور (١)
مُتقلِّداً سيف الحماسة سافِراً لكنَّه من بأسه في مِغْفَر
والخطُّ قد طافتْ به خُرصانُها من كل أسمَر ذابـل مُتأطِّر
والخيلُ تمرحُ في الأعنَّة شُزَّباً يعثُرْن في قِصَد (٢) القَنا المُتكسِّر
حتى إذا اعتجر العَواليَ والظُّبا والشمسُ جلَّلها دُخانُ العِثْيَر (٣)
وأسِنَّةُ المُرَّان في أرجائه كالشُّهْب تلمَعُ في خِلال كَنَهْوَر (٤)
وبدا أميرُ المؤمنين بمِقْنَبٍ زَجِلٍ كَلَيْثٍ في الهِياج غَضَنْفَر
عاذَتْ رعِيَّتُه به وتأنَّقتْ من عدله في ظِل عيْش أخْضَر
ما كاد سِرْحانُ الفلا من عدْله يَعْدو بظَبْيٍ بالصَّريمة أعْفَر
ألْقوا بإقْليد الأُمور وأَصبَحُوا يَرِدُون ماءَ الأمْن غيرَ مُكَدَّر
يُهدون من نشْر الثناء له شذاً وكأنَّما فتقُوا لطائِمَ (٥) عَنبر

١ — اي سلاح .
٢ — جمع قصدة وهي القطعة .
٣ — اي العجاج .
٤ — الكنهور: السحاب المتراكم .
٥ — جمع لطيمة وهي نفيجة المسك

ولأبي عبد الله أَكَنْسُوس في تَهْنِئَة السُّلْطان مولاي عبد الرحمن العلوي بالمولد الشريف :

عَهْدي بِكُم جيرَةَ ٱلْبَطحاء مَوْصُول ... يا ناسيَ ٱلْعَهد إنَّ ٱلْعَهدَ مَسْؤُول
أَشِيمُ بَرْقاً سرَى من نحو رَبْعِكُمُ ... وفضْلُ ذَيلي بوَبْل الدمع مبْلُول
فيُلْهِبُ الشَّوْقُ أَحْشاءً مُروَّعةً ... مِنِّي ولِلشَّوق تَرْوِيعٌ وتَهْوِيل
يا ليتَ شِعْرِيَ والأَيامُ شِيمَتُها ... تمَنُّعٌ وَضَمِيرُ ٱلْغَيب مَجْهول
هل من وَفاءٍ بوَعْد من أَحبَّتنا ... وٱلوعدُ عند حِسَان الدَّلِّ ممطول
وهل تَرى مُقلتي داراً عهِدتُ بها ... بِيضاً يُلاحِظها سُمْرٌ بَهالِيل
سُقِيتُ حبَّهم قِدْماً على ظماٍ ... فحبُّهم في ضمير الروح مَجْبول
يا حبَّذا في هَواهم ما غَدَوْتُ به ... كأَنني طافحٌ بالراح معلول
لا أَجتَلي أَحداً إلاَّ تمثَّل لي ... في وَجْهه من أَحِبَّتي تَماثِيل
وذاك أَنْ قد سرى في ٱلْكون سرُّهم ... وليس أَنَّ ٱلْهوى زُورٌ وتَخْيِيل
فوَالذي سجَدتْ في شَطْرِ كَعْبَته ... أَهلُ ٱلْخُشوع لهم ذِكر وتهليل
لقد سرَى سرَيانَ الرُّوح في جسدي ... غرامُهم فأَنا مِن ذاك مَتْبُول
يا لائمي إنَّ فَرْطَ الْحُبِّ معذرتي ... وفي الصَّبابة لي عِرْقٌ وتأْصِيل
فكيف أُصْغِي إلى اللاَّحِين إن عذَلوا ... فعاذلي الْمُبْتَلَى بالْحبِّ مَعذول
نَعَمْ فَلِي كبِدٌ تهتاجُ لوعَتُهــا ... إذا دَنا من رَبيع النُّور تَجْلِيل

شهرٌ تشرَّف بالإسلام حُقَّ له | بين ٱلمواسِم تعظيم وتبجيل
شهرٌ تعَاظَم مجداً أن يُماثِلَه | عيدٌ ولا زمَنٌ بالفَضْل مَشْمول
شهر غدا غُرَّةً في كل مَكْرُمة | وأَيْن من غُرَّةٍ في ٱلْفخر تَحْجيل
فيه تكوَّن كوْنُ الفضل وانفَتَحَتْ | ابوَابُه وأَتانا ٱلْعِزُّ والسُّول
فيه تفجَّر كلُّ الخير مُنبَجِساً | على الخلائق طرّا فهو مبذول
فيه البشائر قد لاحتْ أَشِعَّتُها | فيه تعيَّن للخيرات تسهيل
وزُخرِفَت لعباد ٱلله جَنَّتُه | وٱستَبْشر الملأُ ٱلاعلى وجِبْرِيل
في ليلةِ المولد الاسمَى وسُحْرَته | يا أُمَّةً سعِدَتْ بالمصطفى قُولوا

قُولوا وتِيهُوا على الأَكوان وافتَخِرُوا
فقوْلُكم لمكَان الصدق مَقْبول

أهلاً بمولد خير ٱلمرسلين ومَن | له على الكل تَسْيِيدٌ وتَمْوِيلُ[1]
بمَوْلِد الصَّفْوة الأَعلى الرسولِ الى | كلِّ الوجود وما للحق تَبْديل
سرّ العوالِم والأَرواح عُنْصُرها | مَن ذِكْرُه في قديم الذكر منقُول
أَلْوَاحُ مُوسَى بن عِمْرانٍ مُبشِّرةً | ببعثه وبقُرْب البعث إنْجِيلُ
يا مَن بدا رُوحه للخَلْق مبتدئاً | وجِسْمُه لِمَناط الوحي تَكْميل
يا دوحةَ الحق يا مَجْلَى المحامد يا | مَن نُطْقُه كلُّه وَحيٌ وتنزيل
لك اللِّواءُ لواءُ الحمد يشملنا | مِن ظِلِّه عند هوْل ٱلْعرش تظليل

---

١ – أي سيادة وولاء من السيد والمولى .

لك الشفاعةُ والحوضُ ٱلْمعَدُّ لنا | لك الجِنَان جِنَانُ الُخلد تَنْفيل
لك المَقامُ الذي قد عزَّ مَدْرَكُه | برُؤْيَةٍ مالها في الصّدق تَأْوِيل
إنلم يُطِقْ حَمْلَها موسى الكليم فقد | عاينتَ ربَّك والتقديس مَسْدول
لك الوسيلةُ والجاهُ ٱلْعظيم إذا | ما أَنت فوق نطاق العرش محمول
يا من يُخَلِّصُ مَن أضحى لمدْحَتِه | على جنابٍ كريمٍ منه تَطْفيل
هذي مَدائِحُ راجٍ أن يكونَ له | من الرسول بِإذْن الله تَنْوِيل
صلَّى عليكَ مُفيضُ الجود منك على | كل الخلائق والتَّعْميم تَسْجِيل
والآلِ والصَّحْبِ ما زُمَّت على مرحٍ | الى زِيارتك العِيسُ المَراسِيل
يا حاشِرَ الخلق يا ماحي الضَّلال ويا | مَن مدْحُه لرضى الرحمن تَوْسِيل
يا واضِعَ الإصْرِ عنَّا في شَريعته | فضلاً ومَن قبْلَنا بالإِصْر مَغلول
تركتَنا وسبيلُ الحق واضحةٌ | أَعلامُها ومُحيَّا الدين مغسول
بِآلِ بيتِك والذكرِ الحكيم لنا | كل اعتصام اذا ما اغتَالت الغول
هذا حفيدُكَ سُلطانُ الملوك أَبو | زَيْد امامٌ بنصر الدين مَشْغول
سِبْط الخلائِق باني العزِّ في شرَفٍ | عَال على مَجْدِهِ للناس تَعْويل
قَرْم تَداركَت العليا سعادَتُه | لَمَّا غدا وإلَيْه الأَمرُ مَوْكول
ما زالَ مُجتَهِدا في الله مُنْتَصِرا | بالله والسيفُ في يُمناه مسلول
حتى استنارَت نجومٌ للهدى فَلها | والحمدُ لله تقويمٌ وتعديل
فهْو المؤَمَّل للسَّمْحا يُجَدِّدُها | مِن بَعْد ما عزَّ للتجديد تأْهيل

وهوَ الذي سُنَّةُ المختار قد حَيِيَتْ ... به وقد سامَها وَهْنٌ وتعْطيل
وهْوَ المؤَيَّد بالإسعاد هِمَّتُه ... لبِنْيَة العِزّ تَشْييدٌ وتطْويل
ففضلُه روضَةٌ غَنَّاءُ دانيــة ... قُطوفُها ، وَجَنَى كَفَّيْه مَعْسُول
وبأْسُه في ديار الكفر صاعقة ... فيها لحزْب ذَوي الأَهواء تَنْكيل
يا خِزْيَ مَن حاد عن منهاج طاعتِه ... ويْلُمِّه إنــه واللهِ مثْكول
إن سار يوماً الى الهيْجاء تَتْبَعُه ... أَجْنَادُ جـرْد أَبابيلٌ أبابيل
مِن كُلِّ أَرْوَعَ في إقْدامه بَطرٌ ... وسَيْفُه من قِرَاع الْهَام مَفْلول
يجُرُّها كعَدِيد الطِّيس عابسَةً ... وما لَه غيْرُ وجـه الله مأْمول
يُعنَى به النَّصرُ لا يَنفَكُّ يلزمه ... كأَنَّه عِلَّةٌ والنصر معلول
وعزْمُه نافذ لا شيءَ يحجُبه ... فكلُّ ما يبتغي في الحين مَفْعُول
وتلك سنَّةُ رَبِّي في عَزَائمِـه ... وما لِسُنَّة ربِّ الناس تَحويل
وللسعادة أَسبابٌ مقدَّرة ... في سابق العِلْم لا كسْبٌ وتَحْصيل
مِن أُسْرَة زَيَّنَ الأَقطارَ ملكُهُمُ ... كأَنَّ مُلكَهُم تاجٌ وإكليل
بنو عَلِيٍّ أَدامَ اللهُ عزَّهمُ ... فهُمْ لِمَغْربنا عزٌّ وتفضيل
يا أَيُّها المَلِكُ الأَتْقَى المحيط به ... من الجلالة إجمالٌ وتَفْصيـل
بقِيتَ للمولِد المبرور تَشْهَدُه ... وعزُّه بجلالٍ منك مَكْفُول

المُلَحُ والطُّرَفُ

قال سعيد بنُ هِشَام المصمودي يهجُو بَرّ غواطـة ومُتَنَبِّئَهم القَائم بدِيَانتِهم :

قِفِي قبـل التفرُّق فـاخْبِرِينا	بقَـوْلٍ صادق لا تَـكْذِبينـا
بـأمر برابرٍ خسِرُوا وضَلُّوا	وخَابُوا لا سُقُوا مـاءً معِيتـا
يقولون النبيُّ أبو عُفَـيْر	فـأخزى اللهُ أُمَّ الكـاذِبينـا
ألَمْ تَسْمَعْ ولَمْ ترَ يَوْمَ بَهْتٍ [1]	على آثارِ خَيْلِهم رَنِينَـا
رَنِـين الباكيات بهم ثُكالى	وعَاوِيـةٍ وُمسْقطةٍ جَنينَا
سَيَعْلَمُ أهلُ تامَسْنا إذا ما	أتَوْا يومَ القِيَامـةِ مُقْطَعِينَا
هُنَالك يُونسٌ وبَنُـو أبيـه	يقُودُون البَرابِرَ حائِرِينَـا

وقال عبد الله الكفيف الطنجي يهجو حامِيمَ الغمَاري الذي ادعى النبوءة في قبيلته غُمارَة وظفِرَ به الناصِرُ المرْواني :

---

١ ـ اسم لمكان وقعت فيه معركة بين ابي عفير والقبائل التي لم تدن له بالطاعة .

وقالوا افتراءً إنّ حاميمَ مُرسَلٌ إليهم بدين واضح الحق باهر
فلقت كذَبتم بدّد الله شملكم فما هو إلا عائرٌ وابنُ عائر
فان كان حاميمٌ رسولاً فإنني بإرسال حاميم لأوّلُ كافر
روى عن عجوزٍ ذات إفكٍ كهينةٍ تُقارنُ في أسحارها كُلَّ ساحر
أحاديثَ زُور حاكَ إبليسُ نسجها فسيّرها ديناً وبيلَ السّرائر

وقال ابنُ حبّوس يأمر بمعاملة الناس على مذهب أبي زَيْد السّرُوجي :

أَعِدَّ لِنابحيك عصا وأَقْضِم ماضغيك حصى
وشعْشِع للورى شرقا مع الساعات أو غصصا
وكن ورْداً خُبعْثِنَةً[1] يُراوِغ منهم قنصا
وعامِلْ بالخديعة من لقيتَ وبادِر الفُرَصا
وغمِّضْ عينك النّجلا ء حتى تُنعت الحوِصا
وهُزّ لمعشر سيفاً وهزّ لآخرين عصا
وكاثِرْ من يدبُّ لك الضّرا[2] واخرُص كما خرصا
ولا تعْتِب عليه فلو ظفِرْتَ به لما خلصا
وسُوءُ ظنّنا بكل أخ يُقاسِمُك الثّنا حِصَصا

١ – الورد والخبعثنة من اسماء الأسد.
٢ – أي مَن يختِلك وهو مثَل ، واخرُص أي اكذِب .

ولا تحفِل بإمَّعَــةٍ يخَالُ الشَّحْمَةَ البَرَصا
ولا تحرص فَرُبَّ فتى مُضاعٍ عندما حَرَصا
وحِرْصُ الطائر الوَا قِع صيِّر جوَّه قفصا .
لقد رُخص الإخاءُ وأَهْوَنُ الأَعلاق مَا رَخُصا
وقد ذَهب الوَفاءُ فلا يقـول مُغَـالِطٌ نقصا
فلا تَلْزم مكانَ الظـل إن وافَيْتـه قَلَصا
وغنِّ لذا الزمـــان اذا انْتَشَى وازْمُر اذا رَقَصَا
ومَن شهد الخُطوب وعَاش مثلي يَشْرَح القِصَصا

وقال الجرَّاوي يهجُو قومَه بني غَفجُوم مُتذرّعاً بذلك الى هجو أَهل فاس وخاصةً بني المَلْجُوم منهم :

يا ابْنَ السبيل اذا مررتَ بتَادِ لَا لا تنزلنَّ على بني غَفجُـــوم
أَرضٌ أَغار بها العدوّ فلن ترى الَّا مُجاوبـــةَ الصَّدى للبُوم
قوم طوَوْا ذكر السماحةِ بينهم لكنّهم نَشرُوا لِوَاءَ اللُّوم
لا حظَّ في أَمـوالهم ونَوالِهم للسائـــل العافِي ولا المحرُوم
لا يملِكون إذا استُبيحَ حريمهم إلا الصُّراخَ بِدَعْوة المظلوم
يا ليتَني من غيرهم ولَوَانَّني من أَهل فاس من بني المَلجُوم

وقال في هجاء أهل فاس أيضاً :

مشى اللؤمُ في الدنيا طريداًمشرَّداً يجوبُ بلادَ الله شرْقاً ومغربا

فلما أتى فاساً تلقـــاه أهلُها وقالوا له أهلاً وسهلاً ومرحبا

وقال يهجو الاستاذ ابن الياسمين :

إسْتُ الحبارى ورأس ٱلنّسر بينهما لوْنُ ٱلغُراب وأنفاسٌ من الجُعَل
خذْها إليك بحُكْم ٱلوَزْن أرْبعةً كالنَّعْت وٱلعَطْف والتوكيدِ والبَدل

فأجابه ابنُ ٱلياسمين بقوله :

ياأعرَق الناس في نَسْلِ ٱليَهُود[1] ومَن تَأْبى شمائلُه التفصيلَ للجُمل
خذْها بحكم اجتماع الذمِّ واحدةً تُغني عن ٱلعَطف والتوكيد وٱلبدل

وقال شاعرٌ مُتَحامِقٌ مَراكشي يُعرف بابن تَلِّيس يهجو الجراوي وكان يجالس قوماً يعرفون ببني الشَّحمات :

بنُو الشَّحمات أنتُم خيرُ آلِ وأَكْرَمُ مَن تَسامَى بالجُدود
أرى نجل الجَراوي لكم جليساً وحُرِّمت الشحومُ على ٱليَهود[1]

وقال أبو الحجاج ابن نَمَوى في الاستاذ ابن ٱلياسمين وكان قد استقبح صورته واستحسن كلامه :

أيها اللَّابسُ لونَ الليل ثوباً حين أَظلم

---

١ – نسبه الى اليهود لان جراوة قبيلته كانت تدين باليهودية قبل الاسلام على ما قيل .

والذي يُضمِرُ داءً منه يوماً ما تألّم
أنتَ من أقبح خــلق الله ما لم تتكلّم
بِشذُورٍ باهراتٍ سافراتٍ لو تُجسَّم
أَصبحت في كلِّ جيدٍ حسَنٍ عقداً منظّمْ

فلما بلغ ذلك ابنَ ٱلْياسمين قال :

أَيها ٱلْفاسِي أَتى ريحُك قبْلَ النَّجْو يَفْغَم
في قريضٍ حسَن الصُّو رة بالهجْو مُجذَّم
فقبلناه وقد جـا ءَ لنا بالمدْح مُعلَم
ثم قلنا بمِزاحٍ منك يوماً ليس يُعدَم
إنّما الشأْنُ فقيهٌ عالِمٌ ليس يُعلَّم
لا تراهُ الدَّهرَ إلاَّ بغَريم ٱلْكَأْس مُغْرَم
وإذا صلَّى رياءً كان فيها مثْل أَبْكَم
في ثيابٍ كرَبيع قد سرَى فيها المحَرَّم
ذا جوابي وهو ظُلْمٌ لك والْبادىءُ أَظلَم

وقال الامير سليمان الموحدي ملغزاً في ٱلْقَلم والدواة :

ومَيْتٍ برَمْسٍ طَعْمُه عند رأْسه إذا ذاق من ذاكَ الطَّعام تكلّما
يقومُ فيمشي صامتاً مُتكلماً ويرجع للقبر الذي منه قُوِّمَا

فلا هو حيّ يستحق كرامةً ولا هو ميْت يستحق ترُّحما

وقال في ٱلعين :

وطائرةٍ تطير بلا جَناح تفوتُ الطائرين ومـا تَطِير
إذا ما مسَّها الحجرُ اطمأَنَّتْ وتأْلَمُ أن يُلامِسَها الحرِير

وقال في جاريةٍ اسمها أُلوف :

خليلَيَّ قولَا أَيْن قلبي ومَن به وكيف بَقَاءُ المرءِ من بعد قَلْبه
ولو شِئْتُما إِسْم الذي قد هَويَته لَصَحَّفْتُما أمْري لكُم بعد قَلْبِه

وقال مَيْمُون الخَطَّابي في ادِّعاء ابن تُومَرْتَ للمَهْدَوِيَّة :

وجَد النُّبوءَةَ حُلَّةً مَطْوِيَّةً لا يستطيعُ الخلقُ نَسْجَ مثالها
فأَسرَّ حَسْواً في اَرْتِغَاءٍ[1] يبتغي بِمُحاله نَسْجاً على مِنْوالها

وقال عبد العزيز المَلْزُوزي وقد مرض بالحُمَّى في مراكش :

لِمَراكُشٍ فضْلٌ على كل بلدة وما أَبْصرَتْ عينٌ لها من مُشابِه
ومـا هِي الا جَنَّةٌ قد تزَخْرَفت ولكِنَّها حُفَّت لنا بالمكَارِه

وقال مالِك ابنُ المُرَحِّل يخاطِبُ نفسَه حين بلغ ثمانين سنة :

يا أَيهـا الشيخُ الذي عُمْرُه قد زادَ عشراً بعد سبْعِينا

---

١ — هو مثل يقال للرجل يظهر انه يشرب الرغوة وهو في ذلك ينال من اللبن

سكِرْت من أَكْوَاسِ خَمْر الصِّبا فحَدَّكَ الدَّهرُ ثمانينا

وقال في المعنى الذي لأجله يَفْتَتِحُ الشعراءُ قصائدهم بالتشبيب:

ضلَّ المحبُّون إلاَّ شاعراً غزِلاً يُطارِحُ المدْحَ بالتَّشبيب أَوْطارا
لا يشتكي الحبَّ إلَّا في مَدائِحِه دَعْوَى لِيُصْغيَ أَسماعاً وأَبصارا
كضارِب ٱلعُود وشَّى فيه تَوْشِيَةً وبعدَ ذلك غنَّى فيه أَشْعارا

وقال في خضاب الشيب :

مررتُ عليها والخضابُ لمائه وَبيصٌ وريحُ المسك قد كاد يسْطَع
فقالت مليحٌ ما أرى غيرَ أَنَّه (سحَابَةُ صيْف عن قليل تَقَشَّع)

وقال وملَّح في ذِكْر ساقِ حُر وهو ذَكر القَماري :

رُبَّ رَبْع وقفتُ فيه وعهْد لم أُجاوِزْه والركائبُ تَسْري
أَسأَلُ الدَّار وهي قَفْرٌ خلاءٌ عن حبيبٍ قد حلَّها منذ دَهْر
حيث لا مُسْعِدٌ على الوَجْد إلَّا عينُ حُرّ تَجُودُ أَوْ سَاقُ حُرّ

وقال في رجل أَشهب انتحَل شعره :

خالَفني أَشهبُ في مـــذْهبي وَمالكٌ وافَقه أَشهَبُ
فَمَذْهبي مُخْتَرَع نادِرٌ وَسَرَقُ الشعر له مَذْهَبُ

وقال على هذا المِنْوال مُورّياً :

مَذهبي تقْبيلُ خدّ مُذهَب سيِّدي ما ذَا تَرى في مَذْهبي

لا تُخَالفْ مالكاً في رأيِه فبه يأْخذُ أهلُ المغرِب

وقال في امرأة شوهاء تزوَّجها على سبيل المجانة:

اللهُ أكبَرُ في مَنار الجامع من سَبْتَة تأذِين عبدٍ خاشِع
الله أكبرُ للصلاة أقيمُها بين الصُّفُوف من البلاط الواسع
اللهُ أكبر مُحرماً ومُوجّهاً وَجْهي إلى ربِّي بقلب خاشِع
الحمدُ لله السلامُ عليكمُ آمينَ لا تفتح لكل مُخادِع
إن النساءَ خدعنني ومكَرْن بي وملأْنَ من ذكر النساء مسامعي
حتى وقعتُ وما وقعت لجانب لكن على رأسِي لأمرٍ واقع
واللهِ ما كانت اليه ضرورةٌ لكنَّ أمرَ الله دُون مُدافِع
فخطبنَ لي في بيت حُسْن قلن لي وكذَبْن بل هو بيتُ قبْح شائع
بِكْراً زعمْن صغيرةً في سنها حسناءَ تُسْفِر عن جمال بارع
خَوْد لها شعَر أثيثٌ حالك كالليل يجلُو عن صباح ساطع
حوراءَ يرتاع الْغزالُ إذا رنتْ بجُفون خِشْف في الخمائل راتِع
تَتْلُو الكتابَ بغُنة وفصاحة فيَميلُ نحو الذكر قلبُ السامع
بَسَّامة عن لؤلؤٍ مُتَناسق من ثَغرها في نَظْمه المتَتابع
أنفاسُها كالرَّاح فُضَّ خِتامها من بعد ما خُتِمَتْ بمِسْك رائع
غَيْداءَ كالغُصْن الرطيب إذا مَشَتْ نَاءت بِردْف للتَّعَجُّل مانِع
تخطُو على رِجْلَي حمامةِ أيْكَةٍ مخضُوبةٍ تُصْبي فؤاد الخاشع

وَوَصَفْن لي من حُسنِها وجمالها ما ٱلبعضُ منه يُقيمُ عُذْرَ الخالع

فدنوتُ واستأْمنْتُ بعد توحُّش وأطاع قلبٌ لم يكن بِمُطاوع

فحملْنَني نحوَ الوَليِّ وجِئْنني بالشَّاهِدَيْنِ وجِلْدكبش واسع[1]

وبغَرْفة من نافع[1] لِتَفاؤُل واللهِ عزَّ وجل ليس بِنَافِع

فشرَطْنَ أشراطاً عليَّ كثيرة ما كنتُ في حمْلي لها بالطَّائع

ثم انفصَلْتُ وقد علمتُ بأنني أُوثِقْتُ في عُنقي لها بجَوَامِع

وتركْنني يوماً وعُدْن وقلن لي خُذْ في ٱلبِناءِ ولا تكن بمدافع

ٱصْنع لها عُرساً ولا تحْوِجْ إلى قاض عليك ولا وكيل رافع

فقرِعتُ سِنِّي عند ذاك ندامةً ما كنتُ لولا أن خُدِعتُ بقَارِع

ولَزِمنني حتى انفصلتُ بمَوْعدٍ بعدَ اليمين إلى النهار الرابع

فلو انَّني طلَّقتُ كنتُ مُوفَّقاً ونفَضتُ من ذاك النكاح أَصابعي

لكن طمِعتُ بان أرى الحُسن الذي زوَّرْن لي فذَممْت سُوءَ مطامعي

فنظرتُ في أمر ٱلبِناء مُعجِّلا وصنعتُ عُرساً يالَها من صانع

وطمِعتُ أن تجلى وأُبصِرُ وجهها وتقرَّ عيني بالهلال الطالع

فذكرن لي أن ليس عادةُ أهلها جَلْوَ ٱلعَروس وتلك خُدعة خادع

وظننتُ ذاك كما ذكَرْن ولم يكن وحصلتُ منه في مَقام ٱلفَازع

وحملْنني ليلا الى دارٍ لهـــا في موضع عن كل خير شاسع

---

١ – لعل ذلك كان عادة عند الطبقات الشعبية في سبتة والنافع هو الرازيانج.

دارٍ خرابٍ في مكانٍ مُوحش ما بَيْن آثار هناك بَلاقع
فقعدتُ في بيت صغير مظلمٍ لا شيء فيه سوى حَصِير الجامع
فسمعت حِسًّا عن شِمَالِيَ مُنكَراً وتنحنحاً يحكي نَقِيقَ ضفادع
فأردتُ أن أنجُو بنفسي هاربا ووَثَبْتُ عند الباب وَثْبة جازع
فلقيتهن وقد أتَيْنَ بجذوة فَرَدَدْنَني وَحَبَسْنَني بمَجامِع
ودَخلْن بي للبيت واسْتَجْلَسْنَني فجلستُ كالمقْرور يومَ زَعازع
وأشرْنَ لي نحو السماء وقُلْن لي هذي زُوَيْبِعَةٌ وبنتُ زوابع
هذي خليلَتُك التي زُوِّجتَها فاجلِس هنا معها لِيَوْم السابع
وتهنَّأ النُّعمَى التي خُوِّلتَها فلقد حصَلْتَ على رياض يانع[1]
فنظرتُ نحو خليلتي مُتأمِّلا فوجدتُها محجُوبةً ببراقع
وأتيتُها وأردتُ نَزْعَ خِمَارها فغدَتْ تُدافعني بجدّ وازِع
فوجَأْتُها في صَدْرِها ونَزَعْتُه وكشفتُ هامتَها بغيظ صارع
فوجدتُها قَرْعاء تحسب أنها مقروعةٌ في رأسها بمَقَارع
حولاءَ تنظر قَرْنها في ساقِها فتخالُها مبهوتةً في الشارع
فَطْساءَ تحجُو أن رَوْثَةَ أنفها قُطِعَت فلا شلَّت يمينُ القاطع

١ — فيه وصف الرياض وهو جمع بالمفرد وذلك من مجاراة الاصطلاح العامي .

صمَّاءَ تُدعى بالبَريح [1] وتارةً بالطَّبْل أو يُوتَى لها بمقَامع
بَكمَاءَ إن رامتْ كلاماً صوَّتت تصويت مِعْزَى نحوَ جَدْيٍ راضع
عَرْجاءَ إن قامت تُعالِجُ مَشْيها أَبصرَتْ مِشْية ضالع أو خامِع
فلقيتُها وجعلتُ أَبصُقُ نحوهـا وأَفِرُّ نحوَ دُجاً وغيْث هامـع
حيْرانَ أَعدُو في الزُّقاق كأَنني لِصٌّ أَحسَّ بطالب أو تابـع
حتى إذا لاحَ الصباحُ وفتَّحُوا بابَ المدينة كنتُ أَوَّل كاسع
واللهِ ما لي بعد ذاك بأمرِها عِلْمٌ ولا بأُمور بيتي الضائع

وقال أَبو عبدالله المكودي ، وبعَثَ له بعضُ إخوانه بشراب مَذيق :

بعثتَ بخَمْر فيه ماءٌ وإنَّما بعثتَ بمـاء فيه رائحةُ الخمر
فقلَّ عليه الشُّكر إذ قلَّ سُكْرنا فنحن بلا سُكْر وأنتَ بلا شُكْر

وقال أَبو ٱلقَاسِم الشريف في طُفَيْلي :

قالوا أَبو بكر متَى ما حضر الأكل طلع
وإن تكن وليمةٌ يخُبُّ فيها ويضع
ما أَعجَب السعدَ الذي ساعـد ذلك اللُّكَع
فقلتُ حقاً قلتُم لكنَّه سَعْد بَلَع

---

١ — اي النداء العالي .

وقال العلّامة ابن غازي في تلاميذه الجاحدين :

أقمتُ بمَكْناسةٍ مُدَّةً أُعلِّمُ أبناءها ما ٱلْكلام
فلما توهَّمه بعضُهم عليَّ به بَخِلوا والسَّلام

وقال رابح بنُ عبد الصمد المَدْيوني ٱلْفَشْتالي (من أهل ٱلقرن العاشر) في أبي الفضل الشريف المكِّي :

أَكُلُّ هَجِين ابعَدتْه يَدُ النَّوى يلُوذُ بأبْواب الورى يتكَفَّف
وكلُّ زَنيمٍ جاهلٍ قدرَ نَفْسِه يُزاحِمُ أهلَ البيْت كي يَتَشرَّفُ

وله في أَسْوَد :

وأسود يفْتَتُّ الدُّجى من جَبينه تَشاءمْتُ من رُؤْياه عند المُلاقاةِ
له نِعْمَةٌ ليست تَليقُ بمثله من النعمة المغبوطَة الحسناتِ

ولابن الخطيب الزَّرْوِيلي المتوفى ٩٩٣ يهجو مدينةَ مراكش ؛

ما كان ظني وحقِّ الله فُرْقتكم لو أَن مرَّاكُشا كانت تُواتيني
أَظَلُّ في نَصب مما أُكابِدُ من نفْضِ الغُبار ومن طَرْد الذَّبابين
وطُول ليْلي في كدّ وفي تعَب ما بين بَقّ وناموس يُناغيني
أَبيتُ أحرس فَرْشي من عقاربها والقلبُ في فكر منها وتخْمين
اذا رأيتُ سَواداً مَرَّ بي وأتى ظَنَنْتُها عقربا دَبَّتْ لِتُوذِيني

لم يبقَ في الفَم ضِرْس أَستَعِدُّ به أَفناه مَضْغُ الحصَى من الطَّوَاحين
مُنُّوا عليَّ بإطلاقي بفَضْلِكُم هذا العَجاجُ بها قد كاد يُعْميني
لم يبق في الكيس فلسٌ استعين به أَفنَيتُ ماليَ في غسْل وتصْبين

وله في القَصْر الكَبير :

إرْحل من القَصْر واسمع قول ذي ثِقَةٍ إن المُقامَ به ضَرْبٌ من الحُمْق
إن لم تَمُتْ في أَوان الحر مُحتَرِقاً لم تنجُ فيه زمانَ البرد من غَرق

ولابن عَمْرو الشاوي في العدول الجهال :

إن العُدولَ الأُلى جاد الزمانُ بهم عن العدالة والتوفيق قد عَدلُوا
أَحداثُ سنٍّ وألبابُ كسِنِّهِمْ تاللهِ لو شهدُوا في الكَلْب ما قُبِلوا

وقال عبد الملك التَّجْمُوعتي يهجو البربر :

همْ البرابر لا ترجو نَوالَهمُ وَسلْ من الله تعجيلَ النَّوى لَهمُ
لا بلَّغ اللهُ قلباً منهمُ أَملاً وبلَّغَ الله قلبي ما نوى لهم

وقال ايضاً فيهم :

فلو كنتُ في الفردَوْس جاراً لبَرْبرٍ لَحوَّلتُ رَحْلي من نعيمٍ الى سقَرْ
يقولون للرَّحمن بابا بِجَهْلِهم ومن قال للرحمن بابا فقد كفَرْ

وأجابه العلامة اليُوسي بقوله :

كَفي بكَ جهلاً أن تحِنَّ الى سقَرْ بديلاً من الفِرْدَوْس في غير مُسْتَقَرّ
وتجهل معنىً مُستبِيناً مَجازُه لدى كل ذي فهم سليم وذي نظر
فان أَبا الانسان يدعوه انه كفيلٌ وقيُّوم رحيمٌ به وبَرّ
ومَن قال للرحمن بابَا فقد عَنى به ذلك المَعنى المَجاز وما كَفَرْ
وقد قال عيسى إِنني ذاهب الى أَبي وأَبيكم جاء ذلك في الأَثَرْ

وقال اليُوسي ، أَنفذه في رُقعَة مع طعام لبعض ضِيفانه :

كُلوا واعذُروني في التخلُّف إنني رأيتُ اتِّباعَ الظَّرف ليس من الظَّرف[1]
وأَحسنُ ظَرْفي تركُ ضيفي كما يشا
وليس ارْتقابُ الضيف من شِيَم الظَّرْف[2]

وقال الطبيب عبد القادر بن شقرون معَمِّيا في التَّمْر المَجهول[3] :

ما أَحمَرُ اللَّوْنِ حلوُ الطعم مَغسُول يُعزَى لذاتِ عقاصٍ زانَها طولُ
قد شاع معرُوفُها بين الورى كرماً فاعْجَبْ لمعروف أَم وهو مجْهول

---

١ — الظرف الأول بمعنى الاناء والثاني اللطافة والأدب .
٢ — الطرف بالفتح والكسر الفتى الكريم .
٣ — يطلق التمر المجهول في المغرب على اجود انواع التمر واضخمه .

وقال كذلك في اللّفت البلدي وهو السَّلْجَم :

مَا أبيضٌ في خدِّه حُمْرةٌ يرفل في ثوْب من السُّنْدُس
قد بيعَ في السُّوقِ على حُسْنهِ مَظْلَمَةً بالثّمن الأَبخَس
أَلّفتُ في أَوْصافه جُمَلاً مُعجِبَةً للحاذق الأَكْيَس

وقال محمد بن الشيخ سِيدي الشنقيطي في رجل أكول اسمه : نحن وكان يدّعي الشرف :

ما هزَّ عِطْفَيْ كَمِيٍّ يومَ هيجاء بين الأَواني كذِي النُّونَين والحاء
فرد يقوم مقام الجمع وهو لذا يُدعى بمضمَر جَمْع بينَ أسماء
يسطُو بأَسلِحَةٍ للأَكلِ أَرْبَعَةٍ يدٍ وفَمٍ وبَلْعُوم وأَمْعـــاء
تخال لُقْمَاتِه العُظمى براحته كَراكِرَ الإِبْل أَو جَماجِمَ الشّاء
ما بين طلْعَتها فيها وغيْبتها في فِيه الاَّ كلَمْح الطّرف للرّائي
فتنبَوي كَدُلِيٍّ خـــانَ ماتِحَها أَشطانُها فترامَت بين أَرْحاء
فبان أَن الذي يَحويه من شرف قد صحَّ لكنّه بالهاء لا الفَاء

وقال الأَديب عبدالسلام الزموري المتوفى ١٢٧٩ في شراب الشاي :

الحمد لله الذي نعَّمنا بكلِّ مطعوم به أَطعَمنا
وكلِّ مَشروب لذيذ طيِّب حُلو حَلال كالغمام الصيِّب

مثل الأَتاي (اللَّنْدُ ريزي) مذهبَه على صفا صِينِيَّــة مُلْتَهِبَه
تطايَرَ الهمُّ لديه وانشرح صدرُ الذي يشرَبُه من الفرح
فان يكن مُعَنْبراً [1] فذاك في مذهبنا المعروف خيرُ ما اصطُفِي
وذا الى ثلاثةٍ او أَربُعـا من الأَحبَّة وما زاد ادْفعا
ما لم يكن مُغَنِّياً او مُطْرِبا او ذا مَلاحةٍ يُـرَى مُحبَّبا
فَهْوَ الذي يُقيمُه ويُحسِنُه وكلُّنا من يده نَسْتحْسِنُه
وان يكُنْ مُنَعْنَعاً فذاك لا وحقِّكُم يصلُح الا للمَلَا
او للذي أُولِعَ بالحنَّاوى [2] او اشْتكى ضُرّا فللتَّداوى
خُذه فدَتْك النفس من قبل الطعام او بعده فما عليــك من مَلام
إلَّا اذا كان الطعامُ كُسْكُسا فكلُّ مَن أَخَّره فقــد أَسا
ووقتُه وقتُ سرور وانبساط وحيثُما دعـا لِشُربه النشاط
وقتُ الصباح عندهم مُستَحسَن لكنَّه بعــد العَشاء أَحسَنُ
اذ وقتُه وقتُ فراغ البـال وراحةِ القَلب من الاشغال
والأَمن من كل ثقيل يدخُل او خبرٍ على النفوس يَثقُل
مع اتِّساع الوقت للمُنادَمــهْ ولذةِ الجــلوس والمُكالمهْ
وذاك في الصَّباح لا يتَّفِقُ وهُوَ من بعد العَشا مُحقَّقُ

---

١ — يضيف بعض الناس العنبر الى الشاي فهو المعنبر .

٢ — اي النوع الرديء نسبة الى الحناء على غير قياس .

أَكْرِمْ بذاك الوقتِ وقتِ الكُرما   وانَّما الليلُ نهار النُّدمـــا
يُومن فيه مَعَ غلْق الباب   وسَدْل ما يسْتُر من حِجاب
وَاخترْ له من الشُّموع الأَبيضَا   كأَلسن الأَفعى اذا تَنَضْنَضا
على دُخانِ العُود اذ يَحْتَرِق   وماءِ وَرْد عِطـــرُه ينتَشق
ولا أَرى الأَتــــايَ بالقِنْديل   والزَّيتِ والمِنْخاس والمِنْديل
اذ كلُّ امره على النظافـــة   قد انبَنى وشرْطه اللطافـــة
لا سيما الساقِي الذي يُناوِلُه   كذلك الكأْس الذي تَستَعْمِلُه
وشرْبه على خــــلاء المعِدَة   جازَ على شرط حضور المائدة
تاخذُ منها لقمةً او لُقمَتَيْن   من قبل أن تشرَب منه حَلْقَتَيْن
وأَحزنـــه مطلقاً حيْثُ تلا   ما كان مالحاً يُرَى مَخلَّلا
وشُربه على الشِّوَاء والكَباب   يفتح للصحة منه ألف بابْ



الرثاء وذكر الموت

لأبي الحسن المُسَفِّر في المَوْت وفَلسَفتِه ، ويُقال إنها وُجِدت تحت وِسَادته بعد وفاته :

قُـــلْ لإخوانٍ رأوْني ميتاً فبكَوْني ورثوني حزَنــا
أعلَى الغـــائب مني حزنكُم أم على الحــاضر معْكُم هَاهُنا
أتظنُّون بـــأنّي ميْتُكُم ليسَ ذاكَ المَيْت واللهِ أنـــا
أنا في الصُّور وهذا جَسَدِي كانَ لبْسِي وقَمِيصي زَمَنـــا
أنا كنزٌ وحِجَـــابي طَلْسَمٌ من تُراب قـــد تَهيَّا للفنـــا
أنا دُرٌّ قـــد حوَاني صَدَفٌ طِرْتُ عنه فتخلَّى رَهَنـــا
أنا عُصفورٌ وهـــذا قفَصِي كان سِجْني فألِفْتُ ٱلسِّجَنـــا
أشكُر اللهَ الذي خلَّصَني وبنَى لي في المَعالي رُكْنـــا
كنتُ قبلَ اليومَ ميْتاً بينكم فحَيِيتُ وخلَعْتُ الكَفَنـــا
فـــأ نا اليوم أناجي مَـــلأً وأرَى اللهَ جِهـــاراً علَنـــا
عاكفٌ في اللوح أقرَآ وأرَى كلّ ما كان ويَأتِي ودَنـــا

وطعـــامي وشرابِي واحدٌ هو رَمْزٌ فـــافهَمُوه حسَنا
ليس خمْراً سائِغاً أو عَسلاً لَا ، ولَا مـاءً ولكِنْ لَبَنـــا
هو مشْرُوب رسولِ الله اذْ كان يَسْري فِطْره مع فِطَرنـــا
فـافهَمُوا ٱلْسرَّ ففيـــه نبأٌ أيُّ معْنًى تحت لفظٍ كَمَنـــا
فاهدِمُوا بيْتِي ورُضُّوا قفَصِي وذَرُوا الطِّلْسَم بعدي وَثنـــا
وقَمِيصي مزِّقُوه رِمَمـــاً ودَعُوا الكلَّ دفيناً بيْننـــا
قـــد ترَّحلتُ وخلَّفتُكُمُ لستُ ارْضَى دارَكُم لي وطَنـــا
حَيٌّ ذِي الدار نَوُّومٌ مُغْرِقٌ فـــاذا ماتَ أطارَ الوَسَنَـــا
لا تظُنُّوا الموتَ موْتـــاً إِنَّـــه لَحيـــاةٌ هي غَـــايَاتُ المُنَى
لا تَرُعْكُم هَجْمَةُ الموْتِ فمـــا هِيَ الا نُقْلَةٌ من هَاهُنـــا
فاخلعُوا الأجْسادَ عن انْفُسِكُمْ تُبصِرُوا الحقَّ عِيَاناً بَيِّنـــا
وخُذُوا في الزَّاد جُهداً لا تَنُوا ليس بالعَاقِل منَّا مَن وَنَى
حسِّنُوا الظن برَب راحِمٍ تَشكُرُوا ٱلْسَّعْي وتأْتُوا أَمَنـــا
مـــا أرى نفسِيَ الا أنتُـــمُ واعْتِقادي أنكُم أنتُم أنـــا
عنصُرُ الأنْفُسِ منَّـــا واحدٌ وكذا الجِسْمُ جميعاً عمَّنـــا
فمَتى مـــا كَانَ خيْرٌ فلَنـــا ومتَى مـــا كان شَرٌّ فَبِنـــا
فـــارحَمُوني ترْحَمُوا أنفُسَكم واعْلَمُوا أنَّكُمُ في إثْرِنـــا
أسألُ اللهَ لنَفْسي رحمـــةً رحِمَ اللهُ صديقـــاً أمَّنـــا

وعليكُمْ من سَلامِي صَيِّبٌ وسلامُ الله بـدأً وثُنَى
أبدَ الدَّهر الى يومَ يَرى بعضُنا بعضاً لرَحْبٍ وهَنـا

ولأَبي جعفر بن عَطية يبكي نفسَه حيث نكَبه عبدُ المومن :

أَنوحُ عَلى نفْسي أم انتَظِرُ ٱلصَّفحا فقد آنَ أنْ تنْسَى الذُنوبُ وان تُمحَى
وها أنا في ليلٍ من ٱلسُّخط حائرٍ ولا أهْتَدِي حتى ارَى للرّضا صُبْحا

ولَميْمُون الخطّابي يَرثي عَبدَ الله بن ابي بكر ابنِ الجَدّ ويعزّي أباه وهو يومئذ وزيرُ اشبيلية وعظيمُها وكانت حاضرةَ الاندلس :

أرَجّةُ ٱلصَّعْقِ يوم النفخ في الصور أم دكَّةُ ٱلطُّور يوم ٱلصعق في ٱلطُّور
أم هَدَّةُ الارض اظهاراً لما زَجرَتْ به الخَليقَةَ من إيقَاع مَحْذُور
أمِ الكواكبُ في آفاقِها انتَثرَتْ وباتَت الشمسُ في طيّ وتكْوِير
ما للنهار تَعرَّى من ثياب سَنا وشابَهَ الليلَ في أثواب دَيْجُور
قد كان للصُّبح طِرْفٌ زانَه بَلَقٌ مُقسَّم الخَلْق بينَ الدَّجن والنُّور
فما المُلِمُّ الذي غشَّى بدُهْمته أديمَه عنبراً من بعد كافور
أَصِخْ لتَسمع من أنبائها نبأً يطوِي من الأُنْس فيها كلَّ منشور
وانظُر فان بَني عَدنانَ ما حُشِرُوا الا لرُزْء عظيم القدْر مشهُور
وافى مع العِيد لا عادتْ مَضاضَتُه فشابَ سَلْساله الاصفى بتَكْدير
واعتامَ داراً لها في السبق جَمهرةٌ من المفاخِر أزْرَت بالجَماهِير

رَمى قُرَيْشاً فأصمَى سهمُ حادثه أبنـــاءَ فِهْر بتوفيق المَقادير
فخانها الجَدُّ في ابن الجَدّ يومَ قضَى وأثَّر الخطبُ فيهـــا أيَّ تأْثير
لله والمجــدِ مـا أبقـاه من أَثر أُخرَى الليالي بطيب الذكْر مَأْثور
نوّارةٌ عند ما راقت بدَوْحَتِهـا أهوتْ الى التُّرب من بين النّواوير
جارَ الذبولُ عليها عندما ملأَتْ مَعَاطِسَ الدهر من طيبٍ وتعْطير
وسيفُ بأسٍ لِكَسْرِ الخطب أغمَده صَرْفُ الحوادث فيها بعد تَكْسير
قضَى فوافق شهرَ الصوم مُرتحِلاً ووافَقَ الشهرَ في فضل وتطهير
واختاره خاطِبُ الخطبِ المُلمِّ به للصّبْر كُفؤاً فأمضى العَقْد للحُور
فسار للحَيْن مسروراً وخلَّفنــا للحُزْن فاعْجَب لمحزُون بمَسْرور
ناديتُ يا حاديَ الاحزان يومَ حَدا أظعان قلبيَ رِفْقاً بالقَوارير
فالوَجدُ والدمْعُ من حُزْنٍ قد اقتَسمَا قلبي وجَفْني بمنظْوم ومنثور
فالقلبُ بالغَيْظ في تصعيد مُستَعِر والجفنُ بالفَيْض في تصْويب مَمطور
وسائقُ الخَطْب يشدُو الحاملين له يسوقُهم سوْقَ حادي العير للعير
وللملائك في آفاقِها زَجَلٌ قــد شفَّعتْه بتهْليــل وتكبير
ثنى المصابُ على شيخ الجزيرة في عَقْد وحَــلّ وتقديم وتأخـــير
ذاقَ الرزَايا على مقدار مَنْصِبه والابتلاءُ على قــدر المقادير
إن كان فرَّق شملَ الأُنس منه فكم أوْلاه للجَـدّ من جمع وتَوْفير
يا دهرُ حمَّلته وقعَ الخطوب ولم تزَل تُنفِّــذ عنـــه كلَّ مأْمور

أردتَ بالصبر مِنْه أن تُقيمَ لنا برهانَ تقديمه للخَيْر والخير
يا عامرَ التُّرب كم خلَّفْتَ من كَبِد ومن فؤادٍ بثاوي الحزن مَعْمور
لو كنتَ تُحمى وتُفدَى للعُلا ابتدرت آلافها بالقَني أو بالقَناطير [1]
وانما الموتُ حكم ليس يدخُلُه نَسْخُ لخلق وعدلٌ دون تَجْوير
يقضي على الأُسْد في الآجام حاكِمُه وفي الكِناس على البِيض اليعافير
ويمتطي الشُّهبَ في شُمِّ الجبال كما في الوكر يعتامُ أفراخ العصافير
أعظمْ بآيتِه من آيةٍ عظُمَت فليس تُدرَك في حال بتَفْسير
فسلِّم الامرَ فالاقدار قد نَفذتْ وكلٌّ شيء بتدبير وتقدير
ما فقرُ ذي الفَقْر عن جَهْلٍ وعن كَسَلٍ ولا غِنَى المرء عن كَيْس وتَشْمير
ولا الحِمامُ بنقْص في المِزاج ولا ضُعف الطَّبيعة عن أسباب تدْبير
فكَمْ صحيحٍ قضَى فيها بلا مَرَضٍ وكم مريضٍ أقامتْه لِتَعْمير

★★★

فاسمَعْ بقَلْبك فالاشياءُ ناطِقَةٌ وألْسُنُ الحالِ تُغني كلَّ نِحْرير
مُقدِّمات الليالي طالما فضَحت نَتائِجُ الغَدْر منها كلَّ مغرور
جمعُ السَّلامة معدومُ الوجُودِ بها فكم بها للرَّدى من جمْع تكسير

(١) القنا جمع قناة وهي الرمح والقناطير المال الكبير جمع قنطار .

والكونُ طِرْسٌ وهذا الخلق أحرُفه والحَرْفُ ما بين مَمْحُوّ ومَبْتُور
والدهرُ يُعربُ والافعالُ يُظهرُها طوْعاً ويُعْجِمُ منها كلَّ مسطور
وانما الخلقُ أسماءٌ تَعاوَرَها إعرابُه بين مرْفُوع ومَجْرور
وكلُّهم في مَدَى الاعمار تحسبُهم كحالِها بين مَمْدود ومَقْصور
والموتُ مثلُ عَرُوضي يُقَطِّعُ من أبيَاتِهم كلَّ موْزُون ومكْسور
يا مَن يُؤمِّلُ أن يبقَى وقد نُفِضَتْ أيْدي المقادير من إبْرام تقدير
هذي الحقيقةُ لا ما حدَّثتْكَ به آمالُ نفسِك عن دُنياك من زُور
لا تَخدَعَنْكَ الليالي إنَّ فِتنَتها كادَتْ فكادَتْ تُرِيناً كلَّ محذُور
كم باكَرتْ بِعَبُوس الخَطْب من مَلِك قد كان بالبِشْر وَضّاحَ الأَسارير
سائلْ بكِسْرى مَليكِ الفُرْسِ هل تركت له المنَايا جَناحاً غيرَ مكسور
وانْزِل بصَنْعاءَ في قصْر ابنِ ذِي يَزَنٍ تُلْمِمْ بقَصْر على الأَغيار مقصور
واعبُر على حِيرَةِ النُّعمان مُعتبِراً تَعبُرْ بأطْلال نُعمَى ذاتِ تغْيير
وأين مَن كان سِجْنُ الجِنّ في يده والإنسُ والجِنُّ في قَهْر وتسخير
وأين مُخْتَرِقُ الدنيا بعَزْمَتِه يطوي البلادَ معاً طَيَّ الطَّوامير[1]
بَادُوا فليس بها بَادٍ يُحَسُّ بِهِ منهم وأَفناهُمُ رَيْبُ الدَّهارِير

★★★

(١) جمع طومار وهي الصحيفة .

هوَ القضاءُ أبا بكر أُصِبْتَ به فاصبِرْ وسلّم له تسليمَ مأجور
واللهُ يحرس علياكم ويرفعُ عن سامي معاليك أنواعَ المحاذير

ولابي العباس الجزنائي يرثي جاريته صُبْحاً :

يا صاحبَ القبر الذي أعلامُه درستْ ولكن حبُّه لم يدرُسِ
ما اليأسُ منكِ على التصبُّر حاملي أيأستني فكأنّني لم أيأسِ
لما ذهبتِ بكل حُسْن أصبحت نفسي تُعاني شَجْوَ كلّ الانفُس
يا صبحُ ايامي ليالٍ كلُّها لا تنجلي عن صُبْحكِ المُتنفِّس

وله يُخاطب قبرَها :

يا قبرَ صُبْح حلّ فيكَ لِمُهْجتي أسنَى الأماني
وغدوتَ بعد عِيانها أشهَى البقاع الى العِيان
أخشَى المنيةَ إنها تُنئي مكانك عن مكاني
كم بين مَقْبُورٍ بفا س وقابرٍ بالقَيْرَوان

وللعلامة ابي بكر بن شَبْرين السبتي يرثي بَلديَّه العلامة ابنَ هانيء :

قد كانَ ما قال البَريد فاصبِرْ فحُزنُك لا يُفيد
أوْدَى ابنُ هانيءِ الرّضى فاعتادني للثُّكل عيد
بحرُ العلوم وصَدْرُها وعميدُها إذْ لا عميد
قد كان زَيْناً للوُجود ففيه قد جُمع الوُجود

العـلمُ والتحقيقُ والتو فيـقُ والحسَبُ التَّليـد
تنـدَى خـلائقُه فقُـل فيهـا هِيَ الروضُ المَجُود
مُغْضٍ عن الإخوان لا جَهْمُ اللِّقـاء ولا كَنُود
أَوْدَى شهيـداً باذِلاً مَجْهُودَه نِعْم الشَّهيد
لمْ أَنسَه حِـين المَعـارِفُ بِاْسمِـه فينـا تُشيـد
وله صُبُوب في طِـلا ب العـلم يتْـلُوه صُعُود
لله وقتٌ كان ينـظِمنا كما نُظِم الفَريـد
أيامَ نغـدُو أَوْ نَرُوح وسَعْيُنا السعيُ الحَمِـيد
وإذِ المَشِيخَةُ جُثَّمٌ هَضَبات حِلْم لا تَمِـيد
ومُرادُنـا جـمٌّ النَّبـات وعَيْشُنا خَضِر بَرُود
لَهفي على الإخوان والأ تراب كلُّهمُ فَقِيـد
لَوْ جِئْتُ أَوطـاني لأَنكَر ني التَّهائمُ والنُّجُود
ولَرَاعَ نفسي شَيْبُ مَن غادَرْتُـه وهْو الوَليـد
ولَطُفتُ مـا بـيْن اللُّحود وقـد تكَـاثَرتِ اللُّحود
سَرْعانَ ما عاثَ الحِمَام ونحنُ أيقـاظٌ هُجُود
كم رُمتُ إعمالَ المَسير فقيَّدتْ عزْمي قُيود
والآنَ أخلَفتِ الوُعود وأَخلَقَت تِلـك البُرود
ما للفتَى ما يبتغي فاللهُ يفعلُ ما يُريد

أعَلَى القديمِ المُلْك يا وَيْلاه يَعْتَرِض العَبِيد ؟
يا بَيْنُ قد طَال المَدى أَبْرِقْ وأَرعِدْ يا يَزِيد [(١)]
ولِكُلّ شيء غايةٌ ولرُبَّما لانَ الحديد

★ ★ ★

إيهٍ أبا عبد الإله وبَيْنَنا مَرْمىً بَعيد
أينَ الرَّسائلُ منكَ تأ تِينا كما نَسْقِ العُقود
أينَ الرُّسوم الصالحاتُ تصرَّمتْ اينَ العُهود
أَنعِمْ مساءً لا تُخَطِّيك البشائر والسُّعود
واقْدَم على دارِ الرِّضا حيثُ الإقامةُ والخُلود
والْقَ الأَحِبَّةَ حيث دارُ المُلْك والقَصْرُ المَشيد
حتَّى الشهَادةُ لم تفُتْك فَنجْمُك النجمُ السَّعيد
لا تَبْعدَنَّ وعْدُ لَو انَّ البدء في الدنيا يَعُود
فَلئن بَليتَ فانَّ ذكرَ كَ في الدُّنا غَضٌّ جديد
تاللهِ لا تَنْسَاك أَندِ يَةُ العُلا ما اخْضَرَّ عُود
واذا تُسومِحَ في الحقوق فحَقُّك الحقُّ الأكيد

(١) تلميح لقول الكميت : أبرق وأرعد يا يزيد فما وعيدك لي بضائر .

جادَتْ صداكَ غمامَةٌ يُرْمى بها ذاكَ الصَّعيد
وتعهَّدَتْكَ مِن المُهيْمن رحمَةٌ أبداً وجُود

وله يَرْثي مَلِك غرناطة المُغتال محمدَ بنَ اسماعيل بن الأحمر :

عَيْنُ بكِّي لميت غادَرُوه في ثَراهُ مُلْقىً وقد غدَرُوه
دَفَنُوه ولم يُصلِّ عليْه أحدٌ منهم ولا غسَلُوه
إنما ماتَ حين ماتَ شَهِيداً فأَقامُوا رَسْماً ولم يقْصِدُوه[1]

ولابن عبد المنَّان يرثي الحاجب أبا عبد الله التَّميمي وفيه جِناس وتَوْرية :

مَن كان يبكي ماجداً فلْيَجُد بالمدمع السَّكْب على الحاجب
يَمَّمَ وجْهَ المجد فاغْتاله صَرْفُ الرَّدى لم يخش من حاجِب
عينٌ أصابتْه ويا قُرْبَ ما في الوجه بين العيْن والحاجِب

وللشيخ القَصَّار على ما نسَبه اليه غيرُ واحدٍ من الأَثْبات بخُطوطهم والبيتُ الاولُ رأيناه في كتُب القدماء فهو مُضمَّن : [2]

---

(١) يعني دفنه دون غسل ولا صلاة كما يدفن الشهداء وذلك للهرج والفتنة

(٢) من غريب امر هذه الابيات اننا رأيناها في كتاب (منتخبات ادبية) للاب بشير إجيا اليسوعي ج ٢ ص ٣١ تحت عنوان (وصيتي) منسوبة لمحمد الدكدجي؛ فيا لَأدبيات المغرب اليتيمة من الاهمال !

(زُرْ والدَيْكَ وقِفْ على قَبْرَيْهما فكأنني بِكَ قد نُقلتَ اليْهما)
لو كُنتَ حيثُ هما وكانا بالبقَا زاراكَ حبْواً ، لا على قدميْهما
أنسيتَ عهْدَهما عشيّةَ أسكنـا دارَ البِلَى وسكنْتَ في داريْهما
ما كانَ ذنبُهما اليكَ وانما منحاكَ محْضَ الوُدّ من نفْسَيْهما
كانا إذا ما أبصرَا بك علّةً جزعا لِمَا تشكو وشقّ عليهما
كانا اذا سمعا أنينَك أسبَلا دمْعَيْهما أسفاً على خدَّيْهما
وتمنَّيا لو صادفَا لكَ راحةً بجميع ما يَحْوِيه مُلك يدَيْهما
فلتلْحقَنَّهما غداً او بعده حتْماً كما لحقَا هُما أبوَيْهما
ولتَقْدَمنَّ على فِعالك مثلَ ما قدِمَا هُما ايضاً على فِعْلَيْهما
بُشْراكَ إن قدَّمتَ فعلاً صالحاً وقضَيْتَ بعضَ الحق من حقَّيْهما
وقرأتَ من آيِ الكتاب بقدْرِ ما تَسْطيعُه وبعثْتَ ذاكَ إليْهما
فاحفَظْ بُنَيّ وصيَّتي واعمَلْ بها فعسَى تنالُ الفوْزَ من برَّيْهما

وللشيخ رِضْوان الجَنْوي :

إذا شئتَ أن تبكِي فقيداً من الورى وتَندُبَه بعد النبيّ المكرَّم
فلا تبكِيَنْ الا على فَقْدِ عالمٍ يُبادِرُ بالتفهيم للمُتعلِّم
وفقدِ إمامٍ عادلٍ قام مُلكُه بانوار حُكْمُ العَدْلِ لا بالتحكُّم
وفَقد شُجاعٍ صادق في جِهاده وقد كُسِرتْ راياتُه في التقدُّم

وفقدِ سَخيٍّ لا يملُّ من العطا ليطفئَ بؤسَ الفقرعن كلِّ معدم
وفقدِ تَقِيٍّ زاهدٍ مُتورِّع مُطيع لرب العالمين مُعظِّم
فهُم خمسةٌ يُبكى عليهم وغيرُهم إلى حيثُ ألقتْ رحلَها أمُّ قَشْعم[1]

وللشيخ ابي عثمان سعيد بن علي الجزُولي الحامدي يَرثي المولى محمد الحرّان ابنِ محمد الشّيخ المَهْدِي السَّعْدي وقد توفي سنة ٩٥٥ وكان يُذكَر بالشجاعة والحِلْم والعِلْم :

أتَرْوِي الاماني والاماني سَرابُ وتُغْني المغاني والمغاني خَرابُ
إلى مَ التَّعامي والتعلُّل بالمُنَى وقد قُرِّبتْ للظاعنين رِكَاب
خليلي من سُودِ الليالي أساوِدٌ تَعضُّ بصَرْف والمنايا لُعَاب
فمَن تكُن الايامُ يوماً سَررْنَه فإنّي بأيامِ الزمــان مُصَاب
نَعِيٌّ أتاني والنعيُّ محمد[2] رَددت عليه والدموعُ جَواب
بُكاءً لمن شدَّت عُرى الملك كَفُّه ومَن رأيُه في المُعْضلات شِهابُ
مَهيباً تُلاقيه القبائلُ والقَنــا فتُغْضي وأعمارُ الكُماة نِهاب
كريم غذَتْهُ المَكْرُماتُ وسيِّد نَمتْه كِرامُ الناس طابَ وطابوا
أتتْه المنايا خِلْسةً حيثُ أيقنت بأن اخْتلاسا في القلوب غِلاب
فتىً نِيطَ حُبُّ المأثُرات بلَحْمه فهُنَّ حُلاه والمديح ثِيــاب
فياليتَ مَن نادى صَداه يُجيبُه كما كان مَن نادَاه فهْوَ يُجاب

(١) الداهية والمنية . (٢) يرد النعي بمعنى الناعي والمنعي .

وإنَّ طلابَ الناس للْعُرْف بَعْده وقد غيَّبُوه في الثَّرى لَعُجاب

لقدبَثَّ بثَّاالحُزْنفي الارض هُلْكُه فكلُّ عميدٍ في البلاد مُصاب

نَعتْه القوافي للعَوافي فأعْولَتْ بَنَاتُ الفَيافي أنسُرٌ وذئَاب

أظُنُّ صُروفَ الدهر تَحدُثُ بعدَه ستَحْلُو وإنَّ الحادثات لَصابُ

كما حالَ حالُ الطَّيِّبات لفقْده [1] عن العَهْد حوْلاً فالعذَابُ عذاب [2]

عظيمٌ ألمَّ في عظيم بمثْله وبين الشُّكُول في القياس نِساب

فيَا طيِّباً طاب الثَّرى بعظامه قضَيْتَ ولم يُلْمِمْ بسَاحك عَاب

سلامٌ ورضوانٌ عليكَ ورَحْمَةٌ يُوافيكَ منها في الضَّريح رِغَاب

عليكَ أبا الحرَّان صَبراً فذُقْ به دَواءً لأَدْوَاءِ الزمان يُشَاب

رُزِئْتَ جليلاً فاحْتَسِبْهُ فانه وإن جلَّ خطْبٌ فالعَزاء عصَاب [3]

لعلَّ مساسَ الرُّزء يقدَح ما به تُهدُّ صِلادٌ او تُفَتُّ صِلَاب

فكُن هَضبةً نأوِي اليها فإنَّما الخـطوبُ سُيُولٌ والملوكُ هضَابُ

على أنَّه التمحيصُ والمَيْزُ حاكِمٌ بإنَّك تبْرٌ والملـوكُ تُرَاب

فإن غاضَ منه جعْفَرُ البأْسِ والنَّدى ففي البَحْر والخُلْج العِظَام حِسَاب

وما ضَاع مجْدٌ قطُّ حُفَّ بقُبَّة فكيْفَ وقد حَفَّ القبابَ قِبابُ

رَعى اللهُ للإسلام فيها بُدُورَه وأخْصَب منهـا للانام جَناب

---

(١) حال يحول حولاً: تبدل. (٢) بكسر العين في الاول وفتحها في الثاني.

(٣) ما عصب به .

وللاديب عليّ بن احمد مِصْباح يَرثي الشهيدَ أبا الفضل جَسُّوس :

حـــلَّ بالدين يا لَقومِ بَلاءُ أحجمتْ دونَ وصفـــه الشعراء
قُتِلَ اليومَ أعلمُ الارض ظُلْماً فَبِه في الاسلام يُحقّ العَزاء
قَتلوه مِن أَجل أن كان أُستا ذاً أعزّتــه السُّنّةُ السمْحـاء
قتلوه من أَجل أن كان عن سُبْـــل الهوى فيه نُفْرَةٌ وإِبـــاء
قتلوه أَن كانَ للشَّرْع شمساً ليس تخفِي ضياءَها الظلماء
قتلوه أن كان حِصْناً به تُمْنَـــعُ عمَّا تُريـــده الاشقياء
قتلوه من اجل أن كان للشَّرْ ع حُساماً تَهابُـــه الامراء
قتـــلوه أن كان للحق قَوّا لاً ومَا إن تُضِلُّه الأَهواء
فانظُروا الدينَ أَنْ قضى نحبَه عبـــدُ السلام أَوْدَت بـه الغرباء
واذا نُودِيَ العبـادُ ليوم الـفصل جـاءُوا وهُم له شُهَداء
وهُناك الإلاهُ والخَلْقُ والأ ملاك طرّاً عن قَتْله خُصَماء
ما يكون الجوابْ منهم اذا ما سُحِبُوا في لظَى وبِيسَ الجزاء
لَهْفَ نفسي عليه هُدَّت به اليو مَ من الدين هَضْبَةٌ قَعْساء
لَهْفَ نفسي عليه ما لشُموس العلـــم حيث اختفت عليه انْجِلاء
عذّبوه حيّاً وقد كان سِيَّيْ نِ لدَيْـه السرّاءُ والضرّاء
واجتَنوْا ماله الذي سوف يُجْنى بُؤْسَهم حـين لا يَقِيهم نَجاء
فغَدا عائِلاً واولادُه والاهـــلُ طرّاً جَميعُهم فُقَراء .

غيرَ أنّهم لمَا رأوه من الله وانْ أمْلقوا فهُمْ أغنياء
صَبرُوا للقضاء واحتَسبُوا الاجـــرَ وما غيَّرتْهُمُ البأساء
ثم طافُوا به على الناس في الاسْواق كيما يكُون منهُم عطاء
فغدا المسلمون يُلْقُون أموالاً عليه رجالُهم والنِّساء
ما حبوْها الا لظنِّهمُ أنْ سوْفَ يأتي له بهنّ الفداء
ثم من بعد ذا سقوْه المنايا ليس واللهِ بعد هذا بلاء
يا لها من مُصيبَةٍ سار في الارْض وفوْق السَّما بها الإنباء
عمَّت المسلمين رُزْءاً فأضحت كلُّ عيْن منهم عراها البُكاء
يابنْ جسُّوس إن تكُن حَبَست للخوف عنكُم لسانَها الأُدباء
فأنا اليومَ مُفْصِحٌ برثاكم مثْلما صخْرَها رثتْ خنساء
فلْيَقُل من يشاءُ ما شاءَ ولْيفْعَلْ فبي من بَلْواكُم بُرحَاء
فعسَى إن لقِيتُكم يومَ حشْر تشْفَعُنْ لي فإنكُم شُفَعاء

وللشيخ أبي عليّ اليُوسي يرثي زَاوِيةَ الدّلاء لمَّا أوقع بها السلطان مولاي رشيد العلوي سنة ١٠٧٨ :

أُكلِّفُ جفْنَ العين أن ينثُر الدرّا فيأبى ويعْتاضُ العَقيق بها حَمْرا
وأسأَلهُ أن يكتُم الوجدَ ساعةً فيُفشِي وإنَّ اللومَ آونةً أغْرى
وقد كنتُ أستَصْحِيه حتى توقّدت ★ جذًا الوَجد فاسْتَسقيتُه يُطفِىءُ الجَمْرا
على أنَّ دمعَ العيْن فضْلُ حُشاشةٍ تُذاب فماذا ينفَعُ الدمعُ أن يُجرى

وكانت سُروحُ الهم عنّي عَوازباً ... وبعد النّوى أضحتْ مراتعُها ٱلصَّدْرا

وكانت عيونُ الحادثات غوافلاً ... زماناً وخطْبُ الدهر كان بنا غِرّا

ليالِيَ كان البَيْنُ عن جيرةِ الحمى ... صَدُوداً ونظمُ ٱلشمل لم يَسْتَحِل نَثْرا

وكانت مُدامَاتُ الوصال مُدامةً ... على القَوْم صِرفاً لا مَزيجا ولا نَزْرا

تَجاذَبُ أخدانُ الصفاءِ كُؤُوسَها ... فلا تَخْتَشي منها خُمارا ولا سُكْرا

فبَيْنا ليالي الوصل بيضٌ ورَوْضُه ... بفَيْض النّدا كانَتْ مَرابِعُه خُضرا

عدَتْ غُدوةً أيدي الحوادث فاخْتَلَت ★ خَلاها[1] فعادَتْ بعدَ نَضْرتها غُبْرا

وأبْدَلْنَ مَأنُوسَ الديار وأهلَها ... بوَحْشٍ وحوّلْنَ الأَهيلَ بها قَفْرا

وبَيْنا جُموعُ الحيِّ كالرّاحِ شِبْتَها ... بمَاءٍ فما تخشَى جَفاءً ولا نَعْرا

وكالفَرْقَدَيْن الطالِعَيْن تألّفا ... وصاحِبَي الملْك الذي نادَم الشِّعْرى[2]

أصابتْهُم عينُ الكمال فغادَرتْ ... أكُفَّهُم من كلِّ ما جمعتْ صِفْرا

وردَّتْهُم مثلَ ٱلثُّرَيّا اذا رأتْ ... سُهَيْلاً بشَحْط البَيْن اوواصلٍ والرّا[3]

فأصبح في ارجائها البُومُ مُنشِداً ... يُردِّد مما قال مَن قد خلا شعْرا :

(كأنْ لم يَكُن بين الحَجُون الى الصّفا ... أنيسٌ) بلى لكن هوى جَدُّهم عَثْرا

---

(١) الخـلا النبات الرطب الرقيق واختلاؤه قطعه . (٢) هو جذيمة بن الأبرش ونديماه الفرقدان . (٣) كناية عن البعد والفراق فان الثريا نجم شامي وسهيلا نجم يماني وأما واصل فهو ابن عطاء شيخ المعتزلة كان يلثغ بالراء فيبدلها غيناً ولاقتداره على الكلام يتجنبها فلا تقع في كلامه .

فلا جَفنَ الّا وهو مُغضٍ على ٱلقَذا ولا عين الا من نجيع الشّجا حَمرا
ولا وَجدَ الا وهوَ مُرخٍ سُدولَه ولا همَّ الا وهو يكْتَنِفُ ٱلفكرا
صبَرتْ فؤادي للخطوب فلم يزَلْ به رَشْقُها حتى تقضّى فلا صَبْرا
وأزمعتُ نَهْرَ الدمع[1] عني تعزّياً فلما جرى كالنَّهْر لم أملِك ٱلنَّهرا
ووجهتُ نحو الحيّ أُعربُ عن هوىً ضَميري فلا أَلفَيْتُ زيداً ولا عمْرا
وأَحسُب ما قد كنتُ أَحسُبُ دائماً فخطَّتْ بنَانُ ٱلبَيْنِ في راحتي صِفْرا

***

أَلَا قُلْ لأرواح الصَّبا لا تُغادِنا فإنّا بأرواح الجَنوب لنا ذِكْرى
وقل لِبُروق الشّرْق تُغمِدْ سيُوفَها فإن بُروقَ الجَوْف[2] صيَّرْنَها بُتْرا
بِلادٌ اذا ذُقْنَا رُضاب مَعِينها فما لِرُضاب العِين نَلْتَمِسُ الثَّغرا
وان نحن رُحْنا بالشّذا من رياضها رَبِحْنا فما نرجو على العَنْبَر التَّجْرا
رياضٌ اذا أَبصرْتَها ونشقْتَها فلا تذكُرَنْ نجداً ولا تذكُرَنْ شَحْرا
وأَزْرِ على من كان حنَّ صبَابةً اليها قديماً إذْ على مِثْلها يُزْرى
فمن لي بوَادِيَا اذا فَاح رَنْدُه ومَن لي بمَرْعاها اذا أَطلَع المَشْرا[3]

---

١ – اي زجره وهو بهذا المعنى في قافية البيت .
٢ – أي الشمال .
٣ – المشر : النبات الأخضر .

ومَن لِي برَوْضَاتٍ يفُوق ضِياؤُها
على الشَّمْس حُسْناً كلّما ابتهجَتْ زَهرا
وَهَيْهَاتَ وادٍ يُنْبِتُ الرَّندَ أَيْكُه
وهَيْهاتَ رَوْضٌ يُطْلِعُ الشمسَ والبدْرا

وعَذْب فُرات تستَقِيه وقاية وتَطعَمُه رَاحاً وتُبصِرُه دُرّا
فهل نَفحةٌ تَكْفِينيَ المسكَ فائحاً وهل شربَةٌ تكْفينِيَ الشَّهدَ مُسْتَمْرَا
وهل طلعةٌ تكفيني البدرَ طالعا وهل لَمْعةٌ تكفيني الثَّغرَ مُفْتَرّا
وهل وقفةٌ بينَ الطُّلول التي قضت صُروفُ الليالي في معالِمِها نَذْرا
هنالك إخوانُ الفؤاد وَفِتْيَةٌ همُ للحَشا خمرٌ فما يطلُبُ الَخمرَا
نُزايلُهُم لا عن هوًى لِنَواهُمُ كما لفِطَامٍ زايَلَ المرضعُ الظِّئْرا
وَنَنْأَى عِجالًا عنهم مثلما نأى ابو صِبْيَةٍ عنهم اذا يمَّمَ القَبْرا
فمِنَّا إلَيْهم صَبْوةُ ابنِ مُلَوِّحٍ[1] ومنهُم شجَا الخَنْساءِ اذ فارقت صَخْرا
فما أَنزرَ الصبرَ الجميلَ على النَّوى وما أَغزَرَ الدمعَ الطويلَ وما أَجرى
فلولا هَوى نجدٍ وطيبُ نَسِيمها وَريحُ خُزاماها اذا ساوَقَ الفَجْرا
وعذبٌ فُراتٌ سَلسبيلٌ سَخَتْ به أَكفُّ الغوادي في حدائِقِها غَمْرا
وَمَشْمُولَةٌ صَهْبَاءُ ما قطُّ شابَها براوُوقِه الحاني ولا حلّت القِدْرا
بها هامَتِ الارواحُ من قبل خَلْقِنا ومِن بَعْدما كُنّا وإذ نبلغُ الَحشرا

---

[1] – يعني قيس بن الملوح صاحب ليلى العامرية .

فكَم ولّهتْ فِكْرَ ابنِ عيسى ومالكٍ
وكم أطربَتْ سهْلاً وكم اشغَلت بِشْرا [1]

اذا ما تَحسَّاها الفتى لم يَخَفْ بها جُناحاً ولكن يَرْتَجِي عندَها أَجْرا
تُحَمِّلُه الأَوْزَارَ غيرَ مُذَمَّم بأعبائها العُظمى ولم يَكْسِبِ الوِزْرا
وتُبرِدُ غُلّاتِ الحَشا وتَشُبُّها أُوَاراً وتعطِي الرُّشدَ والسَّفَهَ الحِجْرا
وتُورِثُه قبْضاً وبَسْطاً وفُرقةً وجَمْعاً ونِسْياناً وتُورِثُه شِعْرا

فلولا رَجاءُ الفوْز منها بشَرْبةٍ
تُداوي عَقابِيلَ الهوَى والجوَى المُضْرَى
لكانَتْ أَكُفُّ البَيْن تصْدعُ بالجوَى
زُجاجةَ أحشائي فلا أَمْلِكُ الجَبْرا

على أَنَّ هذا الدهر ليس بضَارِعٍ له غيرُ مَن أمسى بأَحداثِه غُمْرا

***

هُوَ الدهرُ لا يُبْقِي على مُتَخَشِّع ذَليل ولا ذي نَخْوةٍ مُزْدَهٍ كِبْرا
حُسام اذا ما صَمَّمَ الدهرفي امْرِئٍ غذا دَمُه بين الورى خَضِراً مَضْرا [2]
وسيلٌ إذا ما يمَّمَ الارضَ أصبحت أَخاديدَ وانفلّت كَرادِسُها كَسْرا

---

١ ــ احمد بن عيسى الخراز ومالك بن دينـــار وسهيل بن عبدالله التستري وبشر الحافي من كبار الصوفية .
٢ ــ غذا: سال ، وخضراً مضراً: هدرا .

وليثٌ هَصُور ما تغشّى حظيرةً فيسْطُو إلّا أنعَمَ ٱلْعضّ وٱلْعقْرا
غشُومٌ فما يَرْتاع من بأْس خادِرٍ كَمِيٍّ ولا من حُسْن ساكِنةٍ خِدْرا
فليس عجيباً ما أتى من عَجائِب ولو أطْلَع ٱلْغَبْرَاءَ واسْتَنْزل الخَضْرا
وليس بنَزْر ما أبادَ وما بدَا ولا بغَريب ما أعلَّ وما أبْرا
فكم من عظيم يعْتَلي فَوْق باذِخٍ من المجد أرْدَتْه صَوارِمُه حَدْرا [1]
وكم من مليك كان يُزْهى بثَرْوة وعزّ ولا يألو اعتلاءً ولا فخرا
تغَشَّاه بالارزاء حتى كأنّما له تِرَةٌ منه فلم يألُه دَفْرا [2]
وأفْرَط في استنْفاد ما قد أعدَّه وما عدَّ حتى ما استَطال وما أثْرى
أدارَ على دارَا صريفَ صُروفِه وأتبعه غلَّابَهُ المَلِكَ الحَبْرا
فأوْدَع ذاك التُّربَ بعد أسِرَّةٍ وأودعَ هذا بعد بَسْطَتِه تَبْرا [3]
وناوَى بَني سَاسانَ في غُلَوَائِها وعِزَّتِها ٱلْعُظمى فذلَّلها قَسْرا
وغادَر في تِلك المدائِن أعيُناً لِعَيْن غدَت من رَيْب أحداثِه حَزْرا
تُحَلِّي نحُوراً بالمَدامِع حَسْرَةً وكانت تَعالَى أن تُحَلِّيها شَذْرا
وصَيَّرها مَقْصُورةً بعد بَسْطَةٍ ومَجْد على نَشْز ببَطْن الثَّرَى قصْرا
ومدَّ إلى تلك المَقاصِير كَفَّه فلم يَدَع ٱلْبَيْضاء فيها ولا الصَّفْرا

١ – نزولاً وهبوطاً
٢ – ذلا .
٣ – هلاكاً .

وأشرَقتِ الأَرْجاءُ منها بشِرْعة ... حَنيفيَّة من بَعد ما أَظلَمت كُفْرا

وجرَّ على أَولادِ جَفْنَة ذَيْـــلَه ... فجَرَّعها حَتفاً وأَلْبَسها صُغْرا

فكانُوا لِآفاتِ الزمان جزَائِراً ... وكانوا قديماً آفةً تُتلِف الجُزْرا

وأَنحى على لَخْم فعفَّى رِبَاعَها ... ورَامَ بني بَدْرٍ فأَتبَعها بَدْرا

وأَدْرَكَ أَوْتاراً بِسَيْفٍ وبَيْهَسٍ ... فعَادا كأَنْ لم يُدْرِكا قبْلَه وَتْرا

وطَمَّ على مَرْوَانَ إذ ثَلَّ عَرْشَها ... فماخافَ عُقباها ولا احْتَمل الإِصْرا

وعادَ على بغدادَ فاجتَثَّ مُلكَها ... ولم يحْتَرِمْ أَملاكَها النُّجُب الغُرا

ورَامَ ابنَ عبَّاد بخَسْفٍ فنَاله ... وأَعْلَق مُنْتَاشاً به النَّابَ والظُّفْرا

أَسِيراً بأَغْمَاتٍ كأَنْ قد فُدِي به ... مَن احتَلَّ في تلك الجَزيرة مِن أَسْرى

ولم يَرْثِ إذ يَبْكيه فيها سَريرُه ... ومِنْبَرُه والدَّهرُ ما يَخْتَشي نُكْرا

فهل تَمْتَري في صَوْلة الدهر بعدَما ... أَتتْك على ذِكْرٍ وقائعُه تَترى

وكم من مُحبٍ صادق الحب رَوْضة ... أَنيقة أَزهار تَوَسَّطَت الْغُدْرا

إذا رامَ وَصْلَ الحِبِّ أَلفاه في الهوى ... يُسَارِعُ لا هَجْراً يخاف ولا غَدْرا

على أُلفَةٍ والْعَيشُ دانٍ قُطوفُه ... كأَنَّهما الْفَرْخان قد أَلِفَا الْوَكْرا

فلم ينشَبِ الدهرُ المُشتَّتُ أن فرَى ... من الْوَصْل ما قد أَبْرَماه وما زَرَّا

وأَوْلاهُمَا بالقُرْبِ بَيْناً وبالهوَى ... جَفَاءً وبالوَصْل الْقَطيعة والهَجْرا

وأَبدلَ ذاك الأُنْسَ وَحْشاً وغُمَّةً ... وذاك اللَّذيذَ الْغضَّ مُسْتَوْبَلاً مُرَّا

فلا تَهْتَبِلْ بالحادثَاتِ ولا تَثِقْ فما وَهبتْ يوماً فمُوهَبُها مُعْرى
مُقَرَّبُها مُقْصًى ومَرْفُوعُها لَقًى ومُنهَلُها ظمْأً ومَكْسُوُّها مُعْرى
ولا تَرْكَنَنْ للدَّهر إنَّ نَعِيمَه ظِلالُ سَحابٍ يَمْسَحُ السهلَ والْوَعْرا
فبينا تراها قد كَسَتْكَ بِبُرْدِها تجافَت بِأَمْيالٍ فألبسَتِ الحَرَّا
مَلُولٌ فما باقٍ على عَهْـــدِ خُلَّة ولا مُسْتَدِيمٌ فيكَ يُسْراً ولا عُسْرا
فإن سَرَّ فلْتظفَر وإن ساءَ فاصْطَبِر لِعَوْدَتِه فالدَّهرُ ما يأْلفُ الصَّبْرا
عَشِيرٌ متى يُحْسِن فقد بَرَّ عِشْرَةً وإلَّا فكُن بالصبر في حكْمِهِ البَرَّا
وإن كان يمضِي الخَطْبُ والحرُّ لم يَنَل جُ احاً ولا عاراً به فكُن الحُرَّا
وإن سبقَتْكَ الحادِثاتُ بفائتٍ فسوف يُريه الدَّهرُ فانتظِر الدَّهرا
أَلم ترَ أَن الدَّهر حبْلَى أَنِيَّةٌ[1] ولادَتُها يوماً وإن لم تكُن تَدْرى
فِمن مِنَح تُسْلي ومن مِحَن تُسِي نَتَائِجُها صُغْرى على المرءِ أو كُبْرى

***

ولا تَأْمَنَنْ أَبْنَاءَهُ ان تَحبَّبُوا إلَيْكَ فَمَنْ يُشبه أَباه فقد بَرَّا
وكلُّ بَني دَهْر فأَشْباهُ دَهْرِهم على ما قضَى اللهُ الكريمُ وما أَجرى
متى ما ارْتجَوْا رَغْباءَ منكَ تقرَّبوا اليك وأَبدوا خالِصَ الْوُد والْبِرَّا
وأَخفَوْا ذَميماً كان فيكَ وأَظهَروا جَميلاً وقالُوا ذُو مَحَاسِنَ لا تُعرى[2]

---

١ – اي مدركة توشك ان تضع حملها .
٢ – لا تجحد .

فذلك أحرَى أن يُجلُّوا ويُنْصِتُوا إليك رَشاداً كان قَوْلُك أَو تبْرا
وإنْ لم يُرَجُّوا منك خيراً رأيتَهُم جفاءً وإعراضاً يُوَلُّونكَ الظَّهْرا
ويَنْشُون عنك المُنْدِيَات وإنْ رَأَوْا جَميلاً أعارُوه الْغِشاوة والْوَقْرَا
فلا تُصْغِ سَمْعاً للذي ذَمَّ منهم ولا للذي أبدى الجميلَ وإن أطْرى
فإنَّ بني الدّنيا عبيدُ هَواهُم على مرْكَز الأهوال دَوَّرَتْهُم طُرًّا
وإنَّ هَوَاهُم حيثُ تَرْتَقِبُ الْغِنى وليس هوَاهُم حيثُ تَرْتَقِب الْفَقْرا
إذا ما رَأَوْا ذا الْوَفْر لاذُوا بذَيْلِه وإن لم يَنالوا من سَحائِبه قَطْرا
وإن بَصُروا بالْمُمْلِق اهتزأُوا به ومَدُّوا إليه طَرْفَهم نَظَراً شَزْرا
وقالُوا بَغيضٌ إن نأى ومتى دَنا يقولوا ثَقِيلٌ مُبْرِمٌ أَدْبر الْفَقرا
فإن غاب لم يُفْقَدْ وإن عَلَّ لم يُعَدْ وإن مات لم يُشْهَدْ وإن ضافَ لم يُقْرى

***

وفي اللهِ للمرء اللبيبِ كِفايَةٌ عن الناس والمحرُوم مَن حُرِمَ الأَجْرا
فكن رابئاً بالنفس عنهم ومُغْضِياً بِعَيْنِ الحَشا عما تَكَنَّفت الْغَبْرَا
ولا تَجْعَلَنْ في غير مولاك هِمَّةً فمِنْه تَرى لَو تعْلَمُ النفعَ والضرَّا
وإن شئتَ وُدًّا فِيهمْ وتوَفُّرا لِعِرْضِك أو شئْتَ النَّبَاهة والذِّكْرا
فشارِكْهُم فيما بكَفِّك واكْفِهِم مُؤُونك واسْتَبْقِ التَّجَمُّل والسِّتْرا
وخالِلْ ولا تَكْلِم وجامِلْ ولا تَرِمْ
ووَاصِلْ ولا تَصْرِم ولكن خُذِ الحذرا

ولا تَقْتَحِمْ عيناك ذا سَمِل ولا ... تَرَ المرءَ مَزْهُوًّا فتُعْظِمه قَدْرا
فإنَّ ٱلْفَتى بالنفس لا اللِّبْس مَجْدُه ... فما شانَ دُرًّا كَوْنُ أَصْدافِه كُدْرا
وما ذا على ٱلْعَضْب الذي رَثَّ جِفْنُه ... إذا كان في الهيجاء يُنْعِمُك ٱلْبَتْرا
وإنَّك تُلْفي الناسَ كالنَّبْت ذابلٌ ... لَذِيذٌ وغَضٌّ كُلَّما ذُقْتَه مُرَّا
وقِدْماً يكون التِّبْر في التُّرْب تَختَفِي ... مَكانَتُه حتَّى تُخَلِّصَه سَبْرا
وإن كنتَ لا تعْتَدُّ إلاَّ بمَلْبَس ... فَسِيَّان من يُكْسَى ٱلْعَمائِمَ والُخمُرا
وإن ٱلْغِنى ما أَورَثَ المرءَ في الورى ... مَحَامِد في الدُّنيا وعَلْياءَ في الأُخرى
وكم مُتْرَفٍ لم يرأم الضيفُ سَاحَه ... وكم تَربٍ طابَتْ مَحامِدُه نَشرا
فلا خيرَ فيمن لا يُعاشُ بظلِّه ... ولَوْ فاقَ تَحْليقاً بجوِّ ٱلْعُلى النَّسْرا
ولا مال في الدنيا لمن ليس راشِحاً ... بفَضْل على العَانِي ولو جَمع الوَفْرا
ولا مجد للمِسِّيك يوماً ولو حَوى ... وأَثَّلَ ما قد كان أَثَّله كِسْرى
فأَغْرِقْ على العَوْراتِ منك بِسابغٍ ... من العُرْف تَغْفر ما تُساءُ به غَفْرا
وان تُعْوِزِ النُّعمى فجُدْ بِبَشَاشَةٍ ... فخَيْرُ القِرَى أَن تبذُلَ الرَّحب والبِشْرا

وعاصِ الهَوى إن الهوَانَ معَ الهَوى
وفي الصَّبْر عِزٌّ فاسْتَسِغْه ولو صِبْرا

فمَن للهوى أَلقَى القِيادَ فَقَد هوَى ... ولو أَنَّهُ في المجْد قد وَطِيءَ النَّسرا
وكُن بالذي آتاكَهُ اللهُ من جَدىً ... قَنُوعاً رَضُوا تبلُغ الأَنجُمَ الزُّهرا
وَمن لم يكُنْ مُسْتَغْنِياً بقَناعة ... فليس بِمُنْفَكٍّ عن الناس مُعْتَرَّا

ومَن لم يكن يستَرْغِدُ العَيشَ بالرِّضى بقِسْمَتِه لم يَبْرَحِ الدهرَ مُضطَرّا
ومَن لم يكُن بالحزم مُحتَزِماً فقد فَرَى حبلَه عن نُجْحِهِ قبل أن يُفرى
ومَن لم يُبادِرْ صيْدَه وهو مُعرِضٌ لِيَرْمِيه كانَ العَناءُ له قَصْراً
ومن يَشْرِ بَخْساً نُوقَه وهيَ شُوَّل عِجافاً تمنَّاها لَدَى غيْره شَكْرى
ومن يَصْطنعْ عُرْفاً الى غير أهلِه فليس بِلاقٍ من جَزاءٍ ولا شُكْراً
ومن يَحْتَسِبْ يُهْمِلْ كما الغَيْث وا بِلا فلا العقل يجْفُو بالعِهاد ولا الصَّبرا
ومن لا يُثَقِّفْ متْنَه الدينُ والحِجا ويَرْمِ الورَى يَلْقَ المُثقَّفة السُّمْرا
ومن لا يُجنِّبْ قولَه دنَسَ الخنا فلا يَمْتَعِضْ يوماً اذا سَمِع الهُجْرا
ومن يَبْغِ بَذْلاً بالسِّباب وبالنَّوى يكُنْ بنُضارٍ جيِّد يَشْتَري الصُّفْرا
ومن يصحَبِ الأَمجادَ تَنْظُفْ ثِيابُه ومَن يصحَبِ الأَرذالَ يُكْسى بها العُرّا
ومن لا يجالِسْ مِن يُجانِسُ لم يَدُم له أحدٌ فالاسدُ ما ترأَمُ الحُمْرا
ومَن لم يُجاوِزْ بالصَّديق ويَلْحَه يجدْ لُبَّه نَغْلاً[١] إذا نَزَع القَشْرا
ومن يَرْمِ بالبُغْضِ الوَدُودَ مُعنِّفاً لِيَصفُوَ يُورِثْ قلبَه البُغْضَ والغِمْرا
ومن لم يكُنْ يُبْدي سَجاياه يُبْدِها إذا ما ارتَجَى الرَّغْباءَ أو آنسَ الذُعْرا
ومن يطلب العَلْياءَ يُلْفِ مَذاقَها هَبيداً[١] لذُوعاً للحناجر لا يُمْرى
ومن يَسْرِ في دَرْكِ المعالي بهمَّةٍ لَجُوجٍ رَمُوقٍ للعُلا يَحْمَدِ السَّيْرا
ومن لا يزَلْ كَلاًّ يُمَلَّ وتحتمِلْ به الأرْضُ أنّى سارَ من ثِقْلِه وِقْرا

---

١ — اي مراً كالحنظل .

ومن لا يَكُنْ يُرْجى لخَطْب فلا يَكُن
فَتًى في نَديّ وليكن ناهداً بكرا

ومن لم يُخَلِّ النَّفسَ ثم يُحَلِّها | فقد أخطأ المرتادَ مِن أَمّه ظَهْرا
ومَن يدَّخِرْ تقوى الإله وذِكْرَه | على كُلِّ حال يَحْمَدِ السَّعْيَ والذُّخرا
ومَن يغْنَ بالمولى فلن يَعْدمَ الْغِنى | إذا لم يَجِدْ يوماً لجَيْناً ولا نَضْرا

ولعبد الله بن محمد العَلَوي الشنقيطي يرثي عُمَر التَّروزي :

هو الموت عَضْبٌ لا تخون مَضارِبُه | وحوضٌ زُعافٌ كلُّ من عاش شاربه
وما الناس الاَّ وارِدُوه فسابق | اليه ومَسبُوق تخُبُّ نَجائِبه
يُحبُّ الفتى ادراكَ ما هو راغب | ويُدركه لا بُدَّ ما هو راهِبُه
فكم لابسٍ ثوبَ الحياة فجاءه | على فجْأةٍ عادٍ من الموت سالبه
ولسنا نسبُّ الدهرَ فيما يُصيبنا | فلا الدهرُ جالِيه ولا هو جالِبُه
مضَى مُشرقَ الأيام حتى اذا انقضَت | ليالي أبي حفْص توالت غَياهِبُه
نقيبٌ نَسينا كلَّ شيءٍ لِرُزْئِه | تُذكِّرُناه كلَّ آنٍ مَناقِبُه
أناعِيَه أرسلتَ عَزلاء مُهْجتي | فما دَمُها حِمْلاقُ جَفْني ساكِبُه
طوَى نعيُه وعْيِي فما أنا غائبٌ | عن الحسِّ فيه ذَاهِلُ العَقل ذَاهِبُه
تمكَّن من نفسي بنَفْس سَماعِه | جوىً فيه كلِّي ذاب قَلْبي وقَالَبُه
أهاذي السحابُ الغُرُّ وهي مُلِثَّةٌ | بَواكيه أم تلك الرعودُ نوادِبُه
لقد صَحَّ موتُ المكرُمات بموته | وصرَّح ناعيــــه ولَوَّح ناعِبُه

دعاهُ السميعُ المستجابُ وطالما دعا الأَجْفَلى [١] وَالعَامُ أشهَب آدِبُه
هو السيد المُمتَدُّ في الناس ذكرُه وفي البؤس كفَّاه وفي البأْس قاضِبُه
يُلاينُ مُرتاضاً أَريباً وينبري هِزَبراً أَبا أَجرٍ [٢] على مَن يُغاضبه
فتىً يَهبُ الآلافَ عفْواً وتنكفي مَخافَتَه الآلافُ حين تُحاربه
تنوَّع فيه الناسبُون فكلُّهم الى كل جِنْس كامِلِ الوصف نَاسِبُه
فلِلأَبْحُر الرَّاوُون أَخبار جُودِه وللقَمر الراوُون كيف مَناصِبُه
والأُسْد الواعون شدةَ بأْسِه وما دفعت في كل حرب مَناكِبُه
يجِدُّ فيُفْني مَن يُناوي مهابةً ويُجْدي فَتُغْني مَن يُوالي مَواهبُه
عَلانيةً يأْتمُّه الجمُّ وارداً فيُضْرِبُه [٣] أَو مارِداً فَيُضارِبه
يُناجى بما في نفس عافِيه قلبُه فيُتحِفُه ما فيه نيطَتْ مآربه
فلم يُغْنِه المَجد الذي هو حائز تُراثاً عن المجد الذي هو كاسِبُه
على حزْمه من طبعه مُتَعَقِّب يُباعِدُه الأَمر المَلُومَ مُقارِبُه
مَعاطِفُه ما ضِقْنَ ذَرعاً بحادث جليلٍ وان كانت تُخاف مَعاطِبُه
إمامُ ندىً في جامع المَجد راتبٌ تُحيلُ القضايا أَن تُنال مَراتِبه

١ – هي كالجفلى الدعوة العامة للطعام .
٢ – أي أشبال جمع جرو .
٣ – أي يعطيه .

مُنوَّرُ مرآة الفــؤاد مُوفَّق ... تَراءى له من كل أمر عَواقِبه

تُفرِّق ما يكفي البرية كفُّه ... وتجمَعُ من فوق التراب تَرائبه

على يده الطُّولى تقمَّصتُ مِطْرفاً ... من العِزِّ والاثراءِ ها أنا ساحبُه

إلى بابه في كلِّ تَيْهاء منْهجٍ ... يُؤدّي إليه طالبَ العُرف لاحِبُه

سقَى الله قبراً ضمَّه وَبْلَ رحمةٍ ... من الرَّوْح والرَّيحان تَهمي سحائِبُه

وأوْفَض فيوحْشِ التراب بروحه ... الى حيْثُ أتراب الجِنان تُلاعِبُه

وللاديب الطيّب بن مسعود المرَيني المتوفى ١١٤٥ :

أَتيتُ القُبورَ أُداوِي بها ... قَساوَةَ قلبي التي أَجِدُ

وقمتُ اسائِلُ عن أهلها ... وهيْهاتَ لا خبر يُوجَد

رأيتُ مَصارِعَهم عِبْرةً ... تُذيبُ حُشاشةَ من يشْهَد

أَقاموا قليلاً وقد رَحَلوا ... وغابُوا وبالعَوْد ما وَعدُوا

كأنَّ حيــاتَهم حُلُمٌ ... أَفاقُوا به بعد ما رَقَدُوا

دعاهُم على الرغم داعِي الرَّدى ... فلبَّوْه حين انقضَى الأَمَد

وقد هَدمَ الموْتُ لذَّاتِهم ... وغُيِّر عيشُهمُ الارغَد

وحلُّوا بُطونَ الثرى تحتَهم ... تُرابٌ وفوقَهم جُلْمُد

وقد انكَرتْهم معارِفُهم ... وخانَهمُ الأهلُ والوَلَدُ

تَساوَوْا بأَجْمَعِهم تحتَها ... فسِيَّان الأَحمرُ والأَسْوَدُ

على كل ما قَدَّمُوا قَدِمُوا   وما زَرَعَتْ يَدُهم حَصدوا

ولابن الطيب العَلمي يرثي ابنَ زاكُور :

قَضى أخو النظم والنثر ابنَ زاكور   فجـــادَ دَمعي بمَنظُوم ومنثور
وامتدَّ شوْقي بمقصُور الحياةِ له   ما حِيلَتي بين ممدُود ومقصور

ولابن زاكور يرثي امرأةً من قَرابتِه :

سَقَى الرحمانُ قبراً ضمَّ شخصاً   تسَرْبلَ بالمكارم وارتداها
ونضَّر مضجَعاً لِفَتاة صِدْق   حَوى غُرَرَ الفضائل إذ حواها
لقد كانت تحضُّ على المعالي   وتندُب للمكارم مَن أباها
وقد كانت بأُفْقِ الفضل شمساً   فحَطَّتها المنيةُ عن ذُراها
وألبَسها المنُونُ حلى كُسُوف   فهلاَّ فضْلُها الوافي حَماها
فكم أَحيَتْ مواهبُها كئيباً   احلَّته النـوائبُ في حِماهـا
وكم ربَّتْ بأنعُمهـا يتيماً   قَلَتْه أُمُّـــه حتى سَلاها
لئن ماتَتْ فما ماتَتْ حُلاها   وان أَودَتْ فما أَودَى عُلاها
فقد أَبقَتْ مآثِرَ مُشْرِقاتٍ   تُخبِّر عن عُلاها في نَواها

وللوزير ابن ادريس يرثي السلطان مولاي سليمان العلوي :

نَبأٌ عَرا أَوهى عُرى الايمان   وأَبانَ حُسْنَ الصبْر عن إمكان
شُقَّت لموْقِعه القلوبُ وزُلْزِلت   أَرضُ النُّفوس ورُجَّ كلُّ مكان

فَقْدُ الامام أَبي الربيع المرتضى جَزِعَت لِعُظْم مُصابه الثَّقلان
وبكَت عيونُ الدِّين ملْءَ جفونها وجْداً عليـــه وكلُّ ذي ايمان
لما نَعَى الناعُون خيرَ خليفةٍ وعرى الفؤادَ طوارقُ الأَحزان
مزَّقتُ ثوْبَ تجلُّدي من فَقْده ونَثَرْتُ درَّ الدمع من أَجفاني
عجَباً لموْتٍ غالَه اذْ لم يَخَفْ فتك الملوك وسَطْوَةَ السلطان
وسَمَا لِمَنْصِبه المُنيف ولم يهَب غَضَب الجنود وغَيْرَة الأَعوان
لو كان يُمنَع خاض فُرسانُ الوَغى حِرْصاً عليه مَواقِدَ النِّيران
وحَمَوْه بالنفس النفيسة إنَّمـــا يَحْمُونَ رُوحَ العدل والاحسان
لاكِنْ قضاءُ الله حُمَّ فلا يُرى للمَرْءِ في دَفْع القضـــاء يَدان
والموت مُورِدُ كلِّ حي كأْسَه وَسِوى المهيمن في الحقيقـــة فان
إن غاب عنا شخصُه فلقد ثَوى فينا الثنـــاءُ له بكل لسان
ومناقبٌ ومفاخِـــرٌ ومآثِرٌ شاعتْ له في سائر الأَوطان
ومعارِفٌ وعوارِفٌ ورسائلٌ وَمَسائِلٌ قد أُوضِحَتْ ومعان
وبدُورُ أَوْلادٍ وآلٍ قد قفَوْا آثاره في العلم والعرفان
تخذوا الديانَةَ والصِّيانَةَ شِرْعَةً وتقلَّدوا بِصَوارِم الإِيقـــان
اخلاقُهم ووجوهُهم واكفُّهم كالزُّهـر والأَزهار وَالأَمْزَان
ان حارَبوا أَبدَوْا شَجاعَةَ جدِّهم او خاطَبُوا أَزْرَوْا على سَحْبان
مِن كُل من جعل القُران سَميرَه وسَمَـــا بوَصْف العلم وَالتِّبيان

كم آيـةٍ ظهرتْ له وكَرامةٍ دامتْ دلائلُها مَدَى الأَزمان

قد كانَ أَوْحدَ دهرِه وزمانه في العلمِ والتَّحقيق والإِتقـــان

قدكانَ فرداً في البلاغةِان جرَتْ أَقلامُـــه بهرَتْ بسحْرِ بيَان

مَن للعُلا مِن بَعْده مَن للنُّهى مَن للتُّقى وتـــلاوةِ القرآن

يا رَمْسَه ماذا حَويتَ من العُـلى وطَوَيْتَ من علم ومن عِرفـان

يا رمْسُ كمْ واريْتَ من كَرَمٍ ومن جُودٍ ومـن فَضلٍ ومِن إِحسان

يارَمْسُ كيفَ حَجبْتَ عنَّا شمْسه وضِياؤُهـــا في سائِر البُلْدان

فلَوَ اسْتَطعتُ جعلت في قلْبي قبره حبّاً وأَحْشائِي من الأَكْفـــان

ولَوَ انَّ عُمْرِي في يدي لوَهبْتُه وفدَيْتـه بالأَهـــلِ والاخوان

لاكن يُخَفِّفُ بعْضَ أَثقالِ الأَسى علْمِي بـــه في جَنَّة الرضوان

●



الموشحات والأزجال

لابْنِ غُرْلة مُوشَّح غزَلي :

يامن حكى خَدُّه الشَّقائقْ وما لَه في ٱلْبَهَا شَقِيق
ترَكْتَني بالدُّموع شارِق لمَّا بَدا خدُّك الشَّرِيق

***

سَلَلْتَ من ناظِرَيْك صارمْ للفتك يا شَادِنَ الصَّرِيمْ [1]
وسِرْتَ يَوْم ٱلْفِرَاق سَالِمْ وقد تَركْتَ الحَشا سَلِيم [2]
مَتَى أَراكَ ٱلْغَدَاةَ قادِمْ يا مَن حَديثِي به قَدِيم
شيَّبْت مِن أَجلِك المَفارِقْ وسِرْت معْ جُمْلَة ٱلْفَرِيق
ما بيْن حادٍ حَدَا وَسَائِقْ قَلْبِي بِمَن ساقَه وَسِيق

***

لِسَائِل الدَّمْع صرت ناهِرْ مُذْ سالَ في وَجْنَتي نَهَرْ

١ ــ الصريم : الرمل ، ويعني غزال الصحراء .

٢ ــ اي ملسوع .

وَسِرْتَ وَٱلْقَدُّ مِنك خاطِرْ وَٱلْقَلْبُ مني على خَطَرْ
لستُ على ذَا الجَفَا بِقَادِرْ لكِنْ بهذا جرَى ٱلْقَدَرْ
سهمُ النَّوَى من يَدَيْك مارِقْ وقد غَدَا للدِّما مُرِيق
فاسْمَحْ بوَعْدٍ يكُون صادِقْ ولا تَكُنْ تهجُرُ الصَّدِيق

●

قلبي غدَا للجَحِيم صالِ يا مَنْ بِسَيْف الجُفُون صَالْ
وغَيْرُ مَغْنَاكَ ما حَلالي فَلِمْ ترَى قَتْلَتي حَلالْ
يا ناحِلَ الخَصْر كالْخَلَالِ [1] يا كامِل ٱلوَصف والجَلالْ
ساعاتُ عُمْري غَدَتْ دَقَائق لمَّا بَدا خَصْرُك الدَّقيق
تَنْطِقُ عن إذْنِه المَناطِقْ تقُولُ بالرِّدْفِ ما نُطِيقْ

●

يا حادِيَ ٱلْعِيس مَعْكَ أَحْوَى رِقِّي بإحسَانِه حَوى
رِيمٌ له ٱلْقَلْبُ صارَ يَهْوَى نَجْمِي به في ٱلْهَوَى هوَى
لكِنَّه بَعْدَ ذاكَ أَلْوَى دَيْنِي ولِلْعِشْق مَا لَوَى
قَد سرَّح النَّوْمَ فهْوَ طالِقْ عن مُقْلَةٍ دمعُها طَلِيق
وأنكَر ٱلْعَهْدَ والمَواثِق وعَهْدُ ودّي به وَثِيق

●

---

١ — العود الذي يُتخلل به .

جَبِينُه يُخجِلُ الدَّرارِي وثَغْرُه يَفْضَحُ الدُّرَرْ
والخَـدُّ أَزْهى من النُّضَار نَزَّهت في حُسْنه النَّظَر
عليه سطرٌ من ٱلعِذَارِ كَمْ عـاذِلٍ فيه قـد عَذَرْ
جَمالُه يفتِنُ ٱلعواتِقْ وخمْرُ أَرْيَاقِه عَتيق
وطَرْفُــه بالنِّبَال راشِقْ وقدُّه كالقَنَا رَشِيق

●

يا مَن بِسُقْم الجُفُون أَعدى جِسْمِي وبي أَشْمَتَ ٱلْعِدَا
أَجرَيْت دَمْعي فصَار مدًّا وطالَ ما بَيْنَنا المَدَى
مُضْناكَ بالهجْر مات صَدًّا وما جَــلَا قلبَه الصَّدَا
يا من حَوى الحُسْنَ فهو فائِقْ من سَكْرَتي فيه لا أُفِيق
فارْسِلِ الطَّرْفَ مِنْك طارِقْ واقْطَعْ على سَلْوَتي الطَّرِيق

●

قد ساعَدَ ٱلوقتُ يا نَديمْ فقُمْ بنَا للْهَوى نُدِيمْ
واسْتَجْلِها معْ رَشا كَرِيمْ يَرْنُو بأَلْحَاظه كَرِيمْ[1]
كأَنَّه قَلبي ٱلكَلِيمْ وكأْسُه جَذْوَةُ الكَلِيمْ[2]
بِكْرٌ غدَتْ في الدِّنان عاتِقْ ما الحُرُّ من رِقِّها عَتِيق

١ – اي كظبي ابيض .
٢ – يعني موسى عليه الكلام .

تُنيرُ في الكَأْس شِبْه بارِقْ إن مَزَجْت صِرْفَهَا بِرِيق

وله أيضا هذه الموشَّحة وتُعْرَفُ بالعَرُوس :

مَن يصيد صَيدا فلْيَكُن كما صَيْدَي
صَيْدِي الغَزالهْ مِنْ مَراتِع الأُسْد

•

كَيْفَ لا أَصُولُ واقْتَنَصْتُ وَحْشِيه
ظَبْيَةٌ تجُولُ في رِدا [1] سُوسِيه
صَاغَها الجَليلُ فهي شِبْه حُورِيه
تَنْثَني رُوَيْدا إذْ تَميسُ في البُرْدِ
تَعْجِن الغَلالَهْ والرِّدَا مَعَ النَّهْدِ

•

رُبَّ ذات لَيْلَهْ زُرْتُهَا وقد نامَتْ
والرَّقِيبُ في غَفْلَه والنجُومُ قد مَالَتْ
رُمْتُ منها قُبْلَهْ عند ضَمِّها قالتْ
قَرَّ قَرَّ وأَهْدَا لا تَكُنْ مُتَعَدَّى

١ – منسوبة الى اقليم سوس .

تَكسِر النِّبَالا [١] وتَفرِط الْعِقْدِ [٢]

●

خَدُّها الأَسِيل بدَتْ منه أَنْوار
طَرْفُها الكَحِيلْ سُلَّ منه بَتَّار
ها أنا الْقَتيل فهَلْ يُؤخَذُ الثَّار
قد أُسِرْتُ عَبْدا ولم أَكُنْ بالعَبْد
مُتُّ لا مَحَالَهْ فاطْلبُوا دَمي بَعْدِي

ولسعيد بن إِبْرَاهيم السَّدْراتي هذا المُوَشَّح في مدح الامـــير إِسمعيل بن الاحمر :

نُشِرَتْ فيـــكُم بنِي نَصْر لأَبِي الصِّدْق رايَةُ النَّصْر
أَيُّ شَهْم وأَيُّ صِنْدِيـدِ حازَ إِرْثَ السَّمَاح والجُودِ
شيَّدَ المَجْدَ أَيَّ تَشيِيدِ
لم تُخَادِعْهُ أَلسُنُ الشُّكْرِ فَهْوَ في الدهر طيِّبُ الذِّكْرِ
ثاقِبُ الذِّهنِ وافِرُ الْعَقْلِ عالِمٌ بالعُلُوم والنَّقْلِ
جُعِلَ النصرُ منه في النَّصْلِ

---

١ ــ النبالة ويقال النبايل في الدارجة المغربية : الاسورة الرقيقة .
٢ ــ بالكسر وهذا اللحن هو الترنيم الذي عيب على ابن غرلة ، راجـــع ص ١٣١ من الجزء الاول .

ضَيِّقُ الحزْمِ واسِعُ الصَّدر بارِعُ الحُسْنِ باسِمُ الثَّغْرِ
أَيُّ بَدْرٍ بِطَالِعِ السَّعْدِ سعِدَتْ منه رُتْبَةُ المَجْد
لم تجِدْ راحتَاهُ عن رِفْد
صادِقُ ٱلوَعْد سابِقُ ٱلفَخْر جالبُ النَّفْع دَافِعُ الضُّرِّ
رَافِعُ الحَقِّ باسِطُ ٱلْعَدل قاهِرُ الظُّلْم قاتِلُ المَحْل
مانِعُ ٱلْبَغْي مانِحُ ٱلْبَذْل
مُذْهِبُ الضَّيْم عاجِلُ البِرِّ ناجِحُ الفِعْل ذاهِبُ العُسْرِ
يا أَبا الصِّدق أَنت مولانا كَمْ نوالٍ بذَلْتَ أَغنانا
رُقْتَ حُسْناً وفُقْتَ إِحْسانا
لكَ جُودٌ كوَابِلِ ٱلْقَطْر ومَقَامٌ أَرْبى على النَّسْرِ

وللمَنصور الذَّهبي هذا المُوَشَّح ٱلْغَزلي :

رَيَّانُ من ماء الصِّبا أَهْيَفُ مُمْتَلِي ٱلْبُرْدِ

•

كالغُصْن هزَّته الصَّبا فوقَ الرُّبى الشُّهْب
قد قلتُ، لمَّا أَنْ سبا بحُسْنِه ، لُبِّي:
من عَيْنِه سلَّ ظُبا وأَغْمدَها في قلْبي

•

أَسَرَني ماضي الشَّبَا أَوْطَفُ مُرَنَّح ٱلْقَد

●

يا فَاضِحَ الرَّوْض سَنا وَمُخْجِلَ ٱلْبَــدْر
وقاطِعِي ظُلْمــاً عَنَا ومَن مَقَرُّه صَــدْرِي
إنْ لم تكُن شَمْسَ دُنا فإنَّهــا تَجْري

●

عَلِقْتُه من الظِّبا خِشْفاً يَسْطُو على الأُسْدِ

●

قلت له وقــد نهَد وجــدَّ في حَرْبِي
وغَلَب الظَّبْيُ الأَسَدْ وفازَ بالغُلْب
الشَّمْسُ بُرْجُها الأَسَدْ فاسْعَ إلى قَلْبِي

وللسيد ٱلْعرَبي ٱلْمَنَالي مُوَشَّح إشاري :

أَلطَّرْفُ دَافِقْ وٱلْقَلْبُ خَافِقْ
فكيْف أُخفِي والحالُ ناطِقْ

●

حالِي يُنَادِي على فؤادِي
مِسْكِينُ هذا لا شَكَّ عاشِقْ

قد كانَ قُرْبي عونْـاً لِقَـلْبي
عـلى اسْتِتَارِي من الْخَلائِقْ

●

فـــانظُرْ حَبِيبي الى الذي بِي
إن كان يُرْضِيك أَنا مُوافِـــقْ

●

قالَتْ لي رُوحِي بِي عَـيْنُ مَلِيح
مُتْ في غَرامِه إن كنتَ عاشِقْ

●

ولَهْ تجرَّدْ عن كلِّ مَقْصَدْ
فَمَهْرُ وَصْلِه قَطْعُ العَلائِقْ

●

مَوْلاي لَبَّيْكْ لبَّيْكَ لَبَّيْكْ
فلَيْس لِلْعَبْـــدِ عنْكَ عـــائِقْ

●

بِحَقِّـــكَ ارْحَمْ مَنْ أَنتَ أَعْلَمْ
بهِ ووَاصِلْ ولا تُفَارِقْ

●

ولابْنِ زاكُور هذا المُوَشَّح في وَصْفِ الطَّبيعة والْحثِّ على الْغَبوق :

جاءَ الأَصيل مُحْيِ قَتيل النَّائبَات
قُمْ يا حَميم نُبْرِد حَميم الحَسَرات
قَدْكَ مِن الأَشجَان يا مَن لَهُ قَلْبٌ رَقيقْ
أَصْغِ إلى أَلْحَان وُرْقٍ تُنادي من سَحِيقْ
قد أَيْنَعَ الْبُسْتان فهاتِها مِثْل الْعقِيق
تُشفِي غَلِيل صبٍّ عَليلْ ذِي زَفرَات
هَبَّ النَّسِيم يَهدِي شَمِيم الزَّهرات
والشمس بالْوَرْسِ تَرْقُم بالرَّقْصِ مُلا
تفعَلُ بالنَّفْسِ فِعْلَ الخَليع بالطِّلا
حيَّ على الأُنسِ يا ذا الأَسَى وانْظُر إلى
غُصْنٍ يَميل بِصَباً بَليل ذِي نَسَماتْ
مَنْ لا يَهِيم بِشَذَا النَّسِيم أَقسَى القُساة

وله آخر من معناه :

أَرْسِلْ جِيَادَ النَّظَرِ واعْتَبِرِ وَاشْرَبْ طِلَا السُّلْوَان
وذُدْ شَرُودَ الْغِيَرِ وَلْتَشْكُرِ مَن طَرَّز البُسْتَان

حَلَّاهُ غِبَّ المطَرِ بالزَهرِ مُكَلَّلَ التِّيجَان
وطائِرُ ٱلبِشْرِ صدَحَ لِأَنْ قَدَحَ زَندَ المُنى السَّعْدُ
باكِرْ مَعَاهِدَ ٱلفَرَحْ فقد شَرَحَ جمالَهَا ٱلوِرْدُ

●

واعْتَنَقَتْ هِيفُ ٱلغُصُونْ يَسْتَنْشِرُونْ جَوَاهِرَ الأَطْوَاق
كَأَنَّهُم مُدَلَّهُون مُتَيَّمُون سَبَتْ لهُم أَشوَاق
وللبَنَفْسَج عيُونْ لا يَنعَسُون تَبْكِي من الإيرَاقْ
والنَّرجِسُ ٱلغَضُّ نفَحْ لمَّا اصْطَبحْ من نَشْرِه نَدُّ
فارْكُضْ سَوَابِقَ ٱلفَرَحْ فقد جَرَحْ خُدُودَه ٱلوَرْدُ

●

وزَانَ وَجْنَاتِ الشَّقيقْ نَدًى رَقِيقْ رُوَاؤُهُ يَبْهَرْ
كأَنَّما علىَ ٱلعَقِيقْ دُرٌّ أَنيقْ منْ أَنْفَسِ الجَوْهَرْ
أَو دَمعُ مَن ضَمَّ العَشِيقْ يشكو الحَريق بخَدِّه الأَحمرْ
يسلُو به مَن انتزَحْ مِن المرَحْ مَن للنَّوى مَدُّوا[1]
لَبِّ مُنادِيَ الفرَحْ فقدْ جَرَحْ خُدُودَه الوَرْدُ

وَله أَيضاً في الرَّبيع :

جلَّ صَنيع البديـع الفاعِل المُخْتار

---

١ ـ هذا مفعول قوله يسلو.

حلَّى الرَّبيع الرَّفيع بحِلْيَة النُّوار
بسرّ بَديع لي مُذيع سَرائِرَ الأَزْهار
الروض رَاضَ وَهْوَ راضْ غصُونَ أَشْجارِه
شِفَا المِراض في مِراض جُفُون أَنْواره

٭

صحَّ العَليل منْ غَليل نَسيمه المِعْطار
إذْ في مَميلْ النَّخيل من غُصْنِه أَسْرار
وفي مَسيل(١) سَلْسَبيل مِياهه اسْتِعْبار
فِعْلُه مَاضْ عند قَاضْ أَفكار زُوَّاره
إذْ لا اعْتِراضْ في اقْتِراضْ نُقُودِ أَزْهارِه

٭

ولا جُناحْ في مُبَاحْ أَلْحان وَرْشانه
وهل يُتاحْ ارْتِياحْ الا برَيْحانه
تَرْوِي الرِّياحْ عَن صَحاحْ آثارَ نَيْسانه
مَن في الرِّياضْ والحِياضْ أَجَلُّ أَوْطارِه
فيه تُراضْ عن تَراضْ بَنات أَفكارِه

١ – هذا مفعول قوله يسلو .

وله مُوَشَّح غَزَلي على وَزْن لَيْل الهوَى يَقْظان [١] :

مَن عَلَّم ٱلْغِزْلانْ ٱلْفَتْك بالليْث الجَري
وَسَلَّطَ ٱلْعَيْنَان [٢] على قُــلُوب ٱلْبَشَر
يا ضَرَّة الشَّمْسِ اللهَ في الصَّبِّ ٱلْكَئِيب
يا مُنْيَة النَّفسِ هَجرُك للنَّفْس مُذِيب
حَدَّثني حَدْسِي أَنَّك لِلُّبِّ سَلِيب

●

بِأَسْهُم الأَجفان ذات ٱلْعَذاب الأَكْبرِ
مُصْمِيَة ٱلْوَلْهَــان بالدَّعْج والحورِ
ما ضَرَّ يا مَحْبُوبْ يا هاجري بلا ذُنُوبْ
لو تُنْعِشُ المطْلوبْ بلفْظك ٱلْعذْب الخَلُوب
بِغَايَة المرْغُــوبْ مِن وَصْلك المُحْيِ القُلوبْ
تَذكر يا وَسْنَان ياذَا الرُّوَاءِ الأَنْضَرِ
لَيَالِيَ ٱلْبُسْتَانْ تحت ٱلْعَرِيشِ الأَخضر
وأَنَــا في نشْوَهْ من خَمْر ثَغْرك النَّمي

١ – هو موشح مشهور لابن سهل الاسرائيلي .
٢ – رفعه على لغة من يلزم المثنى الالف في الاحوال كلها .

مُهَيِّج الصَّبْوَهْ لكلِّ من لم يَعْشَقِ
لم تَعْرُنـا جفْوَهْ تُثِيرُ نار حُرَقي

•

ما بَيْنَنَا نَدَمانْ إلا أَريجُ الزَّهرِ
أَوْ نَغْمَةُ ٱلْوَرَشانْ على غُصُون الشجَر
والبَدرُ من بُعْـده يرقُبنَا بكل عَيْن
أَرسل من وَجْده عَيْنا علينا الفَرْقَدَيْن
فغـابَ في قَصْده وخيبَةُ الرُّقْبان شَيْن

•

والوُرْقُ في الأَغصان فاقَتْ حَنِين الوَتَر
بمطْربِ الأَلْحان عند الصَّباح المسْفِر
تُثِـيرُ أَشْوَاقي بصَوْتِها المُبْري السَّقَمْ
قامتْ عـلى سَاقِ اذ عنبرُ الليل بَسَمْ
عن ثَغْـر أَشوَاق تشْدُو بطِيبِ النَّغمْ :

•

مَقَال ذي أَشْجان حِلْفِ أَسىً وضَرَرِ
« ليلُ الهَوى يَقْظَان والحُبُّ تِرْبُ السَّهَرِ »

وله توشيح من وزن « شُقَّ جَيْبُ اللَّيْل عن نَحْرِ الصَّبَاحِ [1] »
تخلّص فيه للمديح :

عَلِّلاني فلقد جاء الصباح بسُلافِ الرَّاح
وأمزَجاها بلَمى غيدٍ صِباح واملإِ الأَقْداح
واسقِياني فلقد غنَّى وصاح طائرُ الإصباح
إنَّ في الكاسات من خَمْر الدِّنان سَلْوَةَ المَحْزون
فاشربَنْها فلقد آنَ وحان زَمنٌ مَيْمُون

●

مُذ بدَت تطلُع أقمارُ المُدام في سَنَا الفكر
قوَّض الأشجَانَ من بعد ٱلْتئام رائدُ ٱلْبِشْر
مثلَما قوَّضَ غِرْبانَ الظَّلام أجدَلُ ٱلْفَجْر
يا لها من خَمْرَةٍ رقَّت مَعان مَن بها مَلبُون [2]
حاكَتِ الأَقمارَ في أَيْدي ٱلْقِيان في اللَّيالي الجُون

●

مَزَجَتْها راحةُ الإسكندَر بَشرَى سرنْديبْ
فلذا أزرت بطعْم ٱلسكَّر وأريج الطِّيبْ
وأَشَبَّت بسناها الابهَرِ أُمنِيَّاتِ الشِّيبْ
فاسْقِنِيها قَهوَةً تكسو ٱلْبَنان عَنْدَمَ المطْعُونْ –

١ – هو موشح مشهور لصفي الدين الحلي .
٢ – الملبون من به مثل الكسر من شرب اللبن والمراد من سقى بها .

مَكَثَتْ في الدَّنِّ دَهْراً مُذْ زَمانْ صانَها افْرِيدُون

●

بِنْتُ كَرَم حُبِيت كَرْمَتُها لأَبي بَلْقِيسْ
وسقَاها فَبدتْ نَضْرَتُها أَرسْطاطَالِيسْ
خِلْتُها لما غَشتْ سَورَتُها في حشا البَنِّيس[1]
زَجَل الرُّهبان يوم المِهْرجان في حمَى عَبْدون
أَو فُؤَادي إذْ علاه الخفقَان فهْو كالمجْنُون

●

هاجَه ذِكْرُ عُهُودٍ باللِّوى في ظِلال البَانْ
وبرُوحي ياعَذُولي في الهوى شادِنٌ فَتَّانْ
وجهُه والبدرُ في الحُسْن سَوا فهُمَا مِثْلانْ
يا لَهُ من أَجْورِ الجفْن بَرانْ لحظُه المَسْنُون
وجفا عيني الكرى لمّا جفانْ وَصْلهُ الممنونْ

●

لَيْتَ إِذْ مَزَّق صَبْرِي بالجَفا وسَبَا لُبِّي
وكَسا جِسْمِي الضَّنا والدَّنَفا وبَرَى قَلْبِي
يَتَّقِي الرَّحمن فيمَن أَتلفا دُون مَا ذَنْب
فلقد أَوْدى بروحي الهَيمان وكسَاني الهُونْ
وحكَى لوْني مِمَّا قد عَرانْ صُفْرَةَ العُرْجون

---

١ ـــ البنيس مثل الدن للخمر .

يا حـــياةَ ٱلرُّوح صِل ذا ٱلْمُبْتَلى بالهـوى قَهْـرا
لا تظُنَّ القَلبَ منه قـــد سَلا أو نوَى غـدْرا
لا ومَن فضَّلـــهُ ٱللهُ على خَلْقـه طُـراّ
الرَّسول المُصطفى الثَّبْت الجَنان ذِي السُّمَيِّ ٱلمَيْمُون
مَن حَبَـــاه ٱللهُ بالآي ٱلحِسان والنَّبا ٱلمكنون

ولابن الطيب ٱلْعَلَمي توشيح في وزن « يا لَيلَة ٱلْوَصْل وكأْس ٱلْعُقَار » [1] :

يا ليلَة السُّكر ويَوْم الخُمار بين الصِّغار علمتُما لاكْوَاس رميَ الجِمار
باتَ يُحَيِّينا نسيمُ الرِّياضْ
حتى اكتَسى الليلُ قمِيصَ البَياض
كأَنَّما يَمْلَا الطّلَا من حِيَاض
مُهَفْهَفٌ يُنسِيكَ ذاتَ الخِمار غِبَّ ٱلْمَزار يُديرُ باليُمنى لناوِ ٱلْيَسَار
فاشْرَبْ فما في شُرْبِها من جُنَاح
هذا غُرابُ الليل ضَمَّ الجَناح
وقَهْقَه الإبريقُ والطَّيْرُ ناح
وفاحَ كالعَنبَر نشْرُ ٱلْعَرار بين الثِّمار وأَنْشَدَ ٱلْقُمْرِيُّ حيِّ الديار
واستَنْطَق الاوتارَ تحت ٱلْوَرَقْ
ظَبْيٌ صفا منه الجَبِينُ ورَقّ

---

[1] — هو موشح مشهور لشهاب الدين العَزاري.

نامَ وأهدى للعُيونِ الأَرَقْ

عارِضُه فوق الخدود اسْتَدار ثم اسْتَنار وأَلْبَس الحُمرةَ ثوبَ اخْضرار

بدرٌ على جيْش المِلاح ظَهَر[1]

يَعبَقُ ريحُ المسك مهْما ظَهرْ

فهل رأيتَ الغُصْن لَمّا زَهرْ

مُستَأْنِسٌ أَصبحَ يَبْغِي النِّفــار فما يُزارْ ووجهُه الجنَّةُ حُفَّت بنــارْ

لما استَحلَّ الوصلَ لي واسْتَباح

في ليلةٍ تُنسِي اللّيـالي الصِّباح

قلتُ وقد أَسفَر وجْهُ الصَّباح

«يا ليلةَ الوَصْلِ وكأْسِ العُقار دُونَ اسْتِتَار علَّمْتُماني كيفَ خَلْعُ العِذار»

وللقاضي محمد بن طاهر الهوّاري هذا الموشّح في مليح شريف :

شـادِنٌ بالغَرامْ يَستفِزُّ الغَـريم

وصْـلُه لا يُرامْ والهَوى لا يَرِيمْ

●

أَغيَـدٌ لا يَقِيلْ مُهجَتي بالمُقَـلْ

وبطَرْفٍ كحيـل حلَّ فيه الكَحَـلْ

وبخَـدٍّ أَسِيـلْ فوْقَ غُصْنِ الأَسَل

---

١ – غلب وانتصر .

بُخْلُه بالسَّلام أَضنَى قلْبي السَّليم
ليتَه بالكلامْ أَحْيى صَبًّا كَلِيمْ

●

وَحْشَةُ الهاشِمي صيَّرَتْني هَشِيمْ
مَن غدا لَائِمي في هَواهْ لَئِيم
أَيُّها الفاطِمي صِلْ مُحِبّاً فَطِيم
لَحظُه كالحُسامْ لِفُؤادِي حَسِيمْ
مُظْهِرٌ باْبتِسام دُرَّ ثغْرٍ بَسِيم

وللشيخ محمد الحرّاق هذا الموشَّح الإشاري:

زالَ عن قَلْبي تولُّه[1] الفَنا وصَفا أَمْري
إذْ غدا لِي كلُّ رَبْعٍ وطنَا وانْتَفَى نُكْري

●

كلُّ مَاء قد حَوَتْه شَرْبتي فأَنا ريَّانْ
لستُ يوماً أَحتَسِي من خَمْرتي وأنا نَشْوانْ
من رَآني ثابتاً في حَيْرتي ظنَّني وَسْنانْ
لم أَزَلْ بينَ هُناكَ وهُنا دائماً أَسْري

١) دخله الكف وهو في الرَّمَل صالح .

وأَزُجُّ الفَقْرَ في عَيْنِ الغِنى إِذْ هُما سِرِّي

●

مِن جُيُوبِي كلُّ طِيبٍ عَبِقا عنـد إيقَـاني
عَجَباً كيف يُنـافيني البَقَا فَـأَرَى فَـانِي
وَوُجودِي كلَّ شيْءٍ سَبقَا ليسَ لي ثَاني
شارِباً أُلْفَى وَمَشْرُوباً أَنا وأَنـا غَيْري
وإِذا غَيْري بدَا فهْوَ أَنـا للَّذي يَدْرِي

●

إِذْ بُطُوني يَقْتَضِي لي سَاتِرا في مَقَامِ البَيْنْ
وظُهورِي يبْتَغِي لي مُبْصِرا في ضِيَاءِ العَيْنْ
فأَنا في البَيْن والعَـيْن أُرَى واحداً في اثْنَيْنْ
ظاهِرٌ منِّيَ مـا قـد بَطَنا فاعْرِفُوا قَدْري
مَن رآني يجْتَني زَهْرَ المُنى مُـدَّةَ العُمْرِ

وهذا زَجلٌ في النقد الاجتماعي لابن شُجَاع من أَهل تَازَة :

المالْ زينَةْ الدنيا وعزُّ النفوس يُبَهِّي وجوهاً ليست هِيَ باهْيا[1]

---

١ – تقوم الف الاطلاق في العامية مقام التاء المربوطة ويلاحظ هذا في كل ما يأتي من ذلك .

فَبِها كلُّ مَن هُو كتِيرْ الفُلوس ولوْه الكْلام والرُّتبة العَالْيــا

•

يكبُر مَن كثْر مَالُو[1] ولو كانْ صْغِير ويصْغُر عْزيز القَوْم إِذْ يفْتَقِر
مِن ذَا ينْطْبقْ صدْري ومنْ ذا يْصِير يْكَادْ ينْفقَع لوْلا الرُّجوع للقَدَر
حتى يلْتَجِي مَن هُو في قَوْمو كْبير لِمَن لا أَصل عِنْدُو ولا لُو خْطَر
لذا ينْبغي يُحْزن على ذي العُكوس ويصبَغ عْليه ثَوْب فراش صَافْيا
اللِّي صارتْ الأَذْناب أمامَ الرُّؤُوس وصَارْ يستمِدّ الوَاد من السَّاقْيا

•

ضعْف النَّاس على ذَا وفسْد ذا الزَّمان ما يْدرُوا على مَن يكثُّرُوا ذا العْتَاب
اللِّي صار فْلان يَصِيح بأَبُو فُلَان ولو رأيت كيفْ يُردّْ الجْوَاب
عِشْنا والسَّلام حتى رأينا عِيَان أنفَاس السَّلاطين في جْلُود الكلَاب
كْبار النفُوس جداً ضْعاف الأُسُوس همْ نَاحْيَـا والمَجْد في نَاحْيـا
يَرْوا أنَّهم الناس ويَروْنَهم تْيُوس وُجوه البلاد والعُمْدَة الرَّاسْيـا

وله زَجل غَرامي :

تْعبْ مَن تبَّع قَلْبُو مْلَاح ذا الزْمان اهْمل يا فْلان لا يلْعَب الحُسْن فِيك

---

١ – يقوم الواو المتولد عن اشباع الحركة قبله مقام الضمير هنا وفيما هو مثله مما يأتي في هذه الأزجال .

ما منهم مْلِيح عاهدْ إلّا وخان   قليل مَن عليه تحْبْس ويحْبْس عْليك

•

يْتِيهُوا على العشّاق ويتمنّعوا   يتعمّدوا تقطيع قْلُوبْ الرّجال
وان واصْلُوا من حِينْهم يقْطْعُوا   وان عاهْدُوا خانُوا على كُلّ حَال
مْلِيح كانْ هْويتْ قلبي وسْتّ معُو   وصيّرت من خدّي لْقدَامُو نْعَال
ومهّدت لُو من وسْط قلبي مْكَان   وقُلْتْ لقلبي اكْرِم لَمن حلّ فِيك
وهوّن عليك ما يعْتَريك من هْوَان   فلا بد من هَوْل الهوى يعْتريك

•

حكّمْتُو علي ورْضِيتْ به أمير   فلو كان يَرى حالي إذَا يْبصْرُو
يرْجع مثل درّ حوْلي بوجه ألْقدير   مردِيه ويتعطس بْحَال انْحْرُو
وتعلّمت من ساعا بسَبْق الضّمير   يْفهَمْ مْرَادُو قبل أن يذْكْرُو
ويحتَل في مطْلوبُو ولوان كان   عصر في الربيع أو في اللّيالي يْريكْ
ويمشي يسُوقو ولو كان باصْبِهَان   إيشْ ما يقُول يحْتَاج يقُولُو يْجيك

ومن زَجل سياسي للكفيف الزرهوني يذكر فيه هَزيمَة أبي الحسن المريني بافريقية وانقطاع خَبره عن رَعيَّته :

سُبْحان مالِك خْواطر الأُمْرا   ونْوَاصِيها في كُلّ حين وزْمان

إن طِعْنا عطْفهم لنـــا قَسْرا وان عْصينَاه عاقْب بكُلّ هْوان

•

كُنْ مَرْعِي قُل ولا تكُن راعِي فالرّاعي عن رَعيّتـه مَسْؤُول

واسْتفتح بالصّلاة على الدّاعي للإسلام والرّضا السّني المَكْمُول

على الخُلفا الرّاشْدين والاتْباع واذكُر بعْـدهم إذا تحبّ وقْول

اُحجّــاجــاً تحللوا الصّحْرا ودّوْا سَرْح البلاد مْعَ السكّان

عَسْكر فَـاس المنيرة الغرّا وَيْن سَارت بـه عْزَايْم السُّلْطان

•

أَحجّاجاً بالنّبي الذي زُرْتُم وقْطعتُم لُو كْلاكْل البَيْــدا

عن جيْش الغَرْب حين يسْأَلكُم المَتْلُوف في افْرِيقْيـا السوْدا

ومَن كاَن بالعْطَايا يزوّدْكُــم ويدَع برّيَــة الحجـاز رغْدا

قَام قُل للسدّ صادف الجزْرا ويعْجز شوط بعد ما يْحفَــان

ويزفّ كردُوم وتهب في الغبْرا أَي ما زَاد غزَالهم سَبْحَان

•

لوْ كان ما بين تُونس الغَرْبا وبْلاد الغَرْب سدّ اسكَنْدَر

مَبْنِي من شرْقها الى غَرْبا[1] طبْقَة بْجْديد وثَانْيا بصْفَر

١ـ يعني غربها فالهاءُ فيه مختلسة .

لا بُدّ للطَّير ان تجيب نبا   او يَأتِي الرِّيح عنهم بفَرْد خبَر
ما اعْوصْها من امور ومَا شرًّا   لو تقْرا كلّ يُوم على الدِّيوَان
لَجْرَتْ بالدَّم وانْصدع حَجْرا   وهْوَت الخراب وخافَت الغزْلان

•

أَدْرِ لي بعَقْلَك الفحَّاص   وتفكَّرْ لي بخاطْرك جَمْعا
ان كانْ تعْلَم حَمَام ولا رقَّاص   عن السُّلطان شْهَر وقبْله سَبْعا
تظْهر عند المهيمن القصَّاص   وعْلامات تُنشَر على الصَّمْعا[1]
الَّا قوْم عارْيين بلا سْترا   مجهُولين لا مْكَان ولا إمكان
ما يدرُوا كِيف يصُّوروا[2] كسْرا   وكِيف دْخلُوا مدِينة القيرَوان

•

اموْلاي ابو الحسن خْطِينا الْبَاب   قَضيَّة سيْرنا الى تُونْس[3]
نُقنا كنَّا على الجْرِيد والزَّاب   وَاشْ الكْ في اعْرَاب افْريقيا القُوبْس
ما بلْغك من عُمَر فتى الخطَّاب   الفارُوق فاتح القُرى المُولْس
مْلْك الشَّام والحْجاز وتَاج كِسْرى   وفْتح من افْريقيا وكَان

١– يريد الصومعة .

٢– اي يكسبون كسرة .

٣– راجع فصل الوجهة السياسية من العصر المريني في الجزء الاول .

ردّ ولدت لُو كرَّة ذكرى ونقل فيهـــا تفرَّق ٱلاخـــوان

●

هذا الفَارُوق مُردِي الاعوان صرَّح في افريقيا بذا التصريـح
وبقَت حمَى الى زْمان عثمان وفْتحها ابن الزُّبير عن تصحيـح
لما دْخلتْ غنَائمها الدِّيوان ماتْ عْثمان وانقلْبت علينا الرِّيح
وافْترق الناس على ثلاثة أمرا وبقِي ما هو للسكُوت عُنْوان
اذا كان ذَا من مـــدّة البَرَرا أَشْ نعْمل في اواخر الأَزْمـــان

ومن زَجل لابن داوُد يتضمَّن قصةَ الجواري العشر التي صاغَها عبدُ المهيمن الحضرمي في شكْل مقامة ذكرناها في الجزء الثاني :

أَنا ندُور في فاس بين زْناقي ودْرُوب بالطَّبْع والتأدُّب
حتى سمعتْ هَول في واحد الزّْنقا[١] بين الرِّيَام دَعَقَا[٢]
لمَّا سمعتْ ذا العْياط يا حَضْرا اوْقَفت ردْت خبْرا
وانظْرت في الرّْيام وْجدتْهُم عشْرا بَيْضـــا ولَوْن حَمْرا
ورقيقَة غْزال في بْلاد الصحرا واخرى مْلَات عَبْرا
واخْرى شطَّا مثل غصْن البَـــان وقصيرة وردَة في كُمّ مَلِك

١– الزقاق .
٢– خصومة .

والبلديةْ بزينها الفتّان وعَرْبية كُسْتها باللّك [1]
وعجُوزَة متهدّمة الأسنان وصبيّة بشفَارهـا تهْلك
من بَعْد ما هَدُّوا حضِرُوا هناك أجوَاد
وقفُوا وقد ردّوا وتأدّبوا الاغْيَـــاد [2]
والضدّ مْعَ ضدُّوا يْتعايْروا الجْهَــاد
بيضا مْعَ الحِميرا وشطًّا مْعَ القصيرا وعْجوزَة والصّغيرا
والسّاكْنا البلادبالوَجه المَحجُوب وعَرْبيَّـة بغَنْبُـــوب [3]
واللّي مْلات بالشّحَم في عَرْقا واللّي تبْــلات برِقّا

•

نطقت وقالت البيضا حُسني هَاج لَوْني أبيض كما العَاجْ
بدني كمَا الغُصْن بيدّين نسّاج وانتِ كذَاك التمْسَاح
بَيْن البْياض وبَيْن السّواد دْرَاجْ مثل النّهـــار والدّاجْ
النّسري [5] واللّوْز والازهار والسُّوسَان والياسْمين لَوْني
وكْواكب والشمس والاقمار من وَجهي والصّبْح من حُسْني

---

١ – بالحمرة التي هي لون اللّك .
٢ – يريد جمع غيداء .
٣ – يعني بوجهها المكشوف .
٤ – كذا في الأصل ، فهل يدخل الأكفاء الزجل ؟
٥ – أي النسرين .

وأنتِ لونْك يحْكي للقَار ودْنيتي[1] يا سَوْدا تعَاندْني
اوعاي مع عَملك او اصْمتِ وباعدني
وانظر إلى لونك وانظرْ إلى لوْني
عندي أَحسن منّك في الـدار تخدْمني
لون البياض زهْوا لهْ العبَاد تهوى نصْف الجْهال هُوا
انظُر بفكرتك في الثّوب المجْلوب صاحب البياض محبوب
وما السوَاد مَن راد يتنقّى باطل كذاك يشْقَى

●

نطقت وقالت السمرا بالزعاج[2] لوْني بديع وهّـاج
يشرق كما الخَمْرِ في قطعان الزّاج نسمة وطِيبَة وعْلاج
وبما الذّهب كيْتكْتب التّاج ونَقْش القباقب العاج
مارِيت في البياض سوى خَمسا مَعْروفين بالثّقل والبراد
ملْح وجِير وثلْج به تُكسا ورخام وعاج في البياض قدَاد
منجُوسين وقلها بَخْسا[3] تحت الأَقدام يجرعُوا النّكاد
ورِفعة الاسْوام تُعرَف للاسْمَر
شُهدُ العَسَل ومدام والمِسْك والعَنْبَر

١ – اي من البلاء ان تكوني انت منافسة لي.
٢ – يريد بانزعاج .
٣ – اي وما ابخسها .

والتِّبر حين يغنام والبرْهان الاحمر
والتمْر في اوانُو والزَّهر في أَغْصانُو والعُود في مْكانُو
الاحْمَر بْديع في الماكول والمشْرُوب ما فيه شيء معيوب [١]

وللعَذْراوي زَجَلٌ يُعرف بالصَّبوحي :

الصُّبْح كَشْريف ،أَرخى ذَيْل إِزَارُو ولْبس من الديباج غْفَارا
والليل كغْلام أَسْود شابْ عْذَارو وشْعَل مـن البياض مْنارا

●

الصُّبح كَنسر يتَعلَّى والليل سالد مْع غْرابُو
والضوء في سْماه تولَّى وارْسل على الظلام عْقَابُو
انظُر تَرَ حْمام القِبْلا مِثْل الامام في مْحرابُو
الفَلَك كيف دار بصَنْعة دوَّارُو وخْفَـا كواكبُ السَّيَّارا
هبَّ النسيم بين الداعي ونْهارُو شوَّش ذْواحْنا المَسْرارا

●

الأَشْجار بارْزة في حْليها تُجلى على سْواقي البُستان
ومْياه خَلْخلت رِجْليها والزَهر دارْ لْها تِيجان

---

١ ــ نشرنا هذا الزجل بتمامه مع بحث قارنّا فيه بينه وبين مقامة الحضرمي في مجلة تطوان عدد ٥

مدَّت من الكمام يديها تطلُب من الكريم الغفران
ٱلأَغصان كلّ واحد يغرم دينارُو يُعطي على الصباح بشَارا
والطَّير كالخطيب طلعْ في منبارُو وعظ والاغصانْ سكارى

•

اقبلت محاسن الغَدْوِيَّا للْوالعِين وللِّي تابُو
والرَّوض في ثياب نَقِيَّا يَعِيق على طراف جنابو
والمرْج كَسْا ذَهَبِيـا يرمي على الرَّقيب شهابو
صبّ تشُوف يا سَاقي من بلّار اسْعَ وطُفْ بالخَمَّـارا
واعطف على شموس مقامك واقمار وكمِّل على وُجـوه الدَّارا

•

اغْنَم مع المليح صباحك أما ترى الزمان في غفلا
واشعَل من الهْنا مصباحك من لا يفوز ما يسَلا
إذا انجرت بك رياحك جفنك يعوم فوق الحمْلا
خلِّ عدوَّك يتقلب فوق جمارُو وادٍّ من السُّرور إمَارا
من جاذ لو زمانو يقطف نوَّارُو الايَّام صَاحيـا مَطَّـارا

وللشيخ الحراق زجل غرامي :

جاذ الزمان واستبشر قلبْ الهائِم وتحلّى بالسَّعْد حين صاب منَاه
نكى الحسود وظفَر بالعزّ الدّايم واصبَح يتبختَرْ في ثياب هنَاه

•

طـــابْ السرُور

مَعَ البْدُور
بِيض النُّحور
فاغنم كأس الرَّاح ها حبيبك زَارْ
اسْق وذُور
وانْف الشُّرُور
طُولْ الدُّهور
سَاعة السُّلْوان فَايْدَة الاعْمَار
آتِ المليحْ واعصِي باللُّوم اللَّايْم واعْمل في ايَّامك مَا تهْواه
وانشد من أشعاركْ في الحسْن القايْم نجمك صَاحِ صَارْ في صُعُود سْمَاه
صِل الشَّرَابْ
فَالنَّكَادْ غَابْ
والخير صَابْ
وسْرُجْ الفُرْجات شَعْشْعت الأنوار
رَشْف الاكْوَاب
مع الأحْبَاب
عَين الصَّواب
فَا زْهى في زْمانك لَوْتعِيش نْهار
نظرة في الحبيب تمحِي كلْ جْرايمْ والرحمن كْريم ياللِّي يَرْجاه

إذا مَا رْضى ما تنْفَعْ عْزايمْ   لَوْ باعْمال الخيْر كلّها تَلْقَاه

وله أيضاً :

زَارْ حبيبي بَعدْ مَا جْفا   وتْبدَّد كَرْبي
وتْيقّنْتْ بْخَاطْرُو صْفَا   حِينْ بْغَى قُرْبي
واجْذْبني بالصِّدقْ والوْفَا   واقْلع عن حَجْبي
واظْهَر لي سرَّ ما خْفَا   عنّي في جَذْبي
نارْ غْرَامُو ما تْنطْفا   عُمْري من قَلْبي
ما مِنّي لِلو مْخَالْفا   يَقتُلْ أو يَسْبي
لاَمُوني في هْواهْ مَا كْفى   واتّقوا عْجْبي
وأنا حَالي ما يْنْتفى   راسْخ في شُرْبي
نِلتْ وصالُو بالْمسَاعْفا   ما هُو منْ كَسْبي
غِير تْلاقِيتُو مْصادْفا   سَابْقَة من رَبّي

وله كذلك :

جَادْ عليّ بْرضَاه
الحبيب اللّي حَبِّيتُ   زارْني وانعَم لي بالوْصَال
حِين اشْرق نُورْ بْهَاه
كلّ شِي بالقَهْر نْسِيتُ   يَا اهْلي عَقْلي اذا شفتوه زَال
ما بي غِيرْ هْوَاه

بَانْ فِيَّ بَعْد ما خفيتُ والغْرَام اذا هُو تقوَّى وصَال
مَا يقْدرْ مَن يَلْقَــاه
شُوفْ حَالِي حينْ لْقِيتُ حاطْ بِي واقْهرني بالنّصَال.
كلّي في الحــقّ مْنَاه
قال لي غِيرك مَا رِيتُ يا لُوَالْه زوَّل شكّ الْخيَال
مَــا ثَمَّ غِــير الله

وللسيد عبد القادر العَلَمِي المتوفى سنة ١٢٦٦ زجل غزَلي :

الخَــالْ غلاَمْ عَسَّاسْ في رَوْضَــةْ منعَّما
كِينُّو ضِرْغَام [1] في يمِينُو حَرْبَة لِيَ اوْ ما
منْ حَاذَاه يَتْركُو رميم
صُنْع العَــلَّام نُقْطَة في صْفْحَةْ مكَرَّمــا
ما نْزلتْ باقْلام حكْمت ربِّي رَافع السّمَا
كَوْن الله الدَّايم القدِيم
وجْعَاب ارْوَام [2] وكْوَابْس [3] للضَّرْب رَايْما
ما تْقبلْ تذْمَام في مكَاتْب كُفَّار ظَالْما

---

١ – يعني كأنه .
٢ – أي جعاب بنادق رومية وهو يريد الحواجب والعيون .
٣ – جمع كابوس وهو في العامية المغربية المسدس .

مَوْلُوعَة بالقَتْل والهْجِيم

والجِيـــدْ رَام قُدَّام جْلِيب وهــــانْيها
شْرَادات اللَوْهَام على العفَّـــة والطّيب قَايْها

ما تقْرا أَمَان مَا تْقِيم

زين الأَعجام[1] العَيْن الشُّهْلا النَّـــانْيها
والبْيَـاض تْمَام وحْرُوف الزِّين المْسَقْها

وصْف الزّين في صنعَة حكيم

قَامـة الأَعْلام جْبِيْن وغُرَّة مْبسّما
حُسْن بغَيْر وْشَام وخْدُود كوَرْدَة نَاسْها

صُنْع الله المَلِك العَظِيم

وله أيضاً :

راحْ الوقْت ولا بْقَا الَّا وقت المْعَـانقـا
كُبّ وَرَا[2] وارْخِي روَاق
والاشجَار البَاسْقا والاطْيَـــار النَّاطْقا
عمّرتْ بْلْغاها اسْوَاق

---

١ – أي جمال عجمي غير عربي فهو كالبيت المشهور :
الله اكبر ليس الحسن في العرب كم تحت لمة ذا التركي من عجب
٢ – اي املأ الكأس وناولها .

كُبّ الصَّهْبا الخَارْقا في كِيسان بْنَادْقا[1]

من زَاجْ بْلاد العِرَاق

تظْهر خَمْر بَارْقا في الاوَانِي شَارْقا

كَلوْن سْحِيق الرّهَاق[2]

وله من زَجَل في مدْح المَوْلى ادريس الأَكْبَر :

بْوجُودْك يا سْراج مَحْفل أَهْل اليَقِيْن

سْعَد الغَرْب بعد كَانْ في بُرْج نْحِيسْ

انْتَصْرت مــلّة النّبي وتْشهَر الدِّيْنْ

والحقّ اسْتقام منْهَجْو بَعْد التّنْكِيسْ

وقْطَعْ سيْف الهُدَى رْقَاب الْمرتَدِّيْنْ

بالقَهْر ولابْقَى رْهيب ولا قِسِّيس

نْبنَــاتْ مْساجــد العْبَــادَة للمْبِيْن

وفْنُون العِلْم بالتّـــلَاوة والتّدْرِيسْ

بْوجُودْكْ يا سِيْدنَا مَوْلاي ادرِيسْ

---

١ – يعني من صنع البندقية .

٢ – يريد به الزعفران .



مصادر الكتاب

لهذا الكتاب مصادر عامة وخاصة ، أما العامة فهي التي تتناول موضوع المغرب مع غيره من الموضوعات كالتواريخ الكبرى ودوائر المعارف وكتب التراجم الجامعة، وما الى ذلك ، وأما الخاصة فهي التي لا تتناول الا المباحث المغربية فقط ، من تاريخ وتراجم وأدب وهذه كلها من المصادر المظان ، أما غير المظان ككتب الفقه والحديث والتفسير والعربية وبقية العلوم الأخرى ، والشروح والحواشي والرسائل الموضوعة في مختلف المسائل والمجاميع الأدبية والصحف والمجلات فضلاً عن السماعات والوجادات الموثوق بها كل الوثوق فانهـا تكاد تكون أكثر مصادره ولا سيا في الجزأين الثاني والثالث المشتملين على الآثار والمنتخبات الأدبية ، ويعسر علينا تعداد هذه المصادر التي لا تنضبط فنقتصر هنا على ذكر المصادر المظان عامة وخاصة .

المصادر العامة

ابن الأبار

تكملة الصلة — ط. مدريد ١٨٨٦ .

معجم أصحاب أبي علي الصدفي — ط. مدريد ١٨٨٥ .

الحلة السيراء، اعتاب الكتاب، تحفة القادم } مصوَّر مخطوط الاسكوريال .

ابن الأثير

الكامل في التاريخ — ط مصر ١٣٠١ — ١٣٠٢ .

أحمد بابا السوداني

نيل الابتهاج بتكميل الديباج — ط . مصر ١٣٥١ .

أحمد توفيق المدني

تقويم المنصور – ط. الجزائر ١٣٤٨ .

ابن الأحمر (اسماعيل)

نثير الجمان فيمن ضمني وإياه الزمان ، مخطوط خاص .

الادريسي (الشريف)

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق–القسم الخاص بالمغرب والسودان ط.ليدن١٨٦٦ .

ادوارد فنديك

اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ط. مصر ١٣١٣ .

اسماعيل باشا البغدادي

اظهار المكنون في الذيل على كشف الظنون – ط. استنبول ١٣٦٤ .

هدية العارفين في أسماء المؤلفين وأثار المصنفين – ط. استنبول ١٩٥١ .

ابن أبي أصيبعة

عيون الأنباء في طبقات الأطباء – ط. بيروت ١٣٧٦ .

الافراني (محمد الصغير)

المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل – ط. فاس ١٣٢٤ .

ابن بسّام

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، القسم الأول والجزء الأول من القسم الرابع ط. مصر ١٣٥٨ -- ١٣٦٤ .

ابن بشكوال

الصلة – ط. مدريد ١٨٨٢ .

ابن بطوطة

الرحلة المسماة بتحفة النظار – ط. مصر ١٣٢٢ .

البكري (**ابو عبيد**)
المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، طرف من كتابه المسالك والممالك ط. الجزائر ١٩١١ .

بلا فريج (**أحمد**)
الأدب الأندلسي ، بالاشتراك مع عبد الجليل خليفة ط. تطوان ١٣٦٠ .

البلغيثي (**احمد**)
الابتهاج بنور السراج . ط. مصر ١٣١٩ .

بيل (**الفريد**)
برنامج المخطوطات العربية الموجودة بخزانة القرويين – ط. فاس ١٩١٨ .

التمجروتي (محمد)
النفحة المسكية في السفارة التركية – ط. باريز (بدون تاريخ) .

التمنارتي
الفوائد الجمة في اسناد علوم الأمة – مخطوط خاص .

ابن تومرت (المهدي)
أعز ما يطلب وما معه – ط. الجزائر ١٣٢١ .

الجراوي (أبو العباس)
الحماسة المغربية – مصوّر مخطوط استنبول .

جوزيف ماكيب
مدنية العرب في الأندلس ، ترجمة الدكتور تقي الدين الهيلالي ط. بغداد ١٣٦٩ .

حاجي خليفة
كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون ط. استنبول ١٣٦٠ .

ابن حجر العسقلاني
الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ط. حيدر أباد ١٩٤٥ – ١٩٥٠ .

الحجوي (محمد)

الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي–ط. الرباط وتونس وفاس ١٣٤٠ -١٣٤٩

ابن حماد

أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم – ط. الجزائر ١٣٤٦ .

الحميدي

جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ط . مصر ١٣٧٢ .

ابن خاقان (الفتح)

قلائد العقيان – ط . مصر ١٣٢٠ .

مطمح الأنفس – ط . مصر ١٣٢٥ .

ابن الخطيب (لسان الدين) .

الاحاطة في تاريخ غرناطة الجزء الأول والثاني – ط . مصر ١٣١٩ ومُصَوَّر مخطوط الاسكوريال رقم الحلل في نظم الدول – ط . تونس ١٣١٦ .

اعمال الأعلام ، القسم الثاني الخاص بالأندلس ط . الرباط ١٣٥٣ .

اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية – ط . مصر ١٣٤٧ .

معيار الاختيار المعروف بمقامات البلدان – ط . فاس ١٣٢٥ .

الكتيبة الكامنة في شعراء المائة الثامنة – مخطوط خاص .

ريحانة الكتاب – مُصَوّر مخطوط مكتبة الاسكوريال

الخفاجي (الشهاب)

ريحانة الالبا – ط . مصر ١٣٠٦ .

طراز المجالس – ط . مصر (بدون تاريخ) .

ابن خلدون (عبد الرحمن)

تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر – ط . مصر ١٢٨٤ .

التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ط . مصر ١٣٧٠ .

ابن خلدون (يحيى)
بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد – ط . الجزائر ١٣٢٩ .

ابن خلكان
وفيات الأعيان – ط . مصر ١٣١٠ .

ابن خير
معجم ما رواه عن شيوخه – ط . سراقوسطة ١٨٩٣ .

خير الدين الزركلي
الأعلام الطبعة الجديدة – مصر ١٣٧٣ – ١٣٧٨ .

الدباغ (عبد الرحمن)
معالم الايمان في معرفة أهل القيروان وذيله لابن ناجي – ط . تونس ١٣٢٠ .

ابن دحية (ابو الخطاب)
المطرب من أشعار أهل المغرب تحقيق ابراهيم الابياري وآخرين – ط . مصر ١٩٥٤ .

ذوزى (رينهاريت)
ملوك الطوائف ترجمة كامل كيلاني – ط . مصر ١٣٥١ .

دي سلان (البارون)
فهرس المخطوطات العربية بمكتبة باريز الوطنية – ط. باريز ١٨٨٣ .

الوجراجي (عبد الله)
فهرس المخطوطات العربية للخزانة العامة ، بالاشتراك مع س. علوش – ط. باريز ١٩٥٤ .

ابن رحمون (التهامي)
شذور الذهب في خير النسب – مخطوط خاص .
الانجم الزاهرة في الذرية الطاهرة – مخطوط خاص .

ابن رشيد الفهري

رحلة ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الوجهتين الكريمتين الى مكة وطيبة – مخطوط الاسكوريال .

ابن ريسون (محمد بن الصادق)

فتح العليم الخبير في تهذيب النسب العَلَمي بأمر الأمير – مخطوط خاص .

ابن زاكور

رحلة نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان – ط. الجزائر ١٣١٩ .
ديوان الروض الأريض في بديع التوشيح ومنتقى القريض – مخطوط خاص .

ابن الزبير (أبو جعفر)

صلة الصلة ، القسم الأخير منه – ط. الرباط ١٩٣٧ .

ابن الزيات (أبو يعقوب)

التشوّف الى رجال التصوّف – مخطوط خاص .

الزياني (أبو القاسم)

رحلة الترجمانة الكبرى التي جمعت أمصار المعمور كله براً وبحراً – مخطوط خاص.

الساحلي

بغية السالك في أشرف المسالك – مخطوط خاص .

السائح (محمد)

المنتخبات العبقرية لطلاب المدارس الثانوية – ط. الرباط ١٩٢٠ .

سركيس (يوسف)

معجم المطبوعات العربية والمعربة – ط. مصر ١٣٤٦ .

ابن سعيد المغربي

المغرب في حلي المغرب تحقيق الدكتور شوقي ضيف – ط. مصر ١٩٥٣ .

الغصون اليانعة في محاسن شعراء المــائة السابعة تحقيق ابراهيم الابياري - ط. مصر ١٩٤٥ .
عنوان المرقصات المطربات ، نشر محمد عبد القادر ، الجزائر ١٩٤٩ .
رايات المبرزين وغايات المميزين ، نشر غرسية كوميز - مدريد ١٩٤٢ .

السيوطي (جلال الدين)
حسن المحاضرة في تاريخ مصر القاهرة – ط. (بدون تاريخ) .
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة – ط. مصر ١٣٢٦ .

ابن شاكر الكتبي
فوات الوفيات – ط. مصر ١٣٩٩ .

الشريسي (ابو العباس)
شرح المقامات الحريرية – ط . مصر ١٣٠٦ .

شكيب أرسلان (الأمير)
الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ، ٣ مجلدات – ط . مصر ١٣٥٥ – ١٣٥٨ .

الشماع
تاريخ الدولة الحفصية – . ط تونس .

الصفدي (صلاح الدين)
الغيث المسجم في شرح لامية العجم – ط . مصر ١٣٠٥ .
الوافي بالوفيات ، الجزء الأول – ط . استنبول ١٩٣١ .

صفوان بن ادريس
زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر نشر عبد القادر محداد – بيروت ١٣٥٨ .

الطبري (ابن جرير)
تاريخ الأمم والملوك – ط . مصر ١٣٢٦ .

ابن ظافر الأزدي

بدائع البدائه – ط . مصر ١٣١٦ .

ابن عبد الحكم المصري

فتوح افريقيا والأندلس – ط . الجزائر ١٩٤٢ .

ابن عبد الملك المراكشي

الذيل والتكملة ، الأجزاء الثلاثة المصورة بالخزانة العامة بالرباط ، ومصور جزء الاسكوريال .

ابن عبد المنعم الحميري

صفة جزيرة الأندلس ، انتخبها من كتابه الروض المعطار ليفى بروفينسال – ط . مصر ١٩٣٧ .

ابن عذارى

البيان المغرب في اخبار المغرب ، الاول والثاني ط . بيروت ١٩٥٠ الثالث ط . باريز ١٩٣٠ الرابع ط . تطوان ١٩٥٨ .

ابو العرب (محمد بن تميم)

طبقات علماء افريقية وما معه – ط . الجزائر ١٣٣٢ .

ابن عربي الحاتمي

محاضرة الأبرار ومسامرة الاخيار – ط . مصر ١٣٠٥ .

رسالة القدس – ط . ١٩٣٩ .

ابن عمار

نحلة اللبيب بأخبار الرحلة الى الحبيب – ط . الجزائر ١٣٢٢ .

العياشي (أبو سالم)

رحلته المسماة ماء الموائد – ط. فاس .

عياض (القاضي)

ترتيب المدارك وتقريب المسالك الى معرفة أعلام مذهب مالك - مخطوط الاستاذ محمد بن أبي بكر التطواني .

فهرسته المسماة بالغُنْية — مخطوط خاص .

ابن غازي (محمد)

الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون — ط. فاس ١٣٣١ .

الغبريني (أبو العباس)

عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية — نشر ابن أبي شنب — الجزائر ١٣٢٨ .

غريط (محمد)

فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان — ط. فاس ١٣٤٧ .

الغزال (أحمد بن المهدي)

رحلة نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد ، نشر فريد البستاني العرائش — العرائش ١٩٤١ .

الغزيري

فهرس المخطوطات العربية بمكتبة الاسكوريال — ط. مدريد ١٧٦٠ — ١٧٧٠ .

الغساني

رحلة الوزير في افتكاك الأسير — ط. العرائش ١٩٤٠ .

ابن غلبون

تاريخ طرابلس المسمى بالتذكار ط. مصر ١٣٣٩ .

فؤاد السيد

فهرس المخطوطات المصورة بمعهد احياء المخطوطات العربية بالاشتراك مع الدكتور لطفي عبد البديع — ط. مصر ١٩٥٤ — ١٩٥٦ .

ابن فرحون

الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب – ط. مصر ١٣٥١ .

ابن الفرضي

تاريخ علماء الأندلس – ط. مدريد ١٣٩١ .

فريد وجدي (محمد)

دائرة معارف القرن العشرين – ط. مصر ١٩١٠ .

الفشتالي (محمد بن علي)

نظم الوفيات لابن قنفذ والزيادة عليها – مخطوط خاص .

أبو القاسم الشريف

رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة – ط. مصر ١٣٤٤ .

ابن القاضي (أحمد)

درة الحجل في غرة أسماء الرجال – ط. الرباط ١٩٣٤ .

لقط الفرائد من حقاق الفوائد – مخطوط خاص .

قدري حافظ طوقان

تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك – ط. مصر ١٩٤١ .

القرافي (بدر الدين)

توشيح الديباج - مخطوط خاص .

القفطي

اخبار العلماء بأخبار الحكماء – ط. مصر ١٣٢٦ .

القلقشندي

صبح الأعشى – ط. مصر ١٩١٣ – ١٩١٨ .

ابن قنفذ (ابن الخطيب القسنطيني)

وفياته المسماة شرف الطالب في أسنى المطالب نشر هنري بيريس -- مصر

أنس الفقير وعز الحقير – مخطوط خاص .

الكتاني (عبد الحي)

فهرس الفهارس – ط. فاس ١٣٤٦ - ١٣٤٧ .

الكعاك (عثمان)

موجز التاريخ العام للجزائر – ط. تونس ١٣٤٤ .

كنون (عبد الله)

التعاشيب - ط. تطوان ١٣٤٢ .

واحة الفكر – ط. تطوان ١٣٤٨ .

خل وبقل – ط. تطوان ١٣٧٨ .

شرح مقصورة المكودي – ط. مصر ١٣٥٦ .

شرح الشمقمقية – ط. مصر ١٣٥٤ .

المنتخب من شعر ابن زاكور – ط. العرائش ١٣٦١ .

الكوهن (الحسن)

طبقات الشاذلية الكبرى – ط. مصر ١٣٤٧ .

كين روبير

فهرس المخطوطات العربية بمكتبة مدريد الوطنية ط. مدريد ١٨٨٩ .

المالكي (أبو بكر)

رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية الجزء الأول نشر الدكتور حسين مؤنس – مصر ١٩٥١ .

مبارك الميلي

تاريخ الجزائر في القديم والحديث - ط. الجزائر ١٩٣٢ .

المحبي
خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر – ط. مصر ١٢٨٤ .

ابن مخلوف التونسي
شجرة النور الزكية في طبقات المالكية – ط. مصر ١٣٤٩ .

المرادي (محمد خليل)
سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر – ط. مصر ١٢٩١ .

المراكشي (عبد الواحد)
المعجب في تلخيص أخبار المغرب – ط. مصر ١٩٤٩ .

ابن أبي مريم
البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان – ط . الجزائر ١٣٢٦

ابن معصوم
سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر – ط. مصر ١٣٢٤ .

المقري (أحمد)
نفح الطيب – ط. مصر ١٣٠٢
أزهار الرياض في أخبار عياض ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين – مصر ١٣٥٢ .
فتح المتعال في مدح النعال – ط. حيدر أباد ١٣٣٤ .

ابن ناصر (أحمد)
رحلته الحجازية – ط . فاس ١٣٢٠ .

الناصري (أحمد بن خالد)
زهر الأفنان من حديقة ابن الونان – ط. فاس ١٣١٤ .
طلعة المشتري في النسب الجعفري – ط. فاس (بدون تاريخ) .

النباهي (أبو الحسن)
المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا – ط. مصر ١٩٤٨ .

الونشريسي (أحمد)

المعيار المغرب والجامع المعْرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب – ط. فاس ١٣١٥ .

ياقوت الحموي

معجم البلدان – ط. مصر ١٣٢٤ .

معجم الأدباء المسمى ارشاد الأريب طبعة الدكتور فريد رفاعي مصر ١٣٥٧ .

يوسف أشباخ

تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ترجمة محمد عبدالله عنان – ط . مصر ١٣٧٧ .

اليوسي (الحسن)

المحاضرات – ط. فاس ١٣١٧ .

القانون في ابتداء العلوم – ط. فاس ١٣١٠ .

مناهج الخلاص من كلمة الاخلاص – ط. فاس ١٣٢٧ .

ديوان شعره – ط. فاس .

المصادر الخاصة

ابن ابراهيم (عباس)

الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام – ط. فاس ١٣٥٥ – ١٣٥٨ .

الافراني (محمد الصغير)

نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي – ط. فاس (بدون تاريخ)

صفوة ما انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر – ط. فاس (بدون تاريخ)

أكنسوس (محمد)

الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي – ط. فاس ١٣٣٦ .

ابن أبي محمد صالح (أحمد بن ابراهيم)
المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح – ط. مصر ١٣٥٢ .

الأنصاري (محمد بن القاسم)
اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سَنيِّ الآثار – ط. باريز ١٣٥٠ .

بروفينسال (ليفي)
مجموعة رسائل موحديّة – ط. الرباط ١٩٤١ .

البيدق (أبو بكر الصنهاجي)
أخبار المهدي بن تومرت وابتداء أمر الموحدين – ط. باريز ١٩٢٨ .

الجزنائي (أبو الحسن)
زهرة الآس في بناء مدينة فاس – ط. الجزائر ١٣٤٠ .

أبو جندر (محمد)
مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح – ط. الرباط ١٣٤٥ .

الحضرمي (محمد)
بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة من مدرس وأستاذ وطبيب ، قطعة منه – مخطوط خاص .

الحلبي (أحمد بن عبد الحي)
الدر النفيس في مناقب الامام ادريس بن ادريس – ط. فاس ١٢٩٩ .

داود (محمد)
تاريخ تطوان الجزء الأول – ط. تطوان ١٩٥٩ .
مختصر تاريخ تطوان – ط. تطوان ١٣٧٥ .

ابن أبي زرع
الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس – ط. فاس ١٣٠٣ .

الزياني (أبو القاسم)
الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب ، قطعة منه نشرها هوداس ١٣٠٣ .
الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب – مخطوط خاص .

ابن زيدان (عبد الرحمن)
اتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس – ط. الرباط ١٣٤٧-١٣٥٢.
الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة – ط. الرباط ١٩٣٧ .

ابن سودة (عبد السلام)
دليل مؤرخ المغرب – ط. تطوان ١٣٦٩ .

السوسي (محمد المختار)
سوس العالمة – ط. فضالة ١٣٨٠ .
المعسول ، الجزء الأول – ط. الدار البيضاء ١٣٨٠ .

ابن عثمان (محمد)
الجامعة اليوسفية في تسعمائة سنة – ط. الرباط ١٩٣٧ .

ابن عَسْكَر (محمد)
دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشائخ القرن العاشر – ط. فاس ١٣٠٩

العلمي (محمد بن الطيب)
الأنيس المطرب فيمن لقيته من أدباء المغرب – ط. فاس ١٣١٥ .

الفاسي (المهدي)
ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتبّاع – ط. فاس ١٩٠٥ .

الفشتالي (عبد العزيز)
مناهل الصفا في أخبار دولة الملوك الشرفا ، الجزء الثاني – مخطوط خاص .

القادري (عبد السلام)
الدر السني في بعض من بفاس من أهل النسب الحسني – ط. فاس ١٣٠٨ .

القادري (محمد بن الطيب)
نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني – ط. فاس ١٣١٠ .

ابن القاضي (أحمد)
جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام بفاس – ط . فاس .

الكتاني (جعفر)
الشرب بالمحتضر والسر المنتظر من معين بعض أهل القرن الثالث عشر – ط . فاس ١٣٠٩ .

الكتاني (محمد بن جعفر)
سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس فيمن أقبر من العلماء والصلحاء بمدينة فاس – ط. فاس ١٣١٦ .
الأزهار العاطرة الأنفاس بذكر بعض محاسن قطب المغرب وتاج مدينة فاس – ط. فاس ١٣٠٧ .

كنون (عبدالله)
مدخل الى تاريخ المغرب – الطبعة الثالثة تطوان ١٣٧٩ .
أمراؤنا الشعراء – ط . تطوان ١٣٦١ .
ذكريات مشاهير رجال المغرب ٢٥ حلقة ط . تطوان .
رسائل سعدية – ط. تطوان ١٣٧٣ .

مؤلفون مجهولون
الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية – ط . تونس ١٣٢٩ .
مفاخر البربر – ط . الرباط ١٣٣٤ .
الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية نشر ابن أبي شنب – الجزائر ١٩٢٠ .

مُلين (محمد الرشيد)
عصر المنصور الموحّدي – ط . الرباط ١٩٤٦ .

المنوني (محمد)
العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين – ط . تطوان ١٩٥٠ .

ابن الموقت (محمد)
السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية – ط. فاس ١٣٣٦ .
تعطير الأنفاس في التعريف بالشيخ أبي العباس – ط. فاس ١٣٣٦ .

الناصري (محمد المكي)
الدرر المرصعة في أخبار صلحاء درعة – مخطوط خاص .

الناصري (أحمد بن خالد)
الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى – ط. مصر ١٣١٢ .

النميشي (أحمد)
تاريخ الشعر والشعراء بفاس – ط. فاس ١٣٤٣ .

مصادر أجنبية

لم نستعمل من المصادر الأجنبية الا القليل لأن موضوع كتابنا قلما تناوله الباحثون الأجانب ولكننا على كل حال استعنا في بعض المواضع بالمصادر التالية :

C. Brockelmann — تاريخ الأدب العربي
Ges chichte der Arabischen Litiratur - Leyde 1943 - 1949.

Angel Gonzalez Palencia — تاريخ الأدب الاسباني
Historia de La Literatura Arabigo - Espanola - madrid 1928.

تاريخ اسبانيا الاسلامية
Historia de La Espàna musul anana - madrid 1922.

Encyclopédie de L'Islam. — دائرة المعارف الاسلامية
ed. française - Leyde 1908 - 1938.

E. Lévi Provençal — مؤرخو الشرفاء
Les Historiens des Chorfa - Paris 1922.



محتويات الكتاب



فهـرس الكتـاب

الجزء الأول

ـ الدراســة ـ

الجزء الثاني

ـ المختارات النثرية ـ

الموضوع	صفحة

الموضوع صفحة

الجزء الثالث

- المختارات الشعرية -

صفحة

الآداب والوصايا والحكم

صفحة

المدح والتهنئة والاستعطاف